

الكلام عند الإمامية

نشأته ، تطوره ، وموقع الشيخ المفيد منه

الشيخ محمد رضا الجعفري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين
لا سيما أولهم مولانا أمير المؤمنين وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر الحجة
المتظر، ولعنة الله على اعدائهم اجمعين من الأولين والآخرين، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

هذه فصول كتبت قبل عدّة سنوات لمناسبتين وان اختلافنا ولكنها
ترتبطان بموضوع واحد، وهو الكلام الإمامي . فالफصول الأولى انما هي جزء
من المدخل الذي وضعته للترجمة الانجليزية لكتاب المفيد: «تصحيح
الاعتقاد» . . والفصل الخاص بترجمة الشيخ المفيد انتزعته من المدخل الذي
وضعته للترجمة الانجليزية لكتاب التوحيد من «أصول الكافي» والذي تناولت
فيه تاريخ الكلام الإمامي منذ نشأته الأولى إلى عصر شيخ الطائفة الطوسي ،
كتراجم متكلمين لا تاريخاً لأعمال كلامية ، وتجاوز عددhem المائة وستين
متكلماً وهذا المدخل وان كانت فيه فصول ترجع الى تعريف الكلام وبعض
الجوانب التاريخية لنشأة الكلام الإمامي ، الا انه في أساسه قائم على ما

ذكرت.

وقد اختصرت ذلك من بحوث أوسع لم اوفق إلى الآن إلى ملء بعض فجواتها، خاصةً ما يرجع منها إلى شيخ المتكلمين هشام بن الحكم، رضي الله عنه، أسأل الله سبحانه التوفيق إلى ذلك، آنَّ نَعْمَ الْمُوْفَقُ وَالْمَعْنَى .

* * *

اعتماد مؤرخو الجانب العقائدي من تاريخ المسلمين أن يقسموا هم - أو على الاصح : ان يقسموا مناهجهم في كيفية اثبات العقيدة ومسائلها - إلى فتшинين :

مدرسة أصحاب الحديث، ومدرسة المتكلمين. وذكروا لكل منها خصائص معتبرات ، ثم قاسوا الإمامية بغيرهم ، وفي الفصول الآتية : ما يرجع إلى هذا الجانب من البحث . وتعارف مؤرخو الإمامية من الذين يختلفون معهم في العقيدة : أن يتهموهم او يتهموا سلفهم بالتشبيه والتجسيم ، بل والجبر ايضاً . والى هذا يرجع بقية بحوث القسم الأول . ولم اتناول هنا من البحوث التي ترجع إلى «النشوء» سوى ما ذكرت ، وقلت هذا كي لا يراني القارئ الكريم قد اخلقت بوعدي حينما جعلت القسم الأول نشوء الكلام الإمامي .

وفي القسم الثاني تناولت تطور الكلام الإمامي بصورة مقتضبة جداً - وذكرت هناك عذرني في ذلك - كي انتهي به الى القسم الثالث وهو الخاص بشيخنا المفيد رضي الله عنه وارضاه .

* * *

١ - المدخل :

الكلام الإمامي نشاً أولاً وقبل كل شيء حول «الإمامية» ودار عليها منذ نشأته الأولى إلى عصرنا الحاضر، والسر واضح، فإن الإمامية إنما افترقا عن غيرهم لقولهم بالإمامية من فرق المسلمين إنما اختلف معهم أول ما اختلف، لأنَّه لم يَدِنْ بالإمامية الإلهية كما دانوا. فمن الطبيعي أن هذا الاختلاف يستلزم المخاصمة، والمخاصمة تستدعي المنازرة، وإذا سلمنا بأنَّ أول اختلاف حدث بين المسلمين إنما حدث حول الإمامية، وإذا اخذنا بنظر الاعتبار أنَّ الذين انكروا الإمامية الإلهية كانوا الفئة الغالبة الحاكمة والذين دانوا بها كانوا الفئة المعارضة، وأنَّ المعارضة كانت كلامية وبالجدل والحجاج لا بالسيف والسلاح - وأنا هنا لا أبحث عن هذه النقاط وإنما أذكرها كنتائج لبحوث انتهت إليها، وقد فصلتها في مناسبات أخرى - فعلى هذا كله يحق لنا أن نقول إنَّ الكلام نشاً واستقرت طرقه ومناهجه عند الإمامية قبل غيرهم.

ولكن نقاط الخلاف قد تجاوزت الإمامية إلى غيرها وكلما امتد الزمن بال المسلمين كثرت نقاط الخلاف فيما بينهم - وتفرقوا فرقاً وشيعاً - وهنا أذكر كنتيجة لبحوث كثيرة - أنَّ المسلمين، لو كانوا قد دانوا كلَّهم بالإمامية الإلهية، وكان فيهم إمام يؤمِّن بعصمته ويوجبون طاعته، لما تفرقوا، كما كان الحال زمن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن الخلاف بينهم خلافاً عملياً، لا خلاف عقيدة واحتلافاً في المذهب، ولكن حدث ما حدث، ولا نملك إلا أن نسأل الله سبحانه أن يعصم المسلمين من فرقة جديدة، وأن يجنبهم أيام الخلافات القائمة فيما بينهم وأوزارها.

وهكذا واكب الكلام الإمامي - الذي كان يدور أولاً حول الإمامية - المسائل المختلفة فيها والمناقش عليها، فشمل الجبر، والتبيه والتجمس، بل وشمل الخلاف الفقهي ، كالخلاف في بعض أحكام الوضوء والصلاحة،

والخلاف في المتعة، والطلاق ثلثاً، وسائر الخلافات الفقهية بين الإمامية وغيرهم، والكلام إنما هو في أساسه أسلوب خاص للنظر والحجاج، وفيما بعد استقرَّ في دائرة المسائل الاعتقادية وحدها. وهذا أيضاً أترك البحث فيه إلى مال آخر:

وتوسَّع الكلام أكثر فأكثر عندما اتصل المسلمون بغيرهم من معتنقي الأديان كال المسيحية واليهودية أو متحلِّي الفرق الفلسفية وغير الفلسفية. وأشار هنا إلى أننا نجد في ثبت مؤلفات المتكلِّم الإمامي الشهير هشام بن الحكم - كتاباً له تَصل بالفلسفة اليونانية وأعلامها.

وستأتي الاشارة إلى هذا عند ذكره، وبهذا يصبح لنا أن نحكم بأنَّ الإمامية كانوا اسبق من غيرهم في هذا المجال أيضاً، لأنَّ لم أجد لغيره ممن كان يعاصره أنْ تناول ما تناوله هشام.

٢ - المدرستان غير الإماميتين: الحديثية والكلامية تختلفا إلى حد كبير:

لا بدَّ لنا من البحث ولو بصورة مقتضبة جداً عما يسمى بمدرسة المحدثين غير الإمامية، إذ أنَّ السمات العامة التي يذكرونها لعقائد أهل الحديث والأثر، وعلى أساسها يقيسون آراءهم وعقائدهم بآراء غيرهم، إنما قد أخذت من المدرسة غير الإمامية، والأدلة والشاهد التي تذكر في هذا المجال إنما تتوافر بصورة كاملة في مجموعة الأحاديث التي يرويها المحدثون غير الإمامية، وعليها وحدها تُبنى الآراء التي تبنُّوها أو تُنسب إليهم.

ويضاف إلى هذا: أنَّ التضاد الفكري والعقائدي بين المدرستان الحديثية والكلامية، وهو لاء يومذاك كانوا المعتزلة، والجهمية، والمرجئة، والذين كانوا يسيرون في ركابهم، إنما انتزع هذا التضاد والتقابل من الحديث غير الإمامي ، ومن آراء المحدثين غير الإمامية، وموافقتهم من آراء المتكلمين ورفضهم لها وطعنهم في القائلين بها، بل وفي طعنهم بالاتجاه الكلامي بصورة

عامة في العقائد الدينية .

فليس من الصحيح أن يجعل تلك السمات العامة وأن يجعل هذا التضاد والتقابل خصيصة عامة للاتجاه الحدّيسي الذي يعتمد على الكتاب والسُّنَّة، قبل كل شيء، في استبطاط العقائد الدينية وصياغتها، سواء أكان المحدث إماماً أم غير إمامي .

وما يسمى بالمدرسة الحدّيسيّة - والتعبير الأدق لهم ، بل والمختار عندهم : أهل الحديث والأثر - ليست بمدرسة فكرية لها حدودها ومعالمها الواضحة من جميع الجهات ، أو من أغلبها ، كما هو الحال عند المعتزلة ، والجهمية ، مثلاً ، والذي بإمكان الباحث أن يعيّن ما اتفقا عليه ، وبه امتازوا عن غيرهم . بل وهذه التسمية أيضاً لحقتهم لا من جهة أنفسهم ، بل انتزعت من مواقفهم وأرائهم . وكل ما كان عندهم : أنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَعْنَوْنَ بِالْحَدِيثِ لَمْ يَكُونُوا يَتَعَدَّوْنَ فِي بَيَانِ آرَائِهِمْ وَتَصْوِيرِ عَقَائِدِهِمْ عَمَّا جَاءَهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي آمَنُوا بِصَحَّتِهَا ، بل إنَّهُمْ كَانُوا يَكْتُفُونَ بِرَاوِيَةِ الْفَاظِ الْحَدِيثِ غالباً للتعبير عن آرائهم ، ولم يكونوا يحوّلُونَ الْفَاظَ إِلَى مَا يَؤْدِي مَعْنَاهُ .

والمحدثون ، لما ذكرناه ، لا يرجعون بالطبع إلى مستوى واحد ، بل إنَّهم في مستويات مختلفة ، إذ أنَّ أيَّ واحد من المحدثين إنما يقاس مدى الخلاف بينه وبين من يسمونهم بالمتكلمين بقدر ما يرويه هذا المحدث كميةً وبقدر ما يتلزم بصحته فيما يرويه . ومن الواضح أنَّ المحدثين لا يتساولون في كمية الأحاديث التي يروونها ، وكمية ما يؤمنون بصحته ، بل يتفاوتون بين مقلٍّ ومكثراً ، وبين متساهل في الحكم بالصحة ، ومتشدداً لا يصحح إلا إذا توفرت شروط كثيرة ، وعلى هذا الأساس تختلف الأحاديث بحسب ما اتفقا على روایته وما لم يروه إلا بعضهم ، وتختلف أيضاً بحسب ما اتفقا على صحته وما اختلفوا فيه .

ويجب التتبّع إلى أنَّ (المدرسة الأشعريّة) وإنْ قامت على أساس رفض الفكر الاعتزالي والرجوع إلى السُّنَّة ، إلا أنَّ الدراسة الواعية والمستوعبة لها

لتنتهي إلى أنَّ أبا الحسن الأُشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر، البصري (٨٧٤/٢٦٠، أو ٨٨٣/٢٧٠ - ٩٣٦/٣٢٤) إمام الأُشاعرة إنما اختلف مع أساتذته المعتزلة، في أنهم - حسب رأيه - كانوا يرفضون ما خالف آراءهم وإن دل عليه الكتاب أو السنة الصحيحة في رأيه، ومحاولة الأُشعري إنما ترتكز على إيجاد الملاعنة لا الرُّفض. وليس هنا مجال للتبيُّط في هذا البحث وإعطاء الأدلة عليه.

٣- نماذج من آراء المحدثين:

ولا أتكلم هنا عن الأحاديث التي وصلتنا من طرق إخواننا غير الإمامية، ويُمكِّن الباحث أن يجدتها مجموعة مستوفاة في المصادر التالية:

- ١ - محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري (١٩٤/٨١٠ - ٢٥٦/٨٧٠): «خلق أفعال العباد».
- ٢ - أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبدالله الشيباني (١٦٤/٧٨٠ - ٢٤١/٨٥٥) إمام الحنابلة: «الرد على الجهمية والزنادقة».
- ٣ - أبو عبد الرحمن، عبدالله بن أحمد بن حنبل (٢١٣/٨٢٨ - ٢٨٨/٩٠١): «السنة».
- ٤ - أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر الخلال البغدادي، الحنبلي (٢٣٤/٨٤٨ - ٩٢٣/٣١١) شيخ الحنابلة في عصره: «السنة».
- ٥ - عثمان بن سعيد، أبو سعيد الدارمي (٢٨٠/٨١٥ - ٢٨٠/٨٩٤): «الرد على الجهمية» و«الرد على بشر المرسي».
- ٦ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السُّلْمَيِّ، النيسابوري (٢٢٣/٨٣٨ - ٣١١/٩٢٤): «التوحيد وإثبات صفات الرب».
- ٧ - أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرِي الشافعي، البغدادي (٢٨٠/٨٩٣ - ٣٦٠/٩٧٠): «الشريعة».

للرجوع إلى تأويل الأشاعرة يراجع :

١ - أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الأشعري، الشافعي (٤٠٦ - ١٠١٥): «مشكل الحديث».

٢ - أحمد (حمد) بن محمد بن إبراهيم، أبو سليمان الخطابي، البستي، الأشعري، الشافعي (٣١٩/٩٣١ - ٣٨٨/٩٩٨) وقد حكى الكثير منها البيهقي الآتي .

٣ - أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، الأشعري، الشافعي (٣٨٤ - ٤٥٨/٩٩٤): «الأسماء والصفات» و«الاعتقاد».

٤ - علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، الأشعري، الشافعي (٤٩٩/١١٥ - ٥٧١/١١٧٦): «تبين كذب المفترى في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري».

وكل هذه المصادر مطبوعة، وآراء الخطابي قد حكها البيهقي . وإنما أعرض نماذج من آراء أصحاب الحديث، وأتناسى من كان منهم إمام مذهب كلام الحنابلة أحمد بن حنبل والذي تكون آراؤه وعقائده الحجر الأساس لعقائد ابن تيمية، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم الحرانى الحنبلي (٦٦١/١٢٦٣ - ٧٢٨/١٣٢٨) ومحمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي (١١٥/١٧٠٣ - ١٢٠٦/١٧٩٢) إمامي السلفية وداعيّتها، كما يسمون بها أنفسهم، أو (الوهابية) كما يسمّيهم غيرهم، كما وتجبّتُ غيره من أئمة المذاهب . وعذرني في هذا : تجنّبي أنْ ينسبني ناسب إلى خلق لا أريد لنفسي أنْ ينسب إلى . ويكتفي الباحث في دراسة آراء الحنابلة وغيرهم الرجوع إلى المصادر المتقدّم ذكرها، وبالنسبة إلى الدفاع عن أحمد بن حنبل الرجوع إلى المصادرين التاليين :

١ - عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي البغدادي، الحنبلي (٥٩٧ - ١١٤/٥٠٨) : «دفع شبه التشبيه بأكفت التنزيه».

٢ - أبو بکر بن محمد بن عبد المؤمن ، نقی الدین الحصینی ، الدمشقی ، الأشعري ، الشافعی (٧٥٢/١٣٥١ - ٨٢٩/١٤٢٦) : «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد».

* * *

قال أبو الفرج ابن الجوزي :

«وأعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحسن فشبّهوا، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المشابه على مقتضى الحكم ...»^(١).

وقال أيضاً :

«وأعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاثة مراتب : (إحداها) إماراتها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل، إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى : «وجاء ربك»^(٢) أي : جاء أمره، وهذا مذهب السلف . (والمرتبة الثانية) التأويل، وهو مقام خطر . (والمرتبة الثالثة) القول فيها بمقتضى الحسن، وقد عمّ جهله الناقلين^(٣)، إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التي يُعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرُّف ظواهر المعقولات عن التشبيه ، فإذا عدموها تصرّفوا في النقل بمقتضى الحسن»^(٤).

وقال نقی الدین ، ابن تیمیة ، راداً على منْ قال : إن أكثر الحنابلة مُجَسّمة ومشبّهة :

(١) تلبيس ابلیس : ط ادارة الطباعة المنیریة ، القاهرة : ١٣٦٨ / ١١٦.

(٢) الفجر : ٨٩ / ٢٢.

(٣) ويقصد بهم المحدثین .

(٤) دفع شبه التشبيه بأكمل التزییه ، المکتبة التوفیقیة ، القاهرة : ١٩٧٦ / ٧٣ - ٧٤ .

«المُشَبَّهَةُ وَالْمُجَسَّمَةُ فِي غَيْرِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَكْثَرُهُمْ فِيهِمْ،
فَهُوَلَا أَصْنَافُ الْأَكْرَادِ، كُلُّهُمْ شَافِعِيَّةُ، وَفِيهِمْ مَا تَشَبَّهُ وَتَجَسِّمُ مَا لَا يَوْجِدُ
فِي صَنْفٍ آخَرَ، وَأَهْلُ جِيلَانِ فِيهِمْ شَافِعِيَّةُ وَحَنْبَلِيَّةُ، وَأَمَّا الْحَنْبَلِيَّةُ الْمَحْضَةُ
فَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ مَا فِي غَيْرِهِمْ، وَالْكَرَامِيَّةُ كُلُّهُمْ حَنْفِيَّةُ»^(٥).

وَلَسْتُ أَقْرَأُ ابْنَ تِيمِيَّةَ عَلَى دِفَاعِهِ عَنْ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَكِنِّي أَسْكَتُ عَنْهُ.
وَمَعْذِرَةً إِلَى إِخْرَانِنَا الْأَكْرَادَ الَّذِينَ قَالُ فِيهِمْ ابْنُ تِيمِيَّةَ مَا قَالَ، فَإِنَّهُمْ
يُعْرَفُونَ كَمَا أَعْرَفُ، وَأَمَّا أَهْلُ جِيلَانِ فَقَدْ زَالَتْ عَنْهُمُ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنْبَلِيَّةُ مِنْذِ
قَرْوَنَ، وَهُمْ الْيَوْمَ كُلُّهُمْ شَيْعَةُ إِمامَيْهِ.

٤ - نماذج مختارة:

وَكَنْمُوذِجٌ لِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ الْجُوزِيَّ فِي كَلَامِهِ عَنِ الْمُحَدِّثِينَ أَخْتَارَ ثَلَاثَةً
لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْحَنَابِلَةِ الْصَّرَحَاءِ، وَأَقْدَمَ لِكُلِّ مِنْهُمْ بَعْضُ التَّرْجِمَةِ كَيْ لَا يَتَهَمَّنِي
مِتَّهِمًا بِأَنِّي عَثَرَ عَلَى مَغْمُورِيْنَ خَامِلِيْنَ لَمْ يَكُونُوا ذُوِّي شَأنٍ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ:

- ١ - إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مَخْلَدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو يَعْقُوبِ الْحَنْظَلِيِّ
الْمَرْوَزِيِّ، ابْنُ رَاهُوِيَّةِ الْنِيْسَابُورِيِّ (١٦١/٧٧٨ - ٢٣٨/٨٥٣).
- * قال الخطيب: كان أحد أئمة المسلمين، وعلمًا من أعلام الدين،
اجتمع له الحديث والفقه، والحفظ والصدق، والورع والزهد، ورحل إلى
العراق، والمحجاز، واليمن، والشام، ... وورد ببغداد وجالس حفاظ أهلها،
وذاكرهم، وعاد إلى خراسان فاستوطن نيسابور إلى أن توفي بها، وانتشر علمه
عند الخراسانيين.
- وهكذا قال المزي والسبكي.

(٥) المُنَاظِرَةُ فِي الْعِقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ، مَجْمُوعَةُ الرَّسَائِلِ الْكَبِيرِيَّةِ، دَارِ إِحْيَاءِ التِّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتُ،
لَبَّانُ، طِّ٢: ١٣٩٢/١٩٧٢، ٤١٨/١.

* وهو شيخ البخاري، ومسلم، والترمذى، وأبوداود، والنمسائى، وبقية بن الوليد، ويحيى بن آدم - وهما من شيوخه - وأحمد بن حنبل، وإسحاق الكوسج، ومحمد بن رافع، ويحيى بن معين - وهؤلاء من أقرانه - وجماعة.

* قال تعيم بن حماد: إذا رأيتَ العراقيَّ يتكلَّم في أَحْمَدَ بنِ حُنَيْلَ فَاتَّهُمْ فِي دِينِهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ الْخَرَاسَانِيَّ يَتَكَلَّمُ فِي إِسْحَاقَ بْنَ رَاهْوَيْهِ فَاتَّهُمْ فِي دِينِهِ.

وقال النمسائى: أحد الأئمة، ثقة مأمون. وقال أَحْمَدَ بنِ حُنَيْلَ: إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتمسك به. وقال أبو حاتم: إمام من أئمة المسلمين.

وقال ابن حبان: وكان إسحاق من سادات زمانه فقهًا، وعلمًا، وحفظًا، ونظرًا، ممن صنف الكتب، وفرع السنن، وذبَّ عنها، وقمعَ من خالفها، وقبره مشهور يزار. وقال أبو عبدالله الحاكم: إمام عصره في الحفظ والفتوى. وقال أبو نعيم الأصبهاني: كان إسحاق قريباً [بن حنبل] وكان للآثار مثيراً، ولأهل الرزغ مثيراً.

* وقال الذهبي: الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، قد كان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه، من أئمة الاجتهداد^(١).

* أبو عيسى الترمذى - بعد أن أخرج الروايات التي تقول: إنَّ الله يقبل الصدقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيمِينِهِ . . . الحديث - قال: وقد قال غير واحد من أهل العلم

(١) التاريخ الكبير ١ - ٣٧٩ / ١ = ٣٨٠ - ٣٧٩ = ١٢٩ ، التاريخ الصغير ٣٦٨ / ٢ ، البرج والتعديل ١ - ٢٠٩ / ٢ = ٢١٠ - ٢٠٩ = ٧١٤ ، ابن حبان، الثقات ٨ / ١١٥ - ١١٦ ، طبقات العناية ١ / ١٠٩ = ١٢٢ ، المنهاج الأحمد ١ / ١٠٨ - ١٠٩ = ٤٣ - ٤٣ = ١٠٩ ، تاريخ بغداد ٦ / ٣٤٥ - ٣٤٥ = ٣٣٨١ ، حلية الأولياء ٩ / ٢٣٤ - ٢٣٤ ، ابن خلكان ١ / ١٩٩ - ٢٠١ ، الأنساب ٦ / ٥٦ - ٥٧ ، السبكي ، طبقات الشافية ٢ / ٨٣ - ٩٣ ، ميزان الاعتدال ١ / ١٨٢ - ١٨٣ = ١٨٣ - ٧٣٣ = ١٨٢ ، سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٥٨ = ٣٨٢ ، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٥ ، العبر ١ / ٤٢٦ - ٤٢٦ ، الواقفي بالوفيات ٨ / ٣٨٦ - ٣٨٨ = ٣٨٢ ، طبقات الحفاظ ١ / ١٨٨ - ١٨٩ = ١٨٩ ، ابن كثير ١٠ / ٣١٧ - ٣١٧ ، تهذيب التهذيب ١ / ٢١٩ - ٢٨٢٥ ، تهذيب الكمال ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٣ = ٣٨٨ ، طبقات المفسرين ١ / ١٠٢ - ٤٠٨ = ٤٠٨ ، تهذيب الكمال ٢ / ١٠٣ - ١٠٣ ، شذرات الذهب ٢ / ٨٩.

في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، وننزل الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟

هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكروت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه.

وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسرّوها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ها هنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم^(٧): إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا التشبيه. وأما إذا قال - كما قال الله تعالى - : يد، وسمع، وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٨)

٢ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٢٢٣/٩٢٤ - ٨٣٨/٣١١) قالوا عنه: إنه كان إمام نيسابور في عصره، فقيهاً، مجتهداً، بحراً من بحور العلم، اتفق أهل عصره على تقدمه في العلم، ولقبه الصفدي، واليافعي، والذهباني، والسبكي، وابن الجوزي، والسيوطى، وابن عبد الحى بإمام الأئمة. وقال الدارقطنى: كان إماماً معادوم النظير. وقال ابن كثير: هو من المجتهدين في دين الإسلام. وذكروا له الكرامات. وقال السمعانى: وجماعة [من المحدثين] ينسبون إليه، يقال لكل واحد منهم

(٧) هو إسحاق بن راهويه - عارضة الأحوذى: ٣٣٢/٣

(٨) الجامع الصحيح، الزكاة (ما جاء في فضل الصدقة) ٣/٥٠ - ٥١ اي ٦٦٢.

خَرِيمٌ [فهو إمام مدرسة حديثية]. وهذا بعض ما قيل فيه^(٩):
 أثبت ابنُ خزيمة الوجه لله سُبْحانه، وقال: «ليس معناه أَن يُشْبِه وَجْهه
 وجهَ الْأَدْمَيْنِ، إِلَّا لَكَان كُلَّ قَاتِل إِنَّ لَبْنِي آدَمَ وَجْهًا، وللخنازير، والقردة،
 والكلاب . . . - إلى آخر ما عدَّ من الحيوانات - وجوهًا، قد شَبَهَ وجوهَ بْنِي آدَمَ
 بوجوه الخنازير والقردة والكلاب . . . »^(١٠)

وذكر مثل هذا في العين، واليد، والكتف، واليمين، وقال: «إِنْ عَيْنِي اللَّهُ
 لَا تُشَبِّهَنَ أَيْ عَيْنَ لِغَيْرِهِ» وأضاف: «نَحْنُ نَقُولُ: لَرِبِّنَا الْجَالِقُ عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا
 مَا تَحْتَ الشَّرْى وَتَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَمَا
 بَيْنَهُمَا . . .) وَنَزِيدُ شَرْحًا وَبِيَانًا وَنَقُولُ: عَيْنُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدِيمَةٌ لَمْ تَزُلْ بِاقِيةٌ،
 وَلَا يَزَالْ مَحْكُومٌ لَهَا بِالْبَقَاءِ مُنْفَيٌّ عَنْهَا الْهَلاَكُ وَالْفَنَاءُ، وَعَيْنُ بْنِي آدَمَ مُحَدَّثَةٌ،
 كَانَتْ عَدْمًا غَيْرَ مُكَوَّنَةٍ فَكَوَّنَهَا اللَّهُ وَخَلَقَهَا بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صَفَةٌ مِنْ صَفَاتِ
 ذَاتِهِ . . . »^(١١)

وقال: إِنَّ اللَّهَ يَدِينُ : «وَيَدَاهُ قَدِيمَتَانِ لَمْ تَزَالَا بِاقِيتَيْنِ، وَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينِ
 مُحَدَّثَةٌ . . .) فَأَيْ تَشَبِّهُ! . . . »^(١٢) وَنَفَى التَّأْوِيلُ عَنْ كُلِّ هَذَا، خَاصَّةً تَأْوِيلَ
 الْيَدِ بِالنِّعْمَةِ أَوِ الْقُوَّةِ^(١٣).

(٩) الذهبي سير اعلام النبلاء: ١٤/٣٦٥ - ٣٨٢، تذكرة الحفاظ: ٢/٧٢٠ - ٧٣١، العبر: ١٤٩/٢، السمعاني، الانساب: ٥، ابن الأثير، اللباب: ١، ابن الجوزي، المتظم: ٦/١٨٤ - ١٨٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٩/١١، السُّبْكِي، طبقات الشافعية: ٣/١٠٩ - ١١٩، الصَّفْدِي، الواقي بالوفيات: ٢/١٩٦، البافاعي، مرآة الجنان: ٢/٢٦٤، ابن عبد الحي، شذرات الذهب: ٢/٢٦٣ - ٢٦٦، السيوطي، طبقات الحفاظ: ٣١٠ - ٣١١، ابن الجوزي، طبقات القراء: ٢/٩٧ - ٩٨.

(١٠) التوحيد واثبات صفات الرب، راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس، المدرس بكلية أصول الدين «بالازهر»، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة: ١٣٨٧/١٩٦٨، ٢٣/.

(١١) المصدر / ٥٠ - ٥٢.

(١٢) المصدر / ٨٢ - ٨٥.

(١٣) المصدر / ٨٥ - ٨٧.

وذكر «أنَّ كلامَ رِبِّنا عَزَّ وَجَلَّ لا يُشْبِهُ كلامَ المُخْلوقِينِ، لأنَّ كلامَ اللهِ كلامٌ متواصلٌ لا سُكْتَ بَيْنَهُ وَلا سَمْتَ، لا كلامَ الْأَدْمَيْنِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ كلامِهِ سُكْتَ وَسَمْتَ لِانْقِطَاعِ النُّفُسِ، أَوِ التَّذَاكُرِ، أَوِ الْعَيِّ...»^(١٤).

٣ - عثمان بن سعيد، أبو سعيد الدارمي، التميمي، السجستاني (ح ١٩٩ - ٨١٥ / ٢٨٠ - ٨٩٤) الإمام العلامة الحافظ، الناقد الحجة، وكان جذعاً وقدى في أعين المبتداعة، قائماً بالسنة، ثقة، حجة، ثبناً. وقيل فيه: كان إماماً يقتدى به في حياته وبعد مماته. ذكره الشافعية في طبقاتهم، وعدده الحنابلة من أصحاب ابن حنبل^(١٥).

قال الدارمي بأنَّ اللهَ مَكَانًا، حَدَّهُ، وَهُوَ الْعَرْشُ^(١٦) وَهُوَ باِثْنِ مِنْ خَلْقِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ بُفْرَجَةٍ بَيْنَهُ فِي هَوَاءِ الْآخِرَةِ، حِيثُ لَا خَلَقَ مَعَهُ هَنَاكَ غَيْرُهُ، وَلَا فَوْقَهُ سَمَاءٌ^(١٧) وقال: «قَدْ أَيَّسْنَا لَهُ مَكَانًا وَاحِدًا، أَعْلَى مَكَانٍ، وَأَطْهَرَ مَكَانٍ، وَأَشْرَفَ مَكَانًا: عَرْشُهُ الْعَظِيمِ (...). فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلِيَا، حِيثُ لَيْسَ مَعَهُ هَنَاكَ إِنْسَنٌ وَلَا جَانٌ، وَلَا بِجَنَّبِهِ حُشْنٌ، وَلَا مِرْحَاضٌ، وَلَا شَيْطَانٌ. وَزَعَمْتَ أَنْتَ^(١٨) وَالْمُضْلُّونَ مِنْ زُعْمَائِكَ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكُلِّ حُشْنٍ وَمِرْحَاضٍ، وَبِجَنَّبِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَجَانٍ! أَفَأَنْتَ تَشْبَهُنَّهُ إِذْ قَلْتَ بِالْحَلْوِ فِي الْأَمَكْنَةِ أَمْ نَحْنُ؟!^(١٩)

(١٤) المصدر / ١٤٥.

(١٥) سير اعلام النبلاء: ١٣/٣١٩ - ٣٢٦، تذكرة الحفاظ: ٢/٦٢١ - ٦٢٢، العبر: ٦٤/٢، مرأة الجنان: ٢/١٩٣، ابن كثير: ١١/٦٩، طبقات الشافعية: ٢/٣٠٢ - ٣٠٦، طبقات الحفاظ: ٢٧٤، طبقات الحنابلة: ١/٢٢١، شذرات الذهب: ٢/١٧٦.

(١٦) الرَّدُّ عَلَى بَشَرِ الْمَرْيَسِيِّ، عَقَائِدُ السَّلْفِ، نَسْرٌ: دَكْتُورُ عَلِيٍّ سَامِيُّ النَّشَارِ، عَمَّارُ جَمِيعِ الطَّالِبِيِّ، مَشَائِثُ الْمَعْرِفَةِ، الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ، مَصْرٌ: ١٩٧١/٣٨٢.

(١٧) المصدر / ٤٣٩.

(١٨) يخاطب به بشر المرسي، الذي يرد عليه الدارمي، وهو بشر بن غيات المرسي، البغدادي، الحنفي (ح ١٣٨ - ٧٥٥ / ٢١٨ - ٨٣٣) من اعلام الحنفية، وممن نادى بخلق القرآن ودافع عنه، وعن كثير من آراء المعتزلة.

(١٩) المصدر / ٤٥٤.

وقال : «ولو لم يكن الله يدان بهما خلق آدم ومسنه مسيساً كما أذعنت ، لم يجز أنْ يقال [الله] : يدك الخير . . . »^(٢٠) وأحالَ في ذلك كلَّ معنى أو تأويل من نعمة ، أو قوة ، إلَّا اليدين^(٢١) [بما لهما من المعنى ، وهو العضو الخاصُّ المحسوس] ، «وَإِنَّ اللَّهَ إِصْبَعَيْنِ ، مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ بِمَعْنَىٰ آخَرٍ»^(٢٢) «والقدمان قدمان من غير تأويل»^(٢٣) «غَيْرُ أَنَا نَقُولُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ : 『وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ』»^(٢٤) : إِنَّهُ عنِي بِالْوَجْهِ الَّذِي هُوَ الْوَجْهُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ ، وَلَا الْقِبْلَةُ . . . »^(٢٥) وإنَّ نفي التشبيه إنَّما هو بَأنْ يكون الله كُلُّ هذا ، ولكن لا يُشَبِّهُ شَيْءٌ مِّنْهُ شَيْئاً مَمَّا فِي الْمُخْلُوقِينَ»^(٢٦) .



* * *

وقد سُقِّتَ ما تقدَّمَ كنماذج مختارة مما جاءَ عنِ أعلامِ المدرسة الحديثية غير الإمامية ، ولا أعلق على شيءٍ مما جاءَ فيها ، غير أنَّى أرى من الضروري أنْ أُتبَّه - ولو بصورة مختصرة جدًّا - أنَّ المقصود بالتجسيم والتشبيه التي تفاهما النُّفاة عن الله سُبْحانَهُ ، والتي دَلَّت الأدلة القطعية على نفيهما : أنَّ القول بالجسمية أو ما يستلزم الجسمية ، من الأعضاء والجوارح ، والمكان ، والزمان بمعانيها الحقيقة يلزم منه تشبيه الله سُبْحانَهُ بالمخلوقين ، وهذا التشبيه إنَّما يكون في أصلِ الجسمية ولو ازْمَها ، لا في نوعيتها وكيفيتها . فالقول بـأنَّ الله -

(٢٠) المصدر / ٣٨٧.

(٢١) [بما لهما من المعنى ، وهو العضو الخاصُّ المحسوس] ، المصدر / ٣٩٨ .

(٢٢) المصدر / ٤٢٠ .

(٢٣) المصدر / ٤٢٣ - ٤٢٤ ، ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٢٤) الرحمن / ٥٥ .

(٢٥) المصدر / ٥١٦ .

(٢٦) المصدر / ٤٣٢ - ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

سبحانه - رأساً، أو بطنًا، مثلاً - تعالى الله عن ذلك - يلازم الجسمية وينتهي إلى أن يكون الله - عز وجل - شبيهاً بالملائكة، سواء أكان رأسه أو بطنه يُشبه رؤوس من لهم رؤوس، أو بطون من لهم بطون، أو لا يُشبه أبداً من تلك الرؤوس والبطون، بل يمتاز عن جميعهم برأس لا يُشبه رؤوسهم، وبطن لا يُشبه بطونهم، وهكذا، غير الرأس والبطن . . .

بالإضافة إلى أن الحديث الذي يروونه وقد التزموا بصحته - وسيأتي ذكره بمصادره - : «إن الله خلق آدم على صورته» عند من يفسرها بصورة الله، سبحانه، والحديث الآخر: إن آدم خلق على صورة الرحمن، لا يرجعان إلى القول بأن الله صورةً وجهاً فحسب، بل إن صورته ووجهه تشبهان وجه آدم وصورته، فتشبهان وجوه بني آدم وصورهم.

٥ - نموذج إمامي .

وسيخينا الصدق عالم بارز من علماء الحديث والرواية الإماميين، وقد ذكرت بعض جوانب شخصيته في المقدمة التي وضعتها للترجمة الإنجليزية لكتابه (اعتقادات الإمامية) وكان من أسرة اشتهرت بعلم الحديث وتحمله . وقد أخذ عن شيوخ المحدثين وأعلامهم، وقد سار هو على هديهم واستن بسنتهم، وكل ما يقوله إنما يمثل ما اتفق عليه علماء الحديث الإمامية - وخاصة مدرسة القميين منهم -، أو أخذ به معظمهم - على أقل التقادير - إلا في موارد قليلة، كقوله ب فهو النبي، صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة، الذي تبع فيه شيخه محمد بن الحسن بن الوليد، والذي لم يقره عليه معظم العلماء، محدثين وغير محدثين .

والدراسة المقارنة بين (اعتقادات الإمامية)، وما علق عليه شيخنا المفيد في (تصحيح الاعتقاد) لتكتشف عن الاتفاق في أصول العقيدة وتفاصيلها بين ما يسمى بالمدرسة الحديثية والمدرسة الكلامية الإماميين، إلا في موارد اختلافا

فيه، وهي قليلة جدًا، ان قيست بالنسبة إلى موارد الاتفاق. نعم: الفارق إنما يكون في نوعية الاستدلال، وكيفية سوق الدليل والبرهنة على الرأي الاعتقادي.

وتكشف أيضًا: ان هذا نقد المتكلمين الإمامية للأحاديث التي يعتمد عليها المحدثون لا يكون نابعًا أولاً وبالذات من موقفهم العقائدي، ومخالفتها لأحكامهم الكلامية، وإنما يرتكز على موازين نقد الحديث الذي يأخذ به كل محدث، من الطعن في سند الحديث بتجريح رواهه وأن فيهم من لا يصح الاعتماد عليه، أو التشكيك في دلالته، أو طرحه لمعارضة دليل أقوى له من آية كريمة أو حديث أقوى منه سندًا أو أصرح منه دلالة.

على العكس مما تَّهم به المدرسة الحدِيثية غير الإمامية جمهور أصحاب الكلام من جهمية، ومعتزلة، ومرجئة، وغيرهم: بأنهم يردون أي الذكر الحكيم والُّسْتَة النبوة الثابتة جملة وتفصيلاً، إن خالفت ما ذهبوا إليه من الآراء الكلامية.

ولعل السر في هذا الفارق بين سلوك المدرستين الحدِيثيين، الإمامية وغير الإمامية يعود أولاً: إلى الفرق بين طبيعة الحديث الإمامي، وبين الحديث غير الإمامي، كما سنشير إليه، ثانياً: إلى أن المتكلمين الإماميين يمتازون عن غير الإماميين، بأنه قل ما يوجد متكلم إمامي إلا وكان أيضاً من حملة الحديث وعلومه، فكان يجمع الميزتين، مشاركاً فيهما، لا أنه إن كان يختص بالحديث، فكان يجهل الكلام بل يقف منه موقف الخصومة والعداء، وإن كان متوجهًا إلى الكلام ومسائله فإنه كان يجد نفسه في غنى من الحديث وتحمله وروايته، كما قالوا عن غيرهم.

وإن دراسة الكتاب الآخر لشيخنا المفيد رحمه الله: (أوائل المقالات في المذاهب والمختارات) لتكتشف عن نقاط الخلاف بين علماء الإمامية إلى عصر المفيد، سواء كانوا علماء حديث وفقه فحسب، أم علماء كلام فحسب - ولم

أجد فيه مثلاً لهؤلاء إلا بعض بنى تَوَتْحَتْ -، أمَّا الذين جمعوا بين الأمرين، ونقاط الخلاف هذه قليلة جدًا إنْ قيَسْتْ بما اتفقا عليه. وتكتشف أيضًا عن نقاط الخلاف بينهم وبين غيرهم من فرق المسلمين البارزين إلى عصر المفید. ومهمما يكن، فقد كنت أعددت العُدَّة لبحث مفصل أقارن فيه بين كتابي الصدوق والمفید، ولكنني هنا - ولا يسع المجال لذلك - أكتفي بالنتائج التي انتهت إليها باحث غربي، وهو الاستاذ (مارتن مكدرموت) في كتابه : (نظريات علم الكلام عند الشيخ المفید) واقطع منه مقاطع صغيرة، قال :

«كان ابن بابويه (الصدوق) محدثاً، وإذا أراد أن يحل مشكلة أو يجيب عن مسألة، فإنه بدل أن يأتي من نفسه بدليل (بفكرة)، فإنه كان يحب أنْ يروي حديثاً، وحتى أن رسالته الإعتقادية (رسالة الإعتقادات)^(٥) أكثر ما جاء فيها إنما هي أحاديث اتصل بعضها ببعض. ومع كلّ هذا فإنه كان يعتقد بالأحكام والأراء التي كان يعتقد بها المتكلمون، وإذا واجه حديثاً يكون ظاهره مخالفًا للأراء الكلامي، مثلاً فيما يرجع إلى التوحيد، أو العدل الإلهي ، فإنه كان يصوغ بنفسه تفسيراً أو تعبيراً يلائم به الحديث المبحوث عنه مع الحكم الكلامي . وهذه الجهة هو الفارق بين ابن بابويه وتلميذه المفید الذي كان متكلماً ومحدثاً. فإن المفید إذا واجه أمراً يمكن إثباته عن كلام طريفي الوحي . والاستدلال العقلي ، فإنه كان يفضل البرهان العقلي ، ويجعل الحديث أو النَّص القرآني برهاناً مكملاً له .

لأنَّ أكثر الأراء الكلامية التي أخذ بها ابن بابويه تتفق مع ما ارتأاه تلميذه المفید (...). ثم يستعرض نقاط الخلاف بينهما، الأمر الذي يلمسه القارئ للكتابين بنفسه، فيقول : أنَّ ابن بابويه محدث يُشَبه في بعض آرائه مع المعتزلة في آرائها وأحكامها، والشيخ المفید متكلم وفي الحال نفسها محدث ، وأنظاره

(٥) أي : اعتقادات الإمامية.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ١٦١

التي تتفق في الأساس مع أنظار ابن بابويه قد سلكت شوطاً أبعد في الإتجاه الاعتزالي^(١٥).

ولا أُعلّق هنا على كلام (مكدرموت) بشيء، وسيجد القارئ الكريم بعض الاختلاف في وجهات النظر والاستنتاج فيما سيستقبله من البحوث.

٦ - مثال آخر للفرق بين الإمامية وغيرهم في هذا المجال:

وسيأتي الكلام عن الهشامين، هشام بن الحكم وهشام بن سالم، اللذين أنهما بالتجسيم والتشبيه. وأما غيرهما وغير من ذكر اسمه إلى جنبهما، فلا أنفي أنه كان في الإمامية من يقول بالجبر والتشبيه، أو أنهم بهما، ولكنهم قليلون جداً. ومن الطبيعي بالنسبة إلى جميع الفرق، وفي جميع التجمعات الفكرية أو العقائدية أن يشدّ فرد أو أفراد، فينفردون بآراء ومعتقدات لا يرتضيها التجمع الذي يتبعون إليه، ولا يصحّ الحكم على المجموعة نفسها بأحكام متزعنة من مواقف هؤلاء إلا إذا بلغوا من الكثرة أو البروز والتفوق، الحد الذي يصبحون وجهاً لطائفتهم وعنواناً لها.

ونموذج آخر يشهد لما قلت، وهو دراسة شروح الكافي، فيما يرجع إلى أحاديث التوحيد الواردة في كتاب التوحيد: فإن هناك من شروح الكافي الكثيرة شروحاً أربعة مطبوعة كلها، لعلماء أربعة متعاصرين، وهم:

١ - صدر الدين، محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي، الشيرازي، صدر المتألهين (٩٧٩/١٥٧١ - ١٠٥٠/١٦٤٠): «شرح الكافي» الذي وصل به إلى أوائل كتاب الحجّة من أصول الكافي.

٢ - محمد صالح بن أحمد المازندراني (..... - ١٠٨٦/١٦٧٥) العالم والمحدث الشهير: «شرح أصول الكافي والروضة».

(١٥) مارتن مكدرموت، نظريات علم الكلام عند الشيخ المفید - الانجليزية -، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٨ - ٣٦٩ - ٣٦٧.

- ٣ - الفَيْضُ الكاشاني ، محمد محسن (١٠١٠/١٥٩٩) .
- ٤ - العَلَامَةُ المُجْلِسِيُّ ، محمد باقر بن محمد تقى (١٠٣٧/١٦٢٨) .
- ٥ - «مرأة العقول» شرحه للكافى بأجمعه .

وهؤلاء الأربعه مختلفون بحسب اتجاهاتهم الفكرية ومشاركتهم في العلوم وشخصتهم في فروعه . ففيهم من يُعد من الأقطاب البارزين في الفلسفة الإسلامية وصاحب مدرسة شهيرة فيها كصدر المتألهين ، وفيهم من جمع بين الفلسفة والفقه والحديث كالفيض ، ومن اتجه إلى العناية بال الحديث وعلومه كالمجلسي وصهره المازندراني . فإن دراسة شروح هؤلاء وموافقهم من الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، في التوحيد والعدل لتعطى أقوى الشواهد على ما قلته من أن الإمامية ، مهما اختلفت اتجاهاتهم ، لم تختلف آراؤهم فيما يرجع إلى أصول العقيدة .

والسر في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الحديث الإمامي نفسه وأنه يختلف عن الحديث غير الإمامي . وذلك أن الأحاديث التي رويت من طرق غير الإمامية - وقد قدّمت أسماء الكتب التي تجمع هذه الأحاديث ، والتي تتناول تفسيرها ، وتأنويل ما يحتاج منها إلى التأويل - لا تحمل في طياتها ما ينفي التجسيم والتشبيه والجبر ، بينما توفر فيها الأحاديث التي يكون ظاهرها إثبات التجسيم ، والتشبيه ، والجبر ، وهي كثيرة جداً ، فلم يجد المؤولون - إلى جنب الأحاديث المثبتة - أحاديث تنفي بصورة مباشرة ، تمكّنهم من حل المشكلة عن طريق تفسير الحديث بالحديث ، وتأنويل ما ظاهره الإثبات بما يكون نصاً في النفي ، فاضطروا إلى اللجوء إلى طرق آخر من التأويل .

ويظهر هذا بوضوح من صنيع ابن فورك ، والخطابي ، والبيهقي - الذين تقدّم ذكرهم - وما صنعه أبو المعالي الجويني ، عبد الملك بن عبد الله النيسابوري الشافعي (٤١٩/٤٧٨ - ١٠٢٨/٤٨٥) المتّكل الأشعري

الشهير في كتبه الكلامية، وفخر الدين الرازي، محمد بن عمر الشافعى (٥٤٤ - ١١٥٠ / ٦٠٦ - ١٢١٠) الإمام المتكلّم والمفسّر الأشعري الشهير، في تفسيره الشهير وكتبه الكلامية. وما ذكره من التأویل ابن الجوزي، وتقى الدين الحصني في كتابيهما اللذين تقدّم ذكرهما. فإن دراسة هذه التأویلات تقدّم أقوى الأدلة على ما قلناه.

والحال في الحديث الإمامي على النقيض من هذا، فإنَّ أحاديث التوحيد والعدل قد ذكرت في «كتاب التوحيد» من «الكافي» للكليني و«كتاب التوحيد» للشيخ الصدق، و«كتاب التوحيد والعدل» من الموسوعة الحديثية الشهيرة «بحار الأنوار» للعلامة المجلسي، والذي استوعب هذا الأخير كلَّ ما ورد في مصادر الإمامية مسندًا أو مرسلًا، صحيحة سنته أو لم يصحّ، وجاء في الطبيعة الحديثية من البحار في ستة أجزاء (ج ٣ - ج ٨). ومن يرجع إليها لا يجد الحال فيها ما يجدها عند غيرهم، بل هي مليئة بالأحاديث الصحيحة، بل المتواترة، إجمالاً، أو معنئاً، الدالة بصراحة على نفي التشبيه، والتجسيم، والجبر، خاصة دلالتها على بقية ما تعتقد الإمامية في أمر التوحيد والعدل، سواء الذي امتازت به أم الذي اشتراك في مع غيرها من المسلمين. ولأجل هذا لم يجد الكليني والصدق، للدلالة على النفي، أيّ عناء سوى سوق الأحاديث الكثيرة الدالة عليه بصراحة ووضوح.

نعم، كلَّ ما هناك ما أشار إليه شيخنا الصدق في فاتحة «كتاب التوحيد»

حيث قال:

«إنَّ الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا أني وجَدْتُ قوماً من المخالفين لا ينسبون عصائبنا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها ولم يعرفوا معاناتها، ووضعوها في غير مواضعها، ولم يقابلوا بألفاظها ألفاظ القرآن [أي جاء فيها ما جاء في القرآن الكريم من ألفاظ وتعابير، فإن كان القرآن الكريم دالاً على التشبيه والجبر فهي دالة أيضاً، وإن لم يقولوا

بدلاله القرآن على ذلك فكيف قالوا بدلالة تلك الأحاديث؟!] فقيحوا بذلك عند الجهل مذهبنا، وليُسوا عليهم طريقتنا، وصلوا الناس عن دين الله، وحملوهم على جحود حجج الله، فتقررت إلى الله، تعالى ذكره، بتصنيف هذا الكتاب في التوحيد ونفي التشبيه والجبر...»^(٢٧).

وخلال الكلام أن الإمامية إن درست عقيدتها على ضوء ما ورثته من أحاديث الأئمة عليهم السلام، فإن هذه الدراسة لتكشف بوضوح أن ما تعتقد إنما ينبع من تلك الأحاديث، والأحاديث نفسها تتفق في مضمونها بين التي روتها عن أول آمنتها، أمير المؤمنين عليه السلام، وبين التي جاءتها من الإمام الحادي عشر أو الحجة المنتظر، عليهما السلام، مثلاً، وأساس ذلك يرجع إلى أن الإمامية بعد أن دانت بالإمامية والتزمت بطاعة الأئمة عليهم السلام - كما قدمت في مدلول الإمامة عند الإمامية - فإنها قد أخذت عقائدها منهم كما أخذت أحکامها، ودراسة الكتابين؛ «اعتقادات الإمامية» للصدوق، و«تصحيح الاعتقاد» للمفيد كافية في إثبات ذلك، خاصة بعد أن كان كتاب الصدوق لا يتعذر عن سرد مضمون الآيات والأحاديث، بل بنفس الألفاظ والتعابير، كما قدمناه.

فالقول بأن الإمامية أخذت عن المعتزلة وتأثرت بهم فيما اتفقت معهم في العقيدة لا أقول فيه سوى إنه باطل لا أساس له من الصحة جملة وتفصيلاً، ولا سند له من دراسة عقائد الإمامية والأسس التي قامت عليها تلك العقائد. والسؤال الذي يكون وجيهأً - والحال هذه - : هل غيرها أخذ عقيدته من آمنتها؟ ولا أحاول هنا أن أبحث عن هذا الجانب ولكنني أشير إلى أن الكعبي البلخي، والقاضي عبد الجبار، وابن المرتضى ، ونشوان الجميري يستندون مذهب المعتزلة في العدل والتوحيد إلى أمير المؤمنين عليه السلام^(٢٨).

(٢٧) التوحيد، مكتبة الصدوق، طهران: ١٣٨٧ / ١٧ - ١٨.

(٢٨) البلخي، ذكر المعتزلة / ٦٤ ، القاضي عبد الجبار، فضل الاعزل وذكر المعتزلة / ١٤٦ - ←

* [ابن] النديم: «أسماء من أخذ عنه العَدْلُ والتَّوْحِيدُ»: قرأت بخط أبي عبد الله بن عبدوس؛ قال أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى السنجم، أخبرني أبي، وأخبرني عمي أحمد، وعمي هارون، قالوا: حدثنا أبو يعلى زرقان - واسمه محمد بن شداد، صاحب أبي الهذيل - قال: حدثنا أبو الهذيل العلاف، محمد بن الهذيل، قال:

أخذت هذا الذي أنا عليه من العَدْلُ والتَّوْحِيدُ، عن عثمان الطويل - وكان معلم أبي الهذيل - قال أبو الهذيل: وأخبرني عثمان أنه أخذه عن واصل بن عطاء، وأنّ واصلًا أخذه عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأنّ عبد الله أخذه من [؟] أبيه محمد بن الحنفية، وأنّ محمداً أخبره أنه أخذه عن أبيه علي، عليه السلام، وأنّ آباءه أخذوه عن رسول الله عليه [والله] السلام، وأنّ رسول الله أخبره أنّ جبريل نزل به عن الله جلّ وتعالى.

وقال الذهبي: قال زرقان^(٢٩): حدثنا أبو الهذيل العلاف، قال:

أخذت ما أنا عليه من العَدْلُ والتَّوْحِيدُ عن عثمان الطويل، وأخبرني أنه أخذه عن واصل بن عطاء، وأخذه عن عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأخذه من أبيه، وأخبره أنه أخذه عن أبيه علي، وأنه أخذه عن رسول الله، صلى الله عليه [والله] وسلم، وأخبره أنّ جبريل نزل به عن الله تعالى. رواه جماعة عن زرقان^(٣٠).

ويجب أن نتبّه إلى أنّ ما جاء في «اعتقادات الإمامية» ولم يعلق عليه المفید، أو الذي أقره المفید عليه، وهكذا المناقشات التي ذكرها المفید والنقاط التي لم يقبلها أو لم يرض بالدليل الذي ذكره الصدوق لها، ليس مدلول

→ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ - ٢١٦ ، ابن المرتضى، المنية والأمل/٢٦ - ٢٧ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ١٢٨ - ١٢٧ ، البحر الرّخار، ٤٤/١ ، نشوان الجميري، الحور العين/٢٠٦ .

(٢٩) المتكلّم المعتزلي الشهير.

(٣٠) سير أعلام النبلاء: ١٣/١٤٩ .

كل ذلك أن غيرهما من علماء الإمامية يتفق مع أحدهما أو معهما في الرأي، أو يرضى بصحة الدليل أو يقر دلالته على ما يقولانه، أو يقر بمناقشته المفيدة ويرتضيها. ومن الطبيعي أن هذا الجانب من الكتابين إنما يختص بالتفاصيل التي جاءت فيهما، لا في أصول العقيدة التي تتفق عليها الإمامية بأجمعها.

٧ - نموذج من الحديث الامامي :

ومثال واحد ذكره من مئات الأمثلة التي تدل على طبيعة الحديث الإمامي، وإبائه عن أن تستقر في نفس مَنْ يؤمن به نزعة التجسيم والتشبيه أو الجبر ما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قوله عليه السلام في خطبته الشهيرة، وهذه الخطبة ذكرها الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩/٩٧٠ - ٤٠٦/١٠١٥) في «نهج البلاغة» ورواهما من محدثي الإمامية مَنْ سبق الشريف الرضي، الشيخ الصدوق (٣٠٦/٩١٩ - ٣٨١/٩٩١) في «كتاب التوحيد»^(٣١) روى قطعة كبيرة من أولها، وألفاظها فيها بعض الاختلاف عما في النهج، وشرح بعض ما جاء فيها. ورواهما أيضاً أبو النضر محمد بن مسعود السُّلْمي العياشي (؟ - ح ٣٢٠/٩٣٢) وأخرج قسماً منها في التفسير^(٣٢). وكل هؤلاء يتنتهي السند عندهم إلى مساعدة بن صدقة وهو رواها عن الإمام الصادق، عن أبيه، عليهم السلام. وهو أبو محمد مساعدة ابن صدقة العَبْدِي، من أصحاب الصادق والكاظم عليهم السلام له: «كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام»^(٣٣).

ورواها محدثو الزيدية، فرواها يحيى بن الحسين الحسني، الناطق بالحق، الإمام الزيدى (٣٤٠/٤٢٤ - ٩٥٢/٣٤٠) بسند آخر يتنتهي إلى زيد

(٣١) مكتبة الصدوق، طهران: ١٣٨٧/٤٨ - ٥٦، وعنه في البحار: ٤/٢٧٤ - ٢٨٤.

(٣٢) ١/١٦٣ اي ٥، وعنه البحار، ٣/٤٢٧، تفسير البرهان، ١/٢٧١ اي ١٢.

(٣٣) النجاشي: ٢٥٩، مجمع الرجال: ٦/٨٧، الذريعة: ٧/١٩١ اي ٩٧٢.

ابن أسلم - وأرى أنَّ هذا تصحيف، وال الصحيح : زيد بن وهب، وهو الجهنمي (٧١٥/٩٦) من كبار التابعين، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، له : «كتاب خطبُ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجُمُع والأعياد وغيرها»^(٣٤) رواها مباشرةً عن أمير المؤمنين عليه السلام ، ولفظه قريب من لفظ الصدوق ، وإن كان السند مغايراً^(٣٥).

وذكرها أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المالكي (٢٤٦/٨٦٠) - (٣٢٨/٩٤٠) في العقد الفريد^(٣٦).

وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة ، وذلك : أنَّ رجلاً قال له - وهو يخطب - صِفْ لِنَا رِتَنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عِيَانًا (. . .) فغضب عليه السلام ، ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الناس حتى غصَّ المسجد بأهله ، فقال - في جملة ما قال ، وأنا أذكر رواية الشريف الرضي :-

فأشهدُ أَنَّ مَنْ شَبَهَكَ بِتَبَانِ أَعْصَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَامِعْ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَبَةِ لِتَدْبِيرِ حُكْمِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قُلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا يَنْدَلُكَ، وَكَانَهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبُرُّ التَّابِعِينَ عَنِ الْمَتَّبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: «تَآلَهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ، مُبِينٌ * إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٣٧) كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَتَحْلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزِئُكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ

(٣٤) الطوسي ، النهرست : ٩٧ ، معالم العلماء : ٤٤ ، مجمع الرجال : ٨٥/٣ ، التربيع : ١٨٩/٧ .

(٣٥) تيسير المطالب في أمال الإمام أبي طالب ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥/١٩٧٥ - ٢٠٤/١٩٢ . ذكر قسماً كبيراً منها.

(٣٦) لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٢/١٣٨١ ، ١٥٢/٤ - ١٥٤ ، ذكر قسماً كبيراً منها.

(٣٧) الشعراء : ٢٦ : ٩٧ ، و ٩٨ .

بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدْرُوكَ عَلَى الْخِلْفَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِعِ عُقُولِهِمْ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِّنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ
كَافِرٌ بِمَا تَنْزَلْتَ بِهِ مُحْكَمَاتٍ آيَاتِكَ، وَنَطَقْتَ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَّجِ يَسَاتِكَ،
وَإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونُ فِي مَهْبَبِ فِتْرَهَا مُكَيْفًا،
وَلَا فِي رَوَاتِ خَوَاطِرِهَا مَخْدُودًا مُصْرَفًا^(٣٨)

وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُشْرِحَ هَذِهِ الْفِقْرَةَ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالَّتِي يُشَيرُ فِيهَا الْإِمَامُ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، إِلَى أَسْبَابِ حَدُوثِ التَّشْبِيهِ وَالتَّجَسِّيمِ عِنْدِ الْمُسْلِمِينَ فِي نَشَأَتِ الْأُولَى
«إِذْ شَبَهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ» وَإِنَّمَا أَقُولُ: إِنَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهَذَا الْكَلَامَ - وَبِغَيْرِهِ مِنْ
أَحَادِيثِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَنْصٌ صَادَرَ مِنْ إِمامٍ مَعْصُومٍ، لَهُ مِنْ
الطَّاعَةِ مَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَدَّمَتْ عِقِيدةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي
الْإِمَامَةِ وَالْإِمَامِ، لَيْسَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ إِذْنَ، إِلَّا فِي حَالَاتِ شَاذَةَ، أَنْ يَقُولُ بِالتَّشْبِيهِ
وَالتَّجَسِّيمِ إِلَّا بِصُورَةِ لَا شَعُورِيَّةٍ . . . قَالَ الْفَاضِلُ عَبْدُ الْجَبَّارُ الْمَعْتَزِلِيُّ
الشَّافِعِيُّ :

«فَلَمَّا أَمْرَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَطَبَهُ فِي بَيَانِ نَفِيِّ التَّشْبِيهِ، وَفِي إِثْبَاتِ
الْعَدْلِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصِي^(٣٩)» .

وَقَالَ أَيْضًا: «وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ فِي خُطُبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَدْتَهَا مَشْحُونَةً
بِنَفِي الرُّؤْيَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»^(٤٠) .

(٣٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ومحمد محبي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة،
القاهرة، ١٦٣/١ - ١٦٤، وانظر البحار، ٣١٨/٧٧، وشرح ابن أبي الحديد ٤١٣/٦ -
٤١٥.

(٣٩) فضل الاعتزال وذكر المعتزلة / ١٦٣ .

(٤٠) شرح الأصول الخمسة / ٢٦٨ .

٨ - لكن الخصوم اتهموا الإمامية بما يأبى الحديث الإمامي منه: ومهما يكن فإن أخف جوانب الاتهام الذي وجهه إلى الإمامية خصومهم، هو ما تقدم من أن الإمامية كانوا في بداية أمرهم - وإلى عصور تلتها - كانوا قد حصروا أنفسهم وعقائدهم في حدود المداليل اللغوية للكتاب والسنّة، ولم يتعدوا ذلك إلى المجال العقلي والاعتماد على العقل كمصدر لشرح العقيدة وتوجيهها، والاستعانة به في الاستدلال على إثباتها ورد شبه خصومها، وإبطال حججهم.

ولكن خصوم الإمامية لم يقفوا عند هذا الحد، بل تجاوزوه إلى اتهام الإمامية، بأنهم قبل اتصالهم بالمعتزلة:

١ - كانوا يقولون بالتجسيم والتشبيه الصرحيين.

٢ - لم يكونوا يقولون بالعدل كأصل ديني له خصائصه ومستلزماته.

٣ - لم يكونوا يعرفون الفروق الدقيقة والبحوث النظرية الراجعة إلى التوحيد والعدل، والتي أشرت إليها بإجمال عن الكلام عن عقائد الإمامية، ولم يكونوا على علم بالجهات التي تفرق بين صفات الذات وصفات الفعل - مثلاً - إذ لم يكونوا بعد قد اعتمدوا على البحوث العقلية التي تنتهي إلى استكشاف تلك الأسس الدقيقة وتركيز تلك التفاصيل عليها.

٤ - كانوا يقولون بالجبر - بل والشديد منه - .

يقول أبو الحسين الخياط المعتزلي :

«وَمَا جملة قول الرافضة، فهو: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذُو قَدْرَةٍ، وَصُورَةٍ، وَحْدَةٍ، يَتَحرَّكُ وَيُسْكَنُ، وَيَدْنُو وَيُبَعِّدُ، وَيَخْفَ وَيُثْقَلُ . . . » هذا توحيد الرافضة بأسراها، إلا نفراً منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد، فنفتهم الرافضة عنهم، وتبرأت منهم، فأما جملتهم ومشايخهم، مثل: هشام بن سالم، وشيطان السطاق، وعليّ بن ميسّم، وهشام بن الحكم، وعليّ بن منصور،

والسُّكاك ، فقولهم ما حكى عنهم . . .^(٤١)

ويحكي (م. مكدرموت) عن ابن تيمية: أن القول بالعدل الإلهي قد أخذه متأخراً الإمامية كالمفید [٢٣٦/٤١٣ - ٩٤٨] والموسوي [الشريف المرتضى ٣٥٥/٤٣٦ - ٩٦٦] والكراججي [١٠٤٤/٤٤٤] (١٠٤٤ - ٩٨٠/٤٤٩) ولا أثر له فيمن تقدمهم من الإمامية . ويأخذ عليه (مكدرموت) بأن الخطاب يشير إلى وجود أقلية اتصلت بالمعزلة فثارت بعقادهم ، وهكذا الأشعري يذكر مثل ذلك في مقالاته . ويمثل لهم (مكدرموت) بالنُّويختين الذين كانوا في أواخر القرن الثالث [أوائل القرن العاشر الميلادي]^(٤٢) . . .

«كان المفید قد ورث تراثين: الأول ما ورثه من متكلمي الإمامية الأوائل ، وخاصة النويختين الذين كانوا في أواخر القرن الثالث على اتصال بالمعزلة ، والثاني المدرسة القمية لأصحاب الحديث والتي كان يمثلها ابن بابوية القمي [الصدقوق]. . .^(٤٣) . . .

ولكن شمس الدين الذهبي صاحب ابن تيمية (٦٧٣/١٢٧٤) - (٧٤٨/١٣٤٨) يتقدّم بالزمان على ما قرره زميله فيقول: «ومن حدود سنة ٣٧٠ [٩٨٠] إلى زماننا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا»^(٤٤) ولكن ابن حجر العسقلاني لا يقرّه على هذا التحديد التاريخي ويقول: «ليس كما قال ، بل لم يزال متواخّين من زمن المؤمنون [ال الخليفة العباسي (١٧٠/٧٨٦) - الخليفة العباسى (١٩٨/٨١٣ - ٢١٨)]»^(٤٥).

(٤١) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ١٤ / .

(٤٢) نظريات علم الكلام عند الشيخ المفید ٢ - ٣ / .

(٤٣) المصدر ٣٩٥ / .

(٤٤) ميزان الاعتدال ٣ / ١٤٩ .

(٤٥) لسان الميزان ٤ / ٢٤٨ .

وأنغافل أنا عن كل هذه الأقوال، وأعني فحسب بالبحث عما استندوا إليه. وعمدتهم في ذلك كله إلى ما حكاه هؤلاء الخصوم عن بعض أعلام الإمامية والمتقدمين من محدثيهم ومتكلميهم، كالذين سماهم الخياط، من القول بالتجسيم والتشبيه الصرريجين، بل والانتهاء فيما إلى حد السُّخْفِ وهُجُر القول.

وأنا لا أطمع - ولا أرجو، بل أتمنى، كما يتمنى المرء المحالات! - أن يُعَدِّل هؤلاء الخصوم - الماضين منهم والمعاصرين - عن آرائهم، ولا أن يرجعوا عن ترديد اتهاماتهم، ولا أن يعيدوا النظر في حكمائهم، ولا أريد أن أذكر الأسباب التي جرّتني إلى هذا المستوى الرفيع من حسن الظن بهم وبعد التهم وإنصافهم، ونراحتهم عن الكذب والافتراء، و... و...

ولكنني إيماناً مني بالإنسانية ونراحتها في الحكم، وبالباحث وتطلّعه إلى كشف الحقائق، والأهم من هذا كله إيماناً مني بالإسلام وما يفرضه على المسلم الصادق من سماع للقول أيّاً كان قائله ثم اتباع أحسنه، وإنصافٍ في الحكم أيّاً كان المُنْتَفَعُ به، وقولٍ للحق وإن كان على نفسه، وخضوع لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ اللَّهُ شَهِدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَتَّانُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٤١) إيماناً مني بهذا كله أدرس هذا الجانب من الاتهام دراسة موجزة، وأخصّ بحثي بالهشاميين، هشام بن الحكم، وهشام بن سالم لا أتعداهما، وعلى ما ينتهي إليه البحث عنهما من نتائج فقسْ ما سواهما!

٩ - هشام بن الحكم ، بعض جوانب شخصيته :

أبو محمد، هشام بن الحكم الكندي ، مولاهم ، الكوفي ، ثم البغدادي

(ح ١٠٥ / ٧٢٣ - ٨٠٥ / ١٨٩) شيخ متكلمي الإمامية ورائدها. ولد بالكوفة، ونشأ بواسط - وكلاهما من مدن العراق، ولا زالت الكوفة عاصمة - ثم عاد إلى الكوفة فعاش بها، وكان له بها متجر ومتجر ببغداد، ثم تحول إلى بغداد سنة ١٧٩ / ٧٩٦ فسكنها بصورة دائمة. لقي هشام الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وعاش بعد الكاظم لكنه لم يتمكن من لقاء الرضا عليهمما السلام. قال فيه علماء الإمامية:

«كان ثقة في الحديث، حسن التحقيق [أي المعرفة والثبات] في مذهبها، فقيها، متكلماً...) حاذقاً بصناعة الكلام، حاضراً الجواب. وروى عن الأئمة، الصادق، والكاظم، والرضا، والجواد، عليهم السلام مدائع له جليلة، وأنثوا عليه ثناءً وافراً»^(٤٧).

وقال شيخنا المفید:

«وبلغ من مرتبته وعلوّه عند أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام أنه دخل عليه بمني وهو غلام، أول ما اخْتَطَ عارضاه، وفي مجلسه شيخ الشيعة كُحْمُران بن أَعْيَن، وقبس الماصر، ويونس بن يعقوب، وأبي جعفر الأحوال [مؤمن الطاق، وهشام بن سالم] فرفعه على جماعتهم، وليس فيهم إلا من هو أكبر سنّاً منه، فلما رأى أبو عبدالله عليه السلام أن ذلك الفعل قد كبر على أصحابه، قال: هو ناصرنا بقلبه، ولسانه، ويده»^(٤٨).

وبمثله قال ابن شهرآشوب، وأضاف:

(٤٧) المفید، الفصول المختارة، ٢٨/١، الطوسي، الفهرست/٢٠٣ - ٢٠٤ ، التجاشی/٣٠٤ - ٣٠٥ ، ابن شهرآشوب، معالم العلماء/١١٥ ، العلامة الحلي، خلاصة الأقوال/١٧٨ ، وعن هؤلاء علامة من ترجم له راجع: معجم رجال الحديث/١٩ / ٣٣١ ، وهكذا وصفه «ابن» النديم (الفهرست/٢٠٣ - ٢٠٤).

(٤٨) الفصول المختارة، ٢٨/١ ، البحار، ٢٩٥/١٠ - ٢٩٦ راجع الحديث، في الكلفي، ١٧١/١ - ١٧٣ اي ٤/٤٣٣ ، وفي كثير من مصادر الحديث.

«وقوله [الصادق] عليه السلام: هشام بن الحكم رائد حَقْنَا، وسائق قولنا، المؤيد لصدقنا، والداعف لباطل أعدائنا، من تَبِعَه وتَبَعَ أثره تَبَعُنا، ومن خالقه وألحد فيه عادانا وألحد فينا»^(٤٩).

كان هشام بن الحكم متكلماً، قوي الكلام، بصيراً بالحججة والجدل، حاضر البديهة، قوي الذاكرة، عميق المعرفة، واسع الثقافة، متعدد الجوانب، كثير النشاط، مناظراً جدلاً، اتصل بعامة أصحاب المقالات، ومتكلمي الفرق المسلمين وغير مسلمين، وناظرهم، وتكلم معهم، بل وصادقهم، حتى ضرب المثل بصدقته وحسن صحبته لمن يصادقه وإن تناقضت آراؤهما.

وهذا جانب من خلق هشام هام جداً في تفهم شخصيته. فإن أحد من صادقهم وبصدقته معه ضرب المثل هو: عبدالله بن يزيد الفزاري، الكوفي، المتكلم الإباضي، وكان هو وأصحابه أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة^(٥٠) وكان من كبار الخوارج ومتكلميهم، ومؤلفي كتبهم، وذكروا له من الكتب: كتاب التوحيد، كتاب الرد على المعتزلة، كتاب الرد على الرافضة^(٥١).

«فكان عبدالله بن يزيد الإباضي من أصدق الناس لهشام بن الحكم، وكان يشاركه في التجارة»^(٥٢) وجعلهما الجاحظ أفضل المتضادين ممن «لم يُنْجِر بينهم صُرُّم، ولا جَفْوَة، ولا إعراض (...) فِي نَهْمَاهَا صارا إِلَى الْمَشَارِكَةِ بَعْدَ الْخُلْطَةِ وَالْمَصَاحَبَةِ (...) فِيهَا أَفْضَلَا عَلَى سَائِرِ الْمُتَضَادِينَ بِمَا صَارَا إِلَيْهِ مِنْ

(٤٩) معالم العلماء / ١١٥، مجمع رجال الحديث، ١٩ / ٣٣٤. وكلام الصادق عليه السلام هذا حكاه الشريف المرتضى في الثاني / ١٣.

(٥٠) ابن حزم، الفصل، ١١٢/٢ و«الإباضية» من فرق الخوارج اخذوا مذهبهم منه. «ابن حجر، لسان الميزان، ٣٧٨/٣.

(٥١) الأشعري، مقالات المسلمين، ١/١٨٦، «ابن» النديم، الفهرست / ٢٣٣، الشهريستاني، الملل والنحل، ١/١٣٧، البغدادي، هدية العارفين، ٤٤٦/١.

(٥٢) كمال الدين، ٣٦٣/٢، البحار، ٤٨/١٩٨.

الشركة في جميع تجارتهم»^(٥٣).

«وكان عبدالله بن يزيد الإباضي بالكوفة تختلف عليه أصحابه يأخذون عنه، وكان خرّازاً شريكاً لهشام بن الحكم، وكان هشام مقدماً (...). تختلف عليه أصحابه من الرافضة يأخذون عنه، وكلاهما في حانوت واحد، على ما ذكرنا من التضاد في المذاهب من التشرّي^(٥٤) والرُّفْض، ولم يجر بينهما مسابة ولا خروج عَمَّا يوجبه العلم، قضية العقل، ووجبات الشرع، وأحكام النظر والسير»^(٥٥).

وخلق هشام هذا كان يدعو الكثير ممَّن يخالفونه في العقيدة أن يتصلوا به ابتداءً، إذ لم يكن يعرض من يتصل به إلى الأخطار، ولم يكن يخاف منه سوء الأدب وقبع العشرة، أو الخروج عن أدب المعاشرة أو أدب الكلام. يروي ابن قتيبة: أن هشاماً جاءه ملحد، فقال له: أنا أقول بالاثنين، وقد عَرَفْت إنصافك فلست أخاف مشاغبتك، ثم ناظره فقطعه هشام بسرعة واجابه بما أقنعه^(٥٦).
وما قدمناه من خلق هشام هو الذي أوجب أن يتحوّل اتصال أبي شاكر الديصاني - أحد مشاهير الزنادقة - بهشام إلى صدقة وصحبة بينهما، بعد أن كانت في أصلها صلة جدل ونظر ونقاش فيما كانا يختلفان فيه من وجهات الرأي والعقيدة. وربما سأله أبو شاكر أن يستاذن له في الدخول على الإمام الصادق عليه السلام^(٥٧).

وربما تنازلا، فكان البحث يتنهى إلى مدى لم يكن لهشام فيها من جواب - كما يحدثنا هشام - ويقول: انه اجتمع بالصادق عليه السلام بالمدينة

(٥٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٤٦/١ - ٤٧، الراغب، محاضرات الأدباء ٧/٢.

(٥٤) عقيدة الشّرّاة أي الخارج.

(٥٥) مروج الذهب ط باريس، ٤٤٣/٥ - ٤٤٤.

(٥٦) عيون الأخبار، ١٥٤/٢.

(٥٧) التوحيد / ٢٩٠، البحار، ٣/٥٠.

وتعلم منه الجواب، ثم اجتمع بابي شاكر بالكوفة فذكر له الجواب، فقال
الديصاني : هذه نقلت من الحجاز^(٥٨).

ولكن هذا الخلق الرفيع تحول عند خصومه إلى طعن وتجريح ، يقول
الخياط راداً على من اتهم المعتزلة بأنهم أخذوا بعض ارائهم عن الديصانية :
«بل المقوف [المُتَّهِم] بقول الديصانية شيخ الرافضة عالملها هشام بن
الحكم المعروف بصحة ابى شاكر الديصاني . . .»^(٥٩).

١٠ - شخصيته الكلامية ونشاطه الفكري :

وقد زادت صلة هشام بالمتكلمين وزعماء الفرق، بعد ما تزعم الندوة
البرمكية . فإنه بعد أن اعتقل الخليفة هارون الامام موسى بن جعفر عليهمما
السلام سنة ٩٧٥ / ١٧٩ اضطر أن يهاجر إلى بغداد بصورة دائمة ، وأن يتوجه
إلى يحيى بن خالد البرمكي (١٢٠ / ٧٣٨ - ١٩٠ / ٨٠٥) الوزير العباسى
الشهير، ليحتمى به، فصار كما قال المترجمون له : «وكان منقطعاً إلى يحيى
ابن خالد البرمكي ، وكان القيم بمحالس كلامه ونظره»^(٦٠).

وكان ليحيى بن خالد مجلس في داره يحضره المتكلمون من كل فرقه
وملة يوم الأحد فيتذمرون في أديانهم ، يحتاج بعضهم على بعض»^(٦١).

ومن الطبيعي أن هذه الندوة الكلامية ، التي كانت تعقد أسبوعياً بحضور
أقوى رجل في الدولة بعد الخليفة ، وكان هشام هو الذي يرأسها ويديرها ، وهذا
هو المفهوم من قولهم «وكان القيم بمحالس كلامه ونظره» كانت توفر له الاتصال

(٥٨) الكافي ، ١ / ١٢٩ - ١٢٨ اي ٩ / ٢٦٦ ، التوحيد / ١٣٣.

(٥٩) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد / ٣٧.

(٦٠) الطوسي ، الفهرست / ٢٠٤ ، «ابن» النديم ، الفهرست / ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، مجمع الرجال ،
٢٢٣ / ٩ ، لسان الميزان ، ٩ / ١٩٤.

(٦١) كمال الدين ، ٤٨ / ٣٦٢ ، البحار ، ٤٨ / ١٧٩.

بالكثيرين ممَّن لا تسمع الفروف الاعتيادية، ولو لمتكلم بارز كهشام، الاتصال بهم والاستماع إلى ارائهم وحجتهم، ومناقشات بعضهم لبعض، ثم الاشراف على سير البحث، وتقييم الحجج واعطاء الرأي الفاصل.

ويحكى المسعودي مجلساً واحداً من ذلك، فيقول في مقدمة الحكاية: «وقد كان يحيى بن خالد بن برمك ذا علم ومعرفة، وبحث، ونظر، وكان له مجلس يجتمع فيه كثير من أهل البحث والنظر من متكلمي الاسلام وغيرهم من أهل الاراء والتحلل، فقال لهم يحيى يوماً، وقد اجتمعوا عنده: قد أكرثتم الكلام في الكمون والظهور، والقدم والحدوث، والنفي^(٦٢) والإثبات، والحركة والسكن، والمماسة والمبينة، والموجود والمعدوم^(٦٣) والأجسام والأعراض، والتعديل والتجريح، ونفي الصفات واثباتها، والاستطاعة والافعال، والجوهر ، والكمية والكيفية ، والمضاف ، والكون والفساد ، والامامة انصَّ هي ام اختيار ، وسائل ماتوردونه من الكلام في الاصول والفروع ، فاشرعوا الان في الكلام في العشق . . . ». وهكذا ذكر كثيراً من عناوين البحوث، ثم ذكر الذين اشتركوا في هذا البحث، وسمّاهم ومنهم: «علي بن الهيثم^(٦٤) كان امامي المذهب من المشهورين من متكلمي الشيعة» وهو اولهم . والثاني «أبو مالك الحضرمي ، وكان خارجي المذهب ، وهم الشُّرابة^(٦٥) ». والثالث «محمد بن الهذيل العلاف ، وكان معتزلي المذهب وشيخ البصريين» والرابع «هشام بن الحكم الكوفي شيخ الامامية في وقته وكبير الصنعة في عصره^(٦٦) » والخامس «ابراهيم بن سيار النَّظام وكان معتزلي المذهب وكان من نظار البصريين في

(٦٢) في طبعة باريس: وايقني ، وهو تصحيف.

(٦٣) الوجود والعدم والجر والطفرة: في طبعة بيروت.

(٦٤) في طشارل بلا: علي بن ميشم ، وهو الصحيح.

(٦٥)

(٦٦)

عصره» وال السادس «علي بن منصور، وكان امامي المذهب من نظار الشيعة، وهو صاحب هشام بن الحكم» والسابع «معتمر بن سليمان وكان معتزلي المذهب وشيخاً من شيوخها المقدمين فيها» والثامن «بشر بن المعتمر، وكان معتزلي المذهب وشيخ البغداديين واستاذ النظاريين والمتكلمين منهم مثل جعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر^(٦٧) وغيرهم من متكلمي البغداديين» والتاسع «ثامة بن اشرس، وكان معتزلي المذهب» والعشر وهو «السكاك^(٦٨)» وكان إمامي المذهب وصاحب هشام بن الحكم» وأخرين . . .^(٦٩).

ولكنني هنا اكتفي بالإشارة إلى من ذكروا أن هشاماً اجتمع بهم من المعتزلة خاصة دون غيرهم:

١٢ - خاص المعتزلة هشاماً فافترروا فصدقهم خصومهم فيه، ولم يصدقوهم في غيره:

- ١ - أبو عثمان، عمرو بن عبيد التيمي البصري (٨٠/٦٩٩) ١٤٤/٧٦١) ثانِي رائدِي الاعتزال وداعيَّتها. اجتمع به هشام في جامِع البصرة وتناظر معه في الإمامة، وكانت الغلبة فيها لِهشام «فقطعه هشام» كما عبروا^(٧٠).
- ٢ - عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم البصري (٢٠٠/٨١٦) من أعلام المعتزلة وذوي المكانة فيهم. ولكن الأصم كان من نواصب المعتزلة، يُغضِّنُ أمير المؤمنين عليه السلام. «ويقدح في إمامته»^(٧١) «وفيه ميل على

^(٦٧) في ط باريس: متشر، وهو تصحيف.

^(٦٨) وال الصحيح : السكاف.

^(٦٩) مروج الذهب ط باريس، ٦/٣٦٨، ط بيروت، ٣/٣٧٠ - ٣٧٢، وحذفت ط شارل بلا، ٤/٢٣٦ - ٢٤١. كلام السادس فما بعد.

^(٧٠) الكافي، ١/١٦٩ - ١٧١ اي ٤٣٢/٣، الكشي / ٢٧١ - ٢٧٣، أمالي المرتضى ١/١٧٦.

^(٧١) المسعودي، مروج الذهب «ط بارس» ٧/٢٣٤ - ٢٣٦، ومصادر كثيرة.

^(٧٢) الشهرياني ١/٣١.

أمير المؤمنين علي عليه السلام و بذلك كان يُعبَّر^(٧٢) و تعليله للطعن في إمامته عليه السلام ويقصد به عدم عدته رابع خلفائهم، لا الإمامة بالمعنى الذي يقول به الإمامية^(٧٣) ورأيه في من قاتله^(٧٤) يدل على نزعته العدائية له عليه السلام. «وكان يقول في علي ومعاوية أقوالاً جعل معاوية فيها أحسن حالاً من علي»^(٧٥). قال القاضي عبد الجبار المعتزلي، و ابن المرتضى الزيدى المعتزلى : «والذى نقم عليه أصحابنا (. . .) ازوراه عن علي عليه السلام - وعن ابن المرتضى : ويجري منه حيف عظيم على أمير المؤمنين - وكان أصحابنا يقولون : بُلِي بِمَناظرة هشام بن الحكم فبلغوه هذا وبلغوه هذا^{(٧٦)(٧٧)} ولعل لموقفه من إمامية أمير المؤمنين عليه السلام ، أَلْفَ بْشَرَ بْنَ الْمَعْتَمِرَ (٨٢٥ / ٢١٠ - ٨٢٥ / ٢١٠) من أعلام المعتزلة : «كتاب الرد على الأصم في الإمامة»^(٧٨) وللأصم : «كتاب الرد على هشام في التشبيه» و«كتاب الجامع على الرافضة»^(٧٩) ومن تبلغ به الخصومة والعناد إلى أن يقول في علي عليه السلام ما لم يرتكبه منه أخوانه في المذهب، فهل تراه يلتزم الصدق والنصف فيما يقوله عن هشام والرافضة !

٣ - محمد بن الهذيل العبدى ، مولاهم ، أبو الهذيل العلاف البصري

(٧٥) ٧٥٣ - ٢٣٥ / ٨٥٠.

(٧٢) ابن النديم / ٢١٤.

(٧٣) مقالات المسلمين ، ١٣٣ / ٢ ، الشهرياني ، ٣١ / ١ ، ٣١ - ٧٢ ، ٧٣ - ٧٤ .

(٧٤) مقالات المسلمين ، ٢ / ١٣٠ - ١٣١ .

(٧٥) البغدادي ، أصول الدين / ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ .

(٧٦) ولا أجده لهذا الكلام تفسيراً ، سوى انهم يقصدون : أن اشتداد الخصومة بينهما أوجب أن يفلو كل واحد منها في رأيه ويفسر طرف في مذهبـه .

(٧٧) القاضي عبد الجبار ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة / ٤٦٧ ، ابن المرتضى ، المنة والامل / ١٥٦ .

(٧٨) ابن النديم / ١٨٥ .

(٧٩) ابن النديم / ٢١٤ .

قال الشهريستاني : «وَجَرَتْ بَيْنَ [بَيْنَ هِشَامَ] وَبَيْنَ أَبِي الْهَذِيلَ مُنَاظِرَاتٍ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، مِنْهَا فِي التَّشْبِيهِ، وَمِنْهَا فِي تَعْلُقِ عِلْمِ الْبَارِيِّ تَعَالَى»^(٨٠). ويحكي إحداها المسعودي ويقول في آخرها : «فَانْقَطَعَ أَبُو الْهَذِيلَ وَلَمْ يَرِدْ جَوَابًا»^(٨١) ولكن ابن حجر العسقلاني في حرف كلام المسعودي - وأتمنى لو كان بغير عمد - فقال في ترجمة أبي الهذيل : «وَذَكَرَ [المسعودي] مُنَاظِرَةً بَيْنَ وَبْنِ هِشَامَ بْنِ الْحَكْمِ الرَّافِضِيِّ، وَأَنَّ هِشَامًا غَلَبَ أَبُو الْهَذِيلَ فِيهَا»^(٨٢) ولا أظن أنَّ ابن حجر وجد في كلام المسعودي غموضاً فأسوء فهمه !

٤ - إبراهيم بن سيار، أبو اسحاق النَّظَامُ البصريُّ (ح ١٦٠ / ٧٧٦ - ٢٣١ / ٨٤٥) قال المترجمون له من المعتزلة : «خَرَجَ النَّظَامُ إِلَى الْحَجَّ فَانْصَرَفَ عَلَى طَرِيقِ الْكُوفَةِ، وَلَقِيَ بِهَا هِشَامَ بْنَ الْحَكْمِ وَغَيْرَهُ، وَنَاظَرُهُمْ فِي دِقِيقِ الْكَلَامِ»^(٨٣).

وتاريخ هذا الاجتماع لا بد وأن يكون سابقاً على ٧٩٦ / ١٧٩ السنة التي هاجر فيها هشام من الكوفة إلى بغداد وسكنها بصورة دائمة، وعمر النَّظَام يومذاك لم يكن قد تجاوز العشرين، بل لم يكن قد بلغه، فإن صحت الحكاية، فلا بد وأن يراد بالمناظرة المسائلة والمناقشة - كالتى تجري بين الاستاذ والتلميذ - وأن النَّظَامُ الشَّابُ لما اجتمع بهشام سأله عن دقيق الكلام ، وفي هذا دلالة على ذكاء النَّظَامِ وقدرته على طرح الأسئلة الكلامية الدقيقة وفهم الأجوية العميقه من متكلمين بارزين كهشام وغيره . ولعل إحدى هذه المناظرات ما

(٨٠) الملل والنحل ، ٣٠ / ١ ، ١٨٤.

(٨١) مروج الذهب ، ٢٣٢ / ٧ - ٢٣٣ ، وفي ط شارل بلا ٥ / ٢١ - ٢٢.

(٨٢) لسان الميزان ، ٤١٤ / ٥.

(٨٣) القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وذكر المعتزلة / ٢٥٤ ، ابن المرتضى ، المنية والأمل / ١٤٩ ، الدكتور عبد الرحمن بدوي ، مذاهب المسلمين ، ١ / ١٣٧ ، واطلاع الدكتور في فهم كلام ابن المرتضى ، الذي حكم عنه .

يحكىء المقدسي^(٨٤) فإنها ليست مناظرة ومجادلة بالمعنى الدقيق، بل أن النظام فيها يطرح السؤال فقط، كما يطرحه أي تلميذ، بل لا يناقش حول ما يسمع، ولو في مستوى مناقشة التلاميذ لاستذهم، وهشام يجيب، من غير أن يتلقى معارضه أو مناقشة.

ولكن مناظرة جرت بينه وبين هشام حول خلود أهل الجنة في جهنم، وخلود نعيمهم لهم، حيث كان النّظام ينكر ذلك، غلبه فيها هشام^(٨٥). و «خالط هشام بن الحكم الرافضي» فأخذ عنه بعض آرائه^(٨٦).

ولكن الذي يجب أن أنتبه عليه أن هشام بن الحكم لم يكن مواليًّا للآراء الفلسفية - وخاصة اليونانية منها - التي كانت قد وفدت حديثًا يومذاك إلى الرقعة الإسلامية، واستأثرت باهتمام كبير من قبل ذوي الشأن والسلطة، وخاصة البرامكة وبعدهم المأمون الخليفة العباسي. فإن المترجمين لهشام يذكرون: أن حبَّ يحيى البرمكي لهشام، وأيواءه أيامه وحمايته له لم يدوما له، لأنَّ «يحيى ابن خالد البرمكي كان قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً، من طعنه على الفلاسفة...»^(٨٧).

ويفسرون أنه أحد الأسباب التي دعت البرمكي إلى أن يغري الخليفة هارون الرشيد بهشام.

ولهشام: «كتاب الرد على ارسطاطاليس في التوحيد»^(٨٨). وخلق هشام هذا قد توارثه تلاميذه من بعده، فإننا نجد في قائمة الكتب

(٨٤) البدة والتاريخ، ١٢٣/٢ - ١٢٤.

(٨٥) الكشي / ٢٧٤ - ٢٧٥ ، مجمع الرجال، ٤٢٨/٦.

(٨٦) الفرق بين الفرق / ٥٠، ١١٤ - ١١٣ ، الملل والنحل، ٥٦/١ ، نشأة الفكر الفلسفـي في الإسلام ، ٤٨١ - ٤٨٢ ، مذاهب المسلمين ، ١/١ . ٢٠١.

(٨٧) الكشي / ٢٥٨ ، مجمع الرجال ، ٢١٨/٦ ، البخار ، ٤٨/٤٩ .

(٨٨) الطوسي ، الفهرست / ٢٠٤ ، النجاشي / ٣٥٥ ، (ابن) النديم / ٢٢٤ ، معالم العلماء ، ١١٥ ، مجمع الرجال ، ٦/٤٣٤ ، ٤٣٤ ، ٢٢٣/٦ ، الذريعة ، ١٨٣/١٠ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ١٨١

التي ألفها المتكلّم والعالم الإمامي الشهير، الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (حـ ٨١١ / ١٩٥ - ٨٧٣ / ٢٦٠) كتاباً يرث فيها على الفلاسفة. والفضل يسلّل اساتذته إلى أنْ ينتهي بهم إلى هشام بن الحكم^(٨٩).

١١ - من تناظر معهم هشام من المعتزلة :

وانما عنيت بهشام بن الحكم وبعده بهشام بن سالم، لأنّ خصوم الإمامية قد جعلوا منه الثغر الذي حاربوا منه الإمامية بكلّ ما لهم من حول وطول، ووجهوا إليه، وعن طريقه إلى الإمامية، كلّ ما امكنهم من الطعن والذم والتجريح، والتحامل وسوء القول، ونسبوا إليه ما صح - وما أقل ذلك - وما لم يصح ، وهو الأكثر، بل ونسبوا إليه الاراء المتناقضة . ومن عجيب أمر هؤلاء الخصوم أنّا نجدهم قد ألقى بينهم العداوة والبغضاء منذ نشأة الفرق التي يتبعون إليها، وإلى يومنا هذا وأرجو الله أن لا تستمر، فهم متناقرون متخاصمون بعضهم مع بعض على اشد ما تكون المنافرة والخصومة ، وينسب كلّ منهم إلى الآخر ما لا ينسبة المسلم إلى مَنْ يراه أخْلَه في الدين ، ولكنّهم نجدهم قد جمعتهم العداوة والخصومة للامامية عامة ولهشام وأمثاله خاصة ، فهم يصدق بعضهم بعضاً، ويشدّ بعضهم أزر بعض .

والعداء لهشام بن الحكم بدأ من المعتزلة، وهم الذين خاصمهم هشام فيمن خاصم ، وهم الذين نسبوا إليه ما نسبوا ، - وسيأتي ذكر هذا -، واقل ما ينسبة خصوم المعتزلة إليهم ، أمثال عبد القاهر البغدادي ، والملطي ، وابن حزم ، والاسفرايني ، وابن تيمية ، وزميله الذهبي ، وتلميذه ابن قيّم الجوزية ، وابني كثير وحجر ، الابتداع الشديد ، والكذب ، وعدم الثقة بهم وبما يحكى عنه ، بل نسبوا إليهم أنّهم جعلوا الكذب والافتراء ديناً لهم ، وأنّهم لم يكونوا يتقيّدون

(٨٩) راجع ترجمة الفضل بن شاذان في المدخل للترجمة الانجليزية لكتاب التوحيد ، من الكافي .

بأحكام الشريعة، بل وتجاوزه كثير منهم إلى نسبتهم عامة أو إلى نسبة كثير من أعلام المعتزلة خاصة، إلى الكفر والزندة، والخروج عن الملة، ولعنهم وتبأروا منهم، ولكن هؤلاء كلهم صدقو المعتزلة فيما نسبوه إلى الإمامية والى هشام وأمثاله من متكلميهم. وأنهم مارقون من الدين إلا اذا خاصموا الإمامية، وأنهم كذبة مفترون إلا اذا نسبوا إلى الإمامية قبيحاً أو حكوا عنهم فضيحة. ولا أطيل الكلام فيما قالوه في واصل بن عطاء، وعمرو بن عبي، وابي الهذيل، وثمامة بن اشرس، والنظام، والجاحظ، وامثال هؤلاء من أقطاب المعتزلة وعلمائهم.

والأنكي من هذا أن هؤلاء قد ساروا على نهج أسلافهم المعتزلة - الذين هم خصومهم العقائديين - فحرّفوا وغيروا، وحدّقوا واضافوا، وأكملوا بذلك - بزعمهم - ما وجدوه من نقص في سلاح المعتزلة، وتلافقوا ما عثروا عليه من ضعف. وقد سقت أمثلة لهذا فيما تقدم، وسيأتي بعض الأمثلة. ولا اقصد من كلامي هذا أن يرجع الذبّول عما ألفوه من طباع أسيادهم، فقد قدّمتُ أنَّ مثل هذا الرجاء قد انقطع عنِي - إلا اذا تحرروا من تلك الطباع وما اصعب هذا التحرر! ولكن قلت ما قلت لكي اجعله تمهداً لبعض الكلام عن هشام بن الحكم والآراء التي نسبت اليه.

١٣ - نماذج مما نسبوه إلى هشام:

ولا يسعني هنا أن أحكي بالتفصيل كلَّ ما نسبوه إلى هشام من آراء، ويامكان القاريء الكريم أن يرجع إلى ما أحكيه عن مقاتل بن سليمان، ودادود الجواربي ، فإنها نماذج صالحة تشبه ما حكوه عن هشام، واكتفي هنا ببيان النقاط التي تدعونا إلى رفض نسبة مثل ذلك إلى هشام :

أ - أن هشام بن الحكم كان في أول أمره جهيمياً، من أتباع جهم بن صفوان (- ٧٤٥ / ١٢٨) ثم عدل عنه بعد ان اجتمع بالامام الصادق، عليه

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ١٨٣
السلام، وتبين له خطوه فيه^(٩٠).

وجهم بن صفوان، كما هو المعروف من مذهبـه، كان يعارض التجسيـم والتشبيـه إلى أبعد الحدود، وكان مذهبـه في صفات الله تعالى مذهبـ المعتزلة في نشأته الأولى، فإنه كان معاصرـاً لواصلـ بن عطاء وعمروـ بن عبيد رائـي الاعـزال وزعـيمـها، ولم ينـقـمـا عليه إلـا القـولـ بـافتـاءـ الجـنةـ والنـارـ، وـأنـ النـعـيمـ والـعـذـابـ لا يـخـلـدـانـ، وـنقـمـا عـلـيهـ قـولـهـ بـالـإـرـجـاءـ - لاـ بـالـمـتـزـلـةـ بـيـنـ المـتـزـلـتـيـنـ، الـذـيـ هـوـ رـأـيـهـماـ فـيـ مـرـتـكـبـ الـكـبـيرـةـ^(٩١) ولكنـ نقطـةـ الـخـلـافـ الرـئـيـسـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ المـعـتـزـلـةـ باـجـمـعـهـمـ هـيـ قـولـهـ بـالـجـبـرـ، وـقـولـهـ بـالـقـدـرـ إـذـ فـيـ المـعـتـزـلـةـ المـتـاـخـرـيـنـ مـنـ كـانـ يـقـولـ بـالـإـرـجـاءـ، وـفـيـهـمـ مـنـ كـانـ يـقـولـ بـفـنـاءـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ^(٩٢).

لكـنـهـمـ كـلـهـمـ يـتـقـنـونـ عـلـىـ القـولـ بـالـقـدـرـ وـنـفـيـ الـجـبـرـ. ولـأـجـلـ هـذـاـ عـدـهـ الشـهـرـسـتـانـيـ مـمـنـ «ـبـيـغـ»ـ مـنـ الـمـعـتـزـلـةـ أـيـامـ نـصـرـ بـنـ سـيـارـ وـأـظـهـرـ بـدـعـتـهـ [ـعـنـ آـرـاءـ الـمـعـتـزـلـةـ]ـ فـيـ الـجـبـرـ^(٩٣).

وـمـنـ تـأـثـرـ هـشـامـ بـنـ الـحـكـمـ بـأـرـاءـ جـهـمـ، قـولـهـ عـنـ اللـهـ سـبـحانـهـ: «ـهـوـ جـسـمـ لـاـ كـالـجـسـامـ»ـ - كـمـاـ سـيـأـتـيـ - فـإـنـهـ قـولـ جـهـمـ بـنـ صـفـوانـ، كـمـاـ يـحـكـيـ الـأشـعـريـ أـنـهـ كـانـ يـقـولـ: «ـإـنـ اللـهـ جـسـمـ»ـ وـيـقـولـ: «ـإـنـ مـعـنـيـ الـجـسـمـ هـوـ الـمـوـجـودـ»ـ^(٩٤).
وـهـذـاـ نـفـسـ مـاـ حـكـيـ عـنـ هـشـامـ. وـمـنـ ذـلـكـ اـنـ حـكـيـ عـنـهـ اـنـ كـانـ يـقـولـ:

(٩٠) الكشي / ٢٥٦ - ٢٥٧، مجمع الرجال، ٢١٦ / ٦ - ٢١٧، «ابن» النديـمـ، الفهرـستـ طـ مـطبـعـةـ الـاسـتـقـاماـ، الـقـاهـرـةـ / ٢٥٧، «ـطـ تـجـددـ»ـ طـهـرـانـ / ٢٢٤ـ الـهـامـشـ، وـهـذـهـ الـاـخـيـرـةـ هـيـ الـتـيـ اـرـجـعـ يـهـاـ عـمـومـاـ الـمـنـاقـبـ، ٢٤٤ / ٤.

(٩١) ابن المرتضـيـ، المـنـيـةـ وـالـأـمـلـ / ٢٢ـ، ١٠٧ـ، وـانـظـرـ الـبـلـخـيـ، ذـكـرـ الـمـعـتـزـلـةـ / ٦٧ـ، الـقـاضـيـ عبدـ الـجـبارـ، فـصـلـ الـاعـزالـ / ٢٤١ـ.

(٩٢)

(٩٣) المـلـلـ وـالـنـحـلـ، ٣٢ / ١ـ، رـاجـعـ: دـاـثـرـ الـمـعـارـفـ الـاسـلـامـيـةـ - بـالـانـجـليـزـيـةـ - الـطـبـعـةـ الـحـدـيـثـةـ، ٣٨٨ / ٢ـ، وـالـمـخـتـصـرـةـ / ٨٢ـ - ٨٣ـ، وـالـمـصـادـرـ الـمـشـارـ إـلـيـهـ فـيـهـماـ.

(٩٤) مـقـالـاتـ الـاسـلـامـيـنـ، ٢٦٩ / ١ـ، ١٦٤ / ٢ـ.

«إن علم الله محدث، وإنَّه كان غير عالم فعلم»^(٩٥).
وهذا إن صَحَّ عنَّه فإنه تردِيد لقول جهنم.
وقد أخذَه أيضًا عن جهنم^(٩٦).

وشَبَهَ الشهُرستاني «إثبات جهنم وهشام علَمًا لا في محلّ»^(٩٧) بـ«إثبات الأشعرية تكليماً لا في محلّ»^(٩٨).

وقد ذَكَرُوا أنَّ المتكلَّم المعتزلي الشهير، أبو الحسين ، محمد بن علي ابن الطَّيْب ، البصري ، الحنفي (١٠٤٤ / ٤٣٦) أخذَ برأي هشام هذا في علم الله سبحانه. قال الشهُرستاني : «وله ميل إلى مذهب هشام بن الحكم في أنَّ الأشياء لا تعلم قبل كونها»^(٩٩).

ولَكِنَّهم حكوا عن هشام قولًا آخر قد ينافق ما تقدَّم ، وهو: «لم يزل الباري تعالى عالِمًا بِنفسه ، ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه: إنَّه محدث أو قديم ، ولأنَّه صفة والصفة لا توصف ، ولا يقال فيه هو أو غيره» وأضافوا: وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم ، إلَّا أنه لا يقول بحدوثهما»^(١٠٠)

ولَكِنَّ شيخنا المفید انكر صحة نسبة هذا الرأي إلى هشام وسيأتي
كلامه.

(٩٥) الاتصال... ١٤/٥٠، الفصل، ١٢٦/٢، ١٨٢/٤، لسان الميزان، ١٩٤/٦.

(٩٦) الشهُرستاني ، الملل والنحل ، ٨٧/١ ، نهاية الأقدم / ٢١٥ ، الفصل ، ٢ ، المعتمد في أصول الدين / ٤٥ ، ابن أبي الحميد ، ٦٣/١١.

(٩٧) بالنسبة إلى الله سبحانه ، لأنَّهما حيث قالا بحدوث علمه تعالى ، فإنَّ جعلَه سبحانه محلًا لعلمه ، فإنه ينافي قدره سبحانه ، فقلَا بهذا القول ، بـ«إثبات الأشعرية تكليماً لا في محلّ».

(٩٨) نهاية الأقدم / ٢٤٥.

(٩٩) الملل والنحل ، ٨٥/١ ، نهاية الأقدم / ٢٢١.

(١٠٠) مقالات المسلمين ، ٢٦٨/١ ، الشهُرستاني ، الملل والنحل ، ١٨٥/١ ، الفرق بين الفرق / ٤٩ ، ابن أبي الحميد / ٢١٩.

ومما نسبوه إلى هشام قوله بإلزام الشديد، الذي لا يبلغه القائلون
بالُّسْنَةِ كما قال ابن قتيبة^(١).

فإن صحت هذه النسبة فإن هشاماً تبع فيه جهـماً، كما تقدم من انه انما امتاز عن اخوانه المعتزلة في قوله بالجبر المطلق، وقولهم بالاختيار التام، أي القدر كما يعبر به خصومهم.

وعلى ضوء ما تقدم فإن ما نسب إلى هشام ينقسم إلى قسمين : (الأول) ما يتفق مع جهـمية السابقة، وبالإمكان تصدق النسبة، إن صدقـتـ الحـكاـيـةـ، وهي نماذج محدودة أحصـيـتهاـ وعـدـتهاـ . (الثاني) وهو أكـثـرـ ما نـسـبـهـ إـلـيـهـ خـصـوـمـهـ، وهذا لا يـتفـقـ لـاـ معـ جـهـمـيـتـهـ السـابـقـةـ، ولاـ معـ إـمامـيـتـهـ الـلاـحـقـةـ، فـلـاـ يـقـيـ أـمـامـناـ إـلـاـ نـحـكـمـ بـأـنـ مـفـتـرـىـ عـلـيـهـ جـمـلـةـ وـفـصـيـلـاـ، وـإـنـ صـحـ أـنـ هـشـامـ قـالـ بـعـضـهـ . وهذا مجرد فرض لا واقع له - فإنه لم يكن جاداً فيه - كما سيأتي - ويجب أن أنتبه إلى أن جـهـمـيـةـ هـشـامـ لـاـ بـدـ وـأـنـهاـ كـانـتـ فـيـ اوـائـلـ شـبـابـهـ، بلـ وـحـينـ أـنـ كـانـ يـافـعاـ فـحـسـبـ، إـذـ أـنـ هـشـامـ بـعـدـ أـنـ أـصـبـحـ شـابـاـ، وـهـوـ لـاـ يـزـالـ «أـوـلـ ماـ اـخـطـ عـارـضـاهـ» - كما تقدم - لم يكن يعتقد بالأمامـةـ فـحـسـبـ، بلـ كـانـ يـجـادـلـ عـنـهاـ، وـيـاهـضـ خـصـوـمـهاـ وـمـنـكـرـيهـاـ وـيـنـاظـرـهـمـ فـيـ ذـلـكـ . وأـرـىـ أـنـ الأـقـرـبـ إـلـيـ الصـوـابـ، وـالـأـوـقـنـ بـالـحـقـائقـ الثـالـثـةـ مـنـ حـيـاةـ هـشـامـ وـسـيـرـتـهـ: أـنـ جـهـمـيـةـ هـشـامـ كـانـتـ تـرـجـعـ إـلـىـ مـتـابـعـةـ جـهـمـ بنـ صـفـوانـ فـيـ بـعـضـ آـرـائـهـ، وـهـيـ الـأـمـثـلـةـ الـثـالـثـةـ الـتـيـ ذـكـرـتـهـ سـابـقاـ، وـالـتـيـ لـاـ تـنـتـافـيـ مـعـ القـوـلـ بـالـإـمامـةـ، وـالـالـتـزـامـ بـلـواـزـمـهـ، وـالـدـفـاعـ عـنـهاـ. لـاـ (الـجـهـمـيـةـ) بـجـمـيعـ أـبـعادـهـ وـحـدـودـهـ، فـلـمـ يـكـنـ هـشـامـ يومـاـ مـاـ جـهـمـيـاـ إـلـاـ فـيـ نـطـاقـ ضـيـقـ لـاـ أـنـهـ كـانـ يـتـبعـهـ فـيـ جـمـيعـ آـرـائـهـ وـعـقـائـدـهـ .

٤ - موقف الامامية مما نسب إلى هشام:

ب - وقد بحث علماء الإمامية - قديماً وحديثاً - حول الآراء التي نسبت إلى هشام ودافعوا عنه ونفوا نسبتها إليه، واجمعها - مع اختصاره - ما ذكره الشريف المرتضى، أبو القاسم، علي بن الحسين، علم الهدى، الموسوي (٣٥٥/٩٦٦-٤٣٦) قال رحمة الله :

..... فاما ما رُمِيَ به هشام بن الحكم من القول بالتجسيم، فالظاهر من الحكاية عنه القول بـ «جسم لا كال أجسام»، ولا خلاف في أن هذا القول ليس بتشبّيه، ولا ناقض لأصل، ولا معارض على فرع، وأنه غلط في عبارة^(١٠٢) يرجع في إثباتها ونفيها إلى اللغة، وأكثر أصحابنا يقولون: إنه أورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة، فقال لهم: إذا قلتم: إن القديم تعالى شيء لا كالأشياء، فقولوا إنه جسم لا كال أجسام، وليس كل من عارض بشيء وسأل عنه أن يكون معتقداً له ومتدينأً به، وقد يجوز أن يكون قصد به إلى استخراج جوابهم عن هذه المسألة ومعرفة ما عندهم فيها، أو إلى أن يُبيّن قصورهم عن إيراد المرتضى^(١٠٣) في جوابها، إلى غير ذلك مما لا يتسع ذكره.

فاما الحكاية أنه ذهب في الله تعالى أنه جسم له حقيقة الأجسام الحاضرة، وحديث (الأسباب) المدعى عليه^(١٠٤) فليس نعرفه إلا من حكاية الجاحظ عن النظام، وما فيها إلا متهם عليه غير موثوق بقوله، وجملة الأمر: أن المذاهب يجب أن تؤخذ من أفواه قائلها وأصحابهم المختصين بهم ومن هو

(١٠٢) إذ يقصد بالجسم الموجود، لا الجسم المادي، كما سيأتي.

(١٠٣) أي الجواب الصحيح الذي يُرتفع به.

(١٠٤) أن هشاماً قال في ربه: هو سبعة اثبار بشر نفسه، وجاء ذكره في عامة المصادر غير الإمامية، ونقصها ابن المرتضى الزيدى المعتزلى شبرين، فذكر خمسة اثباراً - البحر النخار، ٤٧/١، المنية والامل، / ٣٠.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ١٨٧

مأمون في الحكاية عنهم، ولا يرجع فيها إلى دعاوى الخصوم (...) وممّا يدلّ على براءة هشام من هذه التهم، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: (الاتزال ياهشم مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك). قوله عليه السلام حين دخل عليه مثايخ [وقد تقدم نقله عن المفید] وقوله عليه السلام [وذكر ما حكيناه عن ابن شهرآشوب في صدر ترجمة هشام] وأنه عليه السلام كان يرشد إليه في باب النظر والحجاج ويبحث الناس على لقائه ومناظرته. فكيف يتوفّه عاقل - مع ما ذكرناه في هشام - هذا القول بأنّ ربه سبعة أشبار بشبره! (...).

وأمّا حدوث العلم [الإلهي] فهو أيضاً من حكاياتهم المختلفة، وما نعرف للرجل فيه كتاباً ولا حكاية عنه ثقة.

فاما الجبر وتکلیفه [تکلیف الله] بما لا يطاق مما لا نعرفه مذهباً له^(١٠٥)

وأنا أُعلّق بعض التعليق على ما ذكره سيدنا الشّریف، اختصره من بحوث أوسع:

١ - قال الشهريستاني: «وهذا هشام بن الحكم صاحب عور^(١٠٦) في الأصول، لا يجوز أن يُغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يُظہرُه من التشبيه، وذلك: أنه ألزم العالَف، فقال: إنك تقول: الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، فِيُشارِكُ المُخْدَثَات في أنه عالم بعلم، ويبَانِيهُ في أنّ علمه ذاته، فيكون عالماً لا كالعالَمين، فلم لا تقول: إنه جسم لا كال أجسام، وصورة لا كالصورة، وله قدر لا كالقدار؟ إلى غير ذلك»^(١٠٧).

(١٠٥) الشافعي، طبعة الحجر / ١٢ - ١٣

(١٠٦)

(١٠٧) الملل والنحل، ١٨٥/١، وعنه الدكتور علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام، ٢٢٠/٢ ولم يناقش فيه.

- ٢ - يذكر المترجمون لهشام من الكتب والرسائل التي ألفها ما يربو على الثلاثين ، وما يرجع منها إلى التوحيد وفروعه:
- ١ - كتاب التوحيد.
 - ٢ - كتاب المجالس في التوحيد.
 - ٣ - كتاب الشيخ والغلام في التوحيد.
 - ٤ - كتاب الرد على ارسطاطاليس في التوحيد.
 - ٥ - كتاب الدلالات على حديث (حدوث) الأجسام.
 - ٦ - كتاب الرد على الزنادقة.
 - ٧ - كتاب الرد على أصحاب الاثنين.
 - ٨ - كتاب الرد على أصحاب الطبائع ، والمقصود منهم الذين كانوا يقولون بأنّ الأشياء بطبعها ولا تحتاج في وجودها إلى الله سبحانه الذي يكون هو الخالق لها ، وهذه إحدى الجذور التاريخية لفكرة المادّية الحديثة ، وإن .. ٩ - أولئك - أيضاً على مستويات مختلفة ، بين من يقول بالمادّية الساذجة البسيطة - العامّية في المادّية - وبين المتأثرين بأفكار وفلسفات يونانية ، أو بعائد بوذية أو هندوسية .
 - ١٠ - كتاب في الجبر والقدر.
 - ١١ - كتاب القدر.
 - ١٢ - كتاب الاستطاعة .
 - ١٣ - كتاب المعرفة .
 - ١٤ - كتاب الألفاظ ، ولعله كان يعني شرح المصطلحات التي كان يستعملها هو أو كانت تستعمل في الكلام^(١٠٨).

(١٠٨) راجع: الطوسي ، الفهرست / ٢٠٤ ، النجاشي ، الفهرست / ٣٠٥ - ٣٠٤ وفي طبعة ٤٣٣ - ٤٣٤ رقم ١١٦٤ ، « ابن » النديم ، الفهرست / ٢٢٤ ، معالم العلماء / ١١٥ ، مجمع الرجال ،

فلو كانت هذه الآراء ثابتة لهشام لذكرها في كتبه، ولحكاماً المترجمون له من الإمامية، وهم الذين ورثوا علمه وقرأوا كتبه - التي لم تصللينا ولا واحد منها - ولجاءات الاشارة إليها في روایات الإمامية - كما جاء ذكر بعض ارائه في احاديثهم، كما سيأتي .

يضاف إلى هذا: ان ما حكاه الخصوم من آراء هشام انما ذكرها أنه قالها عند المناقضة والجدل مع خصوصه المعتزلة ، ولم ينسبوا ولا واحداً منها إلى كتاب من كتبه ، فلو كان هؤلاء الخصوم قد عثروا على شيء منها في أحد كتبه لنسبوه إلى الكتاب نفسه .

٣ - إن قول هشام «جسم لا كال أجسام» كان في الأصل رأياً لجهنم بن صفوان ، وإن قال به هشام فإنه تبع جهمناً في ذلك - كما تقدم -، ولعل هشاماً، بعد أن أرجعه الإمام الصادق عليه السلام عن جهمنيه ، كان يستعمله عندما كان يناظر المعتزلة خصوم الجهمية . وبقي هذا القول عالقاً في ذهن تلاميذه أو غيرهم من الشيعة ، ولما لهشام من مقام رفيع ومنزلة عند الأئمة عليهم السلام والإمامية اجمع ، سألا عنـه الأئمة عليهم السلام - كما سيأتي - فلا يصح أن نزد قول الشريف المرتضى من أن هشاماً كان يستعمله عند المناقضة بما جاءنا من الأحاديث التي اشارت إلى قول هشام في الجسم .

٤ - إنني حسب ما بحثت ، وفي حدود ما املك من المصادر - وهي قليلة جداً ، إذا قيست بالنسبة إلى ما ضاع - أكاد اجزم لأسباب لا يسع المجال ذكرها أن أبي الهذيل العلّاف يعتبر المحور الرئيس لاغلب ما نسب إلى هشام ابن الحكم^(١٠٩) .

٦/٢٢٢ - ٢٣٤ ، هدية العارفين ٢/٥٠٧ ، وغيرها .

(١٠٩) راجع الحكاية عن أبي الهذيل مباشرة: مقالات المسلمين ، ١ ، ١٠٣ / ١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢١٦ ، ٤٨ ، وعن الفرق بين الفرق ، وعن أبي الهذيل: الفصل ، ١٨٤ / ٤ ، وعن منهـاج الـسـنة ، ٢٠٣ / ١ ، ولسان الميزان ، ١٩٤ / ٦ .

وما حكى عن غير أبي الهذيل، فهناك قرائن تدلّنا ان ذلك ينتهي إليه -
ان صدق الحاكون ولم يفتعلوا الحكاية - ومنها: أن الحاكون كلّهم تنتهي
سلسلة تعلّمهم الاعتزالي إليه. فإنّ أباً الهذيل تلّمذ عليه النّظام، وثُمَّامة بن
أشرس، التَّمِيرِي البصري (٨٢٨/٢١٣) - أحد معاصرِي هشام من
المُعتزلة -، وجعفر بن حرب البصري، ثم البغدادي (٧٩٣/١٧٧) -
(٨٥٠/٢٣٦).^(١١٠)

وعلى النّظام تلّمذ زُرقان، محمد بن شَدَّاد بن عيسى البصري (٨٩١/٢٧٨)
مؤلف «كتاب المقالات» الشهير، الذي يعتبر من المراجع
الأساسية لذكر المقالات والفرق^(١١١) والجاحظ، عمرو بن بحر (١٦٣/٧٨٠) -
(٨٦٩/٢٥٥).^(١١٢)

وعن الجاحظ أخذ ابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم (٨٢٨/٢١٣) -
(٨٨٩/٢٧٦).^(١١٣)

وعلى جعفر بن حرب تلّمذ أبو الحسين الخياط، عبد الرحيم بن محمد
البغدادي (٩١٤/٣٠٠) - صاحب «الانتصار والرّد على ابن
الروندي الملحد»^(١١٤).

→ عند أبي الهذيل: فضل الاعزال / ١٤٠، ١٤١، ٢٦٢، والحور العين / ٢٥٤ ، والكرمانى ،
الفرق الاسلامية / ٤٤.

(١١٠) راجع الحكاية عنه: مقالات الاسلاميين، ١١٠/١، وعن الفرق / ٥٠، ومنهج السنة،
٢١٤/١.

(١١١) راجع الحكاية عنه: مقالات الاسلاميين، ١٢٠٩/١ وفي طبعة ١٠٩ ، ١١٢ ، ٢٣٢/٢ ،
وعنه منهج السنة، ٢٠٨/١ ، وعن زُرقان: الحور العين / ١٤٨ - ١٤٩ ، ١٧٠ .

(١١٢) راجع الحكاية عنه بلا اسناد منه إلى آخر: مقالات الاسلاميين، ١٠٤/١ ، ٢٦٨ ، ١٠٤/٢
، ٢١٦ - ١٦٢ ، وعن الفرق / ٤٩ ، ٤٩/٤ .

(١١٣) راجع في روایته عن الجاحظ، عيون الاخبار، ١٩٩/٣ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ . وفي ما يحكى عن
هشام: تأویل مختلف الحديث / ٤٨ ، وعن لسان الميزان، ١٩٤/٦ .

(١١٤) راجع فيما ينسبة إلى هشام مباشرة: الانتصار / ١٤ ، ٣٧ ، ١٤٠ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ١٩١

وعلى الخیاط تتلمذ الكعبي البلخي، عبدالله بن أحمد (٢٧٣/٨٨٦ -

(٣١٩/٩٣١).^{١١٥}

ومن بعد هؤلاء من ائمة المعتزلة كالجُبائِيُّونَ أبي علي وابنه أبي هاشم، والقاضي عبد الجبار اخذوا عن هؤلاء. فالعلاف يعد رأس السلسلة في هذه القائمة.

وابن الروندي يتهم الجاحظ بأنه أفرط لا في الخصومة لهشام فحسب، بل إلى حد انتصر لخصوم أمير المؤمنين عليه السلام «أن الذي حمل الجاحظ على ذلك العصبية وطلب ثأر استاذيه من هشام بن الحكم»^{١١٦} ولم يعين ابن الروندي من هما، والنظام أحد استاذي الجاحظ بلا شك «اتفاق المصادر على تتلمذ الجاحظ على النظام»^{١١٧}. والجاحظ يكثر الحكاية عنه في كتبه والثناء عليه^{١١٨}. ويظهر من تعقيب الخیاط ان الثاني هو أبو الهذيل العلاف، والجاحظ نفسه يحكى عن أبي الهذيل^{١١٩}.

ولأبي الهذيل ثأر آخر عند الإمامية، فان أحد اعلام متكلمي الإمامية، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن شعيب بن ميشم، المishi، الكوفي، ثم البصري، المعروف عندهم بعلي بن ميشم - وسيأتي ذكره عند الكلام حول هشام بن سالم - «كان من وجوه المتكلمين من اصحابنا، كلّم أبا الهذيل، والنظام، له مجالس

(١١٥) راجع الحكاية عنه: مقالات الاسلاميين، ١/١٠٤، ١٠٧ - ١٠٨، ٢/١٦٣ - ١٦٤، ٢٣١، وعنه الفرق/٤٩، ٥٠، ومنهاج السنة، ١/٢٠٨، ٢٠٧، والفرق الاسلامية/٤٤ - ٤٥. وعن الكعبي: الملل والنحل، ١/١٨٤.

(١١٦) الانتصار/١٠٣.

(١١٧) راجع: فضل الاعتزاز، ٢٦٥، المنية والأمل/١٥٣، ١٦٢، تاريخ بغداد، ٧/٩٧، ١٢/٢١٣، ابن خلگان، ٣/٤٧١، معجم الادباء، ٦/٥٧، نزهة الالباء/١٩٢، ومصادر كثيرة اخرى.

(١١٨) راجع فهارس الاعلام في البيان والتبيين. والحيوان، وغيرهما.

(١١٩) الحيوان، ٦/١٩٦.

وكتب^(١٢٠).

وراجع نماذج من مناظراته مع أبي الهذيل الذي قطعه فيها^(١٢١).

ومنها ما يحكى ابن حجر عن أبي القاسم التميمي في كتاب الحجّة: أنه تناظر معه عند أمير البصرة، فارجع إلى لسان الميزان ٥/٢٦٥ - ٢٦٦ لترى ما صنع به!

١٥ - جسم لا للأجسام:

جـ - نعم، جاء في أحاديث الإمامية نسبة القول بالجسم إلى هشام بن الحكم، وهذه الأحاديث بين ما نسب إليه القول بالجسم ولم يفسر فيه قوله^(١٢٢) وما فصل فيه قوله، ومنها: حديث يونس بن ظبيان، الذي يحكى فيه الإمام الصادق عليه السلام قول هشام، ويقول:

«فزعم أنَّ الله جسم، لأنَّ الأشياء شيئاً... جسم، و فعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل. فقال أبو عبدالله عليه السلام: وريحه، أما علم أنَّ الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل العَدْ احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً...»^(١٢٣).

وبمعناه - بل أكثر وضوحاً وبياناً منه - الحديث الآتي عند الكلام حول

(١٢٠) النجاشي / ١٧٦ ، مجمع الرجال ، ١٦٧/٤.

(١٢١) في الفصول المختارة ، ٦/١ ، ٥٥ ، البحار ، ١٠/٣٧٠ - ٣٧٢ .

(١٢٢) راجع الكافي ، ١/١٠٥ اي ٢٨٥ ، التوحيد / ٩٩ ، البحار ، ٣٠٣/٣ ، وايضاً الكافي ، ١/١٠٥ اي ٢٨٦ ، التوحيد / ٩٧ ، البحار ، ٣٠٣/٣ .

(١٢٣) الكافي ، ١/١٠٦ اي ٢٨٧ ، التوحيد / ٩٩ ، الفصول المختارة ، ٢/٢٨٥ ، البحار ، ٣٠٢/٣ ، ٤٥٣/١٠ .

هشام بن سالم.

وحدثت الحسن بن عبد الرحمن الحماني ، قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : إن هشام بن الحكم زعم أن الله جسم ليس كمثله شيء^(١٢٤) عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، متكلّم ، ناطق ، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحداً ليس شيء منها مخلوقاً . فأنكر عليه السلام القول بالجسم ، لأن الجسم محدود ، وبته أن هذه الصفات لا تجري مجرى واحداً ، فمنها ما هو من صفات الذات كالعلم والقدرة ، ومنها ما هو من صفات الأفعال كالكلام والنطق . . .^(١٢٥) .

وجاء في حديث علي بن أبي حمزة ، أنه قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم : أن الله جسم ، صمدى ، نوري ، معرفته ضرورة يمُن بها على من يشاء من خلقه »^(١٢٦) ولكن من المحتمل احتمالاً قوياً أن الراوي خلط بين كلام هشام بن الحكم وبين ما نسب إلى هشام ابن سالم - كما سيأتي - ومهما يكن فإن معنى الحديث لا يختلف عمّا تقدمه . وقد حكى عن هشام نفس هذا القول في كتب المقالات : « هو جسم لا للأجسام » وإن هشاماً كان يقول : إنما أريد بقوله « جسم » أنه موجود ، وأنه شيء ، وأنه قائم بنفسه ، لأن ما هو موجود ، إنما أن يكون جسماً أو صفة من صفات الأجسام ، ولا ثالث^(١٢٧) وقد تقدّم أن هشاماً أخذ قوله هذا عن جهم بن صفوان .

وعذر هشام في ذلك أنه لم يعثر على لفظ آخر يؤدي معنى الموجود القائم

(١٢٤) أي : جسم لا للأجسام .

(١٢٥) الكافي ، ١ / ١٠٦ ، اي ٢٨٨ ، التوحيد / ١٠٠ ، الاحتجاج ، ٢ / ١٥٥ ، البحار ، ٣ / ٢٩٥ .

(١٢٦) الكافي ، ١ / ١٠٤ ، اي ٢٨٢ ، التوحيد / ٩٨ ، البحار ، ٣ / ٣٠١ .

(١٢٧) مقالات الإسلاميين / ١ ، ٢٥٧ / ٢ ، ١٨٢ / ٢ . وراجع : الدكتور علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام ، ٢٣٠ / ٢ ، سهير محمد مختار ، التجسيم عند المسلمين / ١٢٧ ، والمصادر المشار إليها فيها .

بنفسه غير «الجسم»، والخطأ والصواب في هذا التعبير يعود إلى اللغة لا إلى الاعتقاد، كما قال الشريف المرتضى، حيث إن «الجسم» في اللغة العربية له معنى واضح محدد، ولا يصح إطلاقه على غير هذا المعنى إلا مجازاً وبقرينة. وكان هشام يعيش في بداية عصر وضع المصطلحات الكلامية والفلسفية في المسلمين، وكان هو من الرواد في محاولة «وضع معجم فلوفي واف بيان المعاني في اللغة العربية» كما قال^(١٢٨).

ولعل السر في هذا التشدد من الآئمة عليهم السلام، وهذا النهي القاطع الصريح عما كان يعبر به هشام يرجع إلى أن «الجسم» - كما أشرنا سابقاً - له مدلوله الواضح عند عامة الناس المنبعث من معناه في اللغة العربية، فإذا أطلق «الجسم» على الله سبحانه - وإن أضيف له «لا كال أجسام» - فإنه يحمل أو يتهم في ذهن العامة إلى التجسيم والتتشبيه لا محالة، إذ يفسر «جسم لا كال أجسام» عندهم بتفسير يقرب مما حكيناه سابقاً من أقوال المحدثين غير الإمامية، الذين قالوا بالتجسيم، والأعضاء، والاجزاء لله سبحانه، ولكنه - عز وجل - لا يشبه في شيء منها بشيء ممما للخلق من الجسم، والأعضاء، والأجزاء، فإن قولهم - المتقدم - معناه - وإن لم يصرحوا به - : إن لله سبحانه «رأس لا كالرؤوس» و «يد لا كالأيدي» و «عين لا كالأعین» ... فهو «جسم لا كال أجسام» ويبقى لفظ «الجسم» يحمل نفس المعنى الذي يفهمه كل أحد منه، لا ذلك المعنى الدقيق الذي يقصده هشام والذي يرتفع عن مستوى الفهم العام، بل وعن فهم العلماء غير المختصين بعلم الكلام، والذي لا يمكن لهشام أن يعبر عنه بلفظ «الجسم» إلا بتفسير

(١٢٨) مونتجمري وات «عصر نشأة الفكر الإسلامي - بالإنجليزية - مطبعة جامعة أدنبره، ١٩٧٣/٢٤٨» وذكره بتفصيل في كتابه الآخر عن الإسلام، ط ١٩٧٤ / في الفصل: «قبول الأراء اليونانية» / ١٣٧ - ١٤٠ ، وكتابه حول هشام / ١٣٧ - والذي اكبر فيه محاولته هذه وإن لها أهمية عظيمة.

وغريرة واضحة. ولأجل هذا يكون لهذا التعبير ايحاء في ذهن السامع بالتجسيم والتشبيه، وإن لم يقصدهما القائل الذي وضع هذا المصطلح، وخاصة اذا كان هذا القائل مثل هشام بن الحكم، بما له من المنزلة السامية عند الأئمة عليهم السلام، والمقام العلمي والديني للسلم به عند شيعتهم.

ويشهد لما قلناه الحديث الآتي عند الكلام حول هشام بن سالم، وفيه يرضى الإمام عليه السلام بما قاله هشام بن الحكم وأصحابه، حيث كان المخاطبون من المختصين بعلم الكلام، وهم يفرقون بين المصطلحات العلمية وبين المعاني اللغوية العامة.

١٦ - رأي غير الإمامية:

ومن المناسب، بل من الطريف جداً أن انقل حول «جسم لا كال أجسام» رأياً لعالم من أشد علماء المسلمين تشددًا وتعنتاً فيما يرجع إلى العقيدة، ومن أكثرهم وقوفاً عندما جاء في الكتاب والسنّة - حسب رأيه - وجموداً على ألفاظهما، ومن اعظمهم إنكاراً لما يراه بدعة وإلحاداً في الدين وهو أبو محمد علي بن احمد ابن حزم الاندلسي (٣٨٤/٤٥٦ - ٩٩٤) قال:

«فإن قالوا لنا: إنكم تقولون أن الله عز وجل حيٌ لا كالحياء، وعلیم لا كالعلماء، وقدر لا كالقادرين، وشيء لا كالأشياء، فلم منعتم القول بأنه جسم لا كال أجسام؟! قيل لهم - وبالله تعالى التوفيق - : لولا النص الوارد بتسميته تعالى بأنه حيٌ وقدير وعلیم ما سميته بشيء من ذلك ، لكن الوقوف عند النص فرض ، ولم يأت نص بتسميته تعالى جسماً ، ولا قام البرهان بتسميته جسماً ، بل البرهان مانع من تسميته بذلك تعالى ، ولو أثنا نص بتسميته تعالى جسماً لوجب علينا القول بذلك ، ولكننا نقول إنه لا كال أجسام ، كما قلنا في علیم وقدير وهي ، ولا فرق . وأما لفظة «شيء» فالنص أيضاً جاء

بها والبرهان أوجبها...»^(١٢٩).

وقال أيضاً: «ومن قال أنَّ الله تعالى جسم لا كال أجسام فليس مشبهًا^(١٣٠) لكنَّ الحدَّ في أسماء الله تعالى، إذ سُمِّاه عز وجلَّ بما لم يسمَّ به نفسه، وأمَّا من قال إنَّه تعالى كال أجسام فهو ملحد في أسمائه تعالى ومشبهٌ مع ذلك»^(١٣١).

وقال ابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي:

«فَإِنَّمَا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ جَسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ بِخَلَافِ الْعَرَضِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَوَهَّمَ مِنْهُ فَعْلُ، وَنَفَوْا عَنْهُ مَعْنَى الْجَسْمِيَّةِ، وَإِنَّمَا أَطْلَقُوا هَذِهِ الْلُّفْظَةَ لِمَعْنَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ، وَذَاتٌ لَا كَالذَّوَاتِ، فَأَمْرُهُمْ سَهْلٌ، لَا كَانَ خَلَافُهُمْ فِي الْعِبَارَةِ، وَهُمْ: عَلَيَّ بْنُ مُنْصُورٍ، وَالسَّكَاكُ، وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالْفَضْلُ بْنُ شَادَانَ، وَكُلُّ هُؤُلَاءِ مِنْ قَدْمَاءِ رِجَالِ الشِّيَعَةِ (...). وَالْمُتَعَصِّبُونَ لِهِشَامَ بْنِ الْحَكَمِ فِي وَقْتِنَا هَذَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِالتَّجَسِيمِ الْمَعْنُوِيِّ»^(١٣٢) وَإِنَّمَا قَالَ: إِنَّهُ جَسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ، بِالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنْ يُونُسَ وَالسَّكَاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَإِنْ كَانَ الْحَسْنُ بْنُ مُوسَى التَّوْبِخِيُّ، هُوَ مِنْ فَضْلَاءِ الشِّيَعَةِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ التَّجَسِيمُ الْمَحْضُ فِي كِتَابِ «الآرَاءِ وَالْدِيَانَاتِ»^(١٣٣).

وَمَا ذَكَرَهُ التَّوْبِخِيُّ إِنَّمَا حَكَاهُ عَنْ طَرِيقِ خُصُومِ هِشَامِ الْمَعْتَزَلَةِ الَّذِينَ سَمِّيَ بَعْضُهُمُ الشَّرِيفُ الْمَرْتَضِيُّ - فِي كَلَامِهِ الْمَتَقْدِمُ -، وَحَكَاهُ عَنْهُ وَعَنْ كِتَابِهِ ابْنِ الْجُوزِيِّ، قَالَ: «وَذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدَ التَّوْبِخِيُّ، عَنِ الْجَاحِظِ، عَنِ النَّظَامِ (...). وَلَكِنَّ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ حَذَفَ السَّنْدَ، وَالسَّبْبَ لَا يَخْفَى».

(١٢٩) الفصل، طبعة الافتتاح، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥/١٣٩٥، ١١٨/٢، ١١٩ - ١٢٠.

(١٣٠) جاء في المطبوع خطأً: مشبهًا.

(١٣١) المصدر، ٢/١٢٠.

(١٣٢) الذي معناه يلزم الجسمية. ويقابلها التجسيم اللغطي، أي التعبير عن الله تعالى بالجسم بما له من المعنى المادي.

(١٣٣) شرح نهج البلاغة، ٣/٢٢٨.

(١٣٤) تلبيس البليس، ٨٣/٨٣.

وقال شيخنا المفيد: «إن الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه، وإنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه (...) وهو مذهب جميع الإمامية، وليسنا نعرف ما حكاه المعتزلة عن هشام بن الحكم في خلافة^(١٣٥) وعندنا أنه تخرص منهم عليه، وغلط ممن قلدهم فيه فحكاه من الشيعة عنه، ولم نجد له كتاباً مصنفاً ولا مجلساً ثابتاً^(١٣٦) وكلامه في أصول الإمامية وسائل الامتحان يدل على ضد ما حكاه الخصوم عنه^(١٣٧)

وهكذا ظهر أن خصوم الإمامية، في موقفهم تجاه هذا القول «جسم لا بالأجسام» كانوا أكثر تسامحاً، وأن الأئمة عليهم السلام كانوا أكثر تشدداً، وقد تقدم مني ذكر ما أراه سبباً لهذا التشدد، ولكنني مع كل هذا لا أرجو ولا أطمع في أن يرجع خصوم الإمامية وخصوم هشام خاصة عن موقفهم تجاههم وتتجاهه! وأرجو الله سبحانه أن يخيب ظني هذا خاصة!

١٧ - براءة هشام من التجسيم والتشبيه:

د - هناك مجموعة من الأدلة وال Shawahid تؤكد لنا بصورة قاطعة براءة هشام ابن الحكم مما نسبه إليه خصوصه من التجسيم والتشبيه، بل وان قوله «جسم لا بالأجسام» لم يستقرّ عليه، نذكر منها ما يلي :

١ - روى علماؤنا أن هشاماً رجع عن قوله «جسم لا بالأجسام» بعد ما أنكره عليه الإمام الصادق عليه السلام^(١٣٨).

(١٣٥) وهو ما تقدم من أنهم نسبوا إليه إنه كان يقول: إن الله تعالى يعلم الحوادث بعد حدوثها، الرأي الذي قال به جهنم.

(١٣٦) يبين فيه رأيه مباشرة في علم الله تعالى.

(١٣٧) أوائل المقالات في المذاهب والمخاترات، تبريز، ط ٢، ٢١ / ١٣٧١ . ٢٢ -

(١٣٨) المفيد، الفصول المختارة، ٢ - ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، الكراجكي ، كنز الفوائد ١٩٨ - ١٩٩ ، البحار، ٣ / ٢٩٠ ، ٤٥٢ / ١٠ ، مرآة العقول ، ٥ / ٢ .

٢ - كلام هشام بن الحكم الذي يرويه الكليني في باب (إبطال الرؤية)، في سياق أحاديث الأئمة عليهم السلام، ويعتله العلامة المجلسي بقوله: «لأنه من أكابر أصحاب المعصومين عليهم السلام، وكان [كلام هشام] مظنة لأن يكون مأخوذاً عنهم»^(١٣٩) يستدل فيه هشام على استحالة رؤية الله سبحانه مطلقاً، بأن الرؤية لا يمكن أن تتعلق إلا بالأجسام، ويقول في آخره: «تعالى الله أَنْ يُشِّبِّهَ شَيْءاً»^(١٤٠). فلو كان هشام ممن يقول بالجسمية لما أمكنه أن يقول ما قال.

٣ - كلامه الذي يرويه الصدوق عنه أجاب به من سأله: بم عرفت ربك؟ فقال: «عرفت الله جل جلاله بنفسه، لأنها أقرب الأشياء إلى» ثم استدل بتركيب جسمه واختلاف أجزائه، واحكام صنعتها، فيقول: «استحال في العقول وجود تأليف لا مؤلف له، وثبتت صورة لا مصوّر لها، فعلمت أن لها خالقاً خلقها، ومصوّراً صورها، مخالفها لها في جميع جهاتها (من جميع جهاتها)^(١٤١) قال الله عز وجل: «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفْلَأُ بَيْنِ رُبُوبِ الْأَجْسَامِ»^(١٤٢).

٤ - قدمنا أسماء مجموعة من كتب هشام المرتبطة بالتوحيد والبحث الراجعة إليه، وكان من جملتها: «كتاب الدلالة على حديث (حدوث) الأجسام» وإن جاء عند الطوسي: (الأشياء) بدل (الأجسام)^(١٤٤). فمن يصف الله سبحانه بأنه «جسم» كيف يولّف كتاباً يثبت فيه أن

(١٣٩) مرآة العقول، ١/٣٤١-٣٤٢.

(١٤٠) الكافي، التوحيد، ١/٩٩-١٠٠، آي ٢٦٩.

(١٤١) أي لا يكون له مالها التركيب والأجزاء، لأنهما يستلزمان النقص وال الحاجة.

(١٤٢) الذاريات، ٥١/٢١.

(١٤٣) التوحيد/٢٨٩، البخاري، ٣/٤٩ - ٥٠.

(١٤٤) التجاشي، الفهرست/٣٠٤، الطوسي، الفهرست/٢٠٤، ابن النديم/٢٢٤، معالم العلماء/١١٥، مجمع الرجال، ٦/٢٢٢، ٢٣٣ أيضاً المكنون، ١/٤٧٦، هدية العارفين، ٢/٥٠٧، الذريعة، ٨/٢٥٤.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ١٩٩

الأجسام فيها دلالة على أنها حادثة مخلوقة غير قديمة!

ولكن هذا الكتاب ككتب هشام الأخرى، وكعامة كتب علماء الإمامية في القرون الأربعة الأولى لم تصلنا، وإن من يرجع إلى الفهرستين الشهيرتين لكتب الإمامية، فهرست شيخ الطائفة الطوسي، وفهرست النجاشي يجد أنَّ تسعين بالمائة من ألف الكتب الواردة أسماؤها فيهما قد ضاعت، ولم يبق منها أيَّ أثر سوى أسمائها المذكورة في الفهارس. وقد شرحت بعض أسباب ذلك عند ما ترجمت لشيخ الطائفة الطوسي في مقدمة توحيد الكافي، واستعرضت مكتبة الشهيرة التي أحرقها الخصوم عدَّة مرات، كما أحرقوا غيرها من المكتبات!

فلم يبق أمامنا أيَّ طريق إلى دراسة هشام من خلال كتبه الكثيرة التي ألفها سوى الاهتداء من عنوانينا إلى موضوعاتها، ومن هذا البصيص الضئيل من النور الاهتداء إلى الآراء التي استعرضها المؤلف فيها، ومن دراسة كتب هشام نستطيع أنْ نحكم بأنَّه ناھض الزنادقة وردَّ عليهم، وناھض أصحاب الاثنين، وناھض المادية التي كانت قائمة يومذاك، والتي كان يُعبر عن معتقداتها بأصحاب الطبائع. ولكنَّ مع كلِّ هذا نجد في الخصوم من يتهمه وأصحابه بالزنادقة، ومن يتهمهم بأنَّهم إنما اخذوا عقائد من أصحاب الاثنين !!

٥ - ما سيأتي في ترجمة هشام بن سالم من أنَّ هشام بن الحكم إنما كان يعارضه لأنَّ آراءه التي اعتمد فيها على أحاديث أما غير صحيحة، أو أنه لم يفهمها على الوجه الصحيح، ويتهمنه بأنَّ هذه الآراء إنما تنتهي إلى القول بالتجسيم، وأنَّ هشام بن الحكم كان ينفي التجسيم.

١٨ - أبو محمد، هشام بن سالم الجواليلي، الكوفي:

قال عنه المترجمون له من الإمامية: «كان هشام بن سالم مولى بشر بن

مروان، من سُبُّي الجُوزَجَان^(١٤٥)) روى عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ثقة، ثقة، صحيح العقيدة، معروف الولاية، غير مدافع^(١٤٦).
ومولاه هو بشر بن مرwan بن الحكم الأموي (ح ٣٠/٦٥١ - ٧٥/٦٩٤) ولد
الكوفة لأخيه الخليفة عبد الملك في أول سنة حلافته ٦٩١/٧١، ثم جمع له
البصرة والكوفة في ١٢ / ٤ - ٧٤ / ٤، ولم تدوما له إلا أشهراً قليلة، فمات
في أوائل ٧٥ / ٦ - ٦٩٤^(١٤٧).

ولا بد لنا من وقفة - ولو قصيرة - عند هذا الجزء من سيرة هشام، إذ أنَّ له
صلة وثيقة بالذى نذكره حول آراء هشام بن سالم وطبيعة الأحاديث التي اعتمد
عليها في القول بما قاله.

والظاهر أنَّ الذي سُبِّي يوم فتح الجُوزَجَان كان أبو هشام سالم لا هشام
نفسه، إذ من البعيد جداً امتداد عمر هشام - مهما فرضنا مبلغ عمره - منذ سنة
٦٥٣/٣٢ عام فتح الجُوزَجَان إلى بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام سنة
١٤٨ / ٧٦٥، مهما فرضنا مبلغ بقائه بعده، بالإضافة إلى أنَّ سالماً اسم عربي
كان من المتعارف يوم ذاك تسمية العبيد به، ولا تصح هذه التسمية إلا إذا كان
المسبَّي يوم فتح الجُوزَجَان أبو هشام، فوضع له اسم عربي، ولا معنى لوضع

(١٤٥) اسم منطقة واقعة بين بلخ، غربها ومرود - معجم البلدان، ١٨٢/٢ ، الروض المعطر
١٨٢ ، بلدان الخلافة الشرقية - بالإنجليزية - / ٤٢٣ - . فتحت سنة ٦٥٣/٣٢ في خلافة
عثمان بن عفان - الطبرى ، ٢٩٠٠ / ١ - ٢٩٠١ ، فتح البلدان ، ٣٠٣ / ٣ - ٥٠٤ .

(١٤٦) النجاشي / ٣٠٥ وفي طبعة ٤٣٤ اي ١١٦٥ ، الكشي / ٢٨١ ، البرقي / ٣٤ - ٣٥ ، مجمع
الرجال ، ٢٣٨ / ٦ ، العلامة خلاصة الاقوال / ١٧٩ ، ابو داود / ٣٦٨ ، معجم
رجال الحديث ، ٣٦٣ / ١٩ - ٣٦٤ .

(١٤٧) الطبرى ، ٨١٦ / ٢ ، ٨٢٢ ، ٨٣٤ ، ابن الأثير ، ٣٣١ / ٤ ، ٣٤٧ ، المعارف / ٣٥٥ ،
٤٥٨ ، ٥٧١ ، تاريخ خليفة ، ٣٤٥ ، ٣٤١ / ١ ، ٣٤٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، تاريخ دمشق ،
١١١ / ١٠ - ١٢٩ ، سير أعلام النبلاء ، ١٤٥ / ٤ - ١٤٦ ، الواقفي بالوفيات ، ١٥٢ / ١٠ -

اسم عربي لمشرك لم يدخل في الإسلام أو في سبي المسلمين، كي يغير اسمه السابق غير العربي إلى اسم عربي.

ولعل نسبة الولاء التي يذكرها شيخ الطائفة الطوسي لهشام بن سالم: (**الجعفي ، مولاهم**)^(١٤٨) إنما ورثها هشام من أبيه سالم، لأنَّ الذين سبوا كانوا من قبيلة جعفي اليمانية القحطانية، وبهذا لا يتناقض مع ما ذكره عامة المترجمين لهشام من أنه كان مولى بشر بن مروان الأموي القرشي العدناني. فإنَّ هذا يدلُّ على أنَّ هشاماً نفسه كان ولاؤه لبشر لأنَّ الذي اشتراه ولا يدلُّ على أكثر من ذلك. وهذا اللاحق فسخ لواء السابق الذي ورثه عن أبيه، ولعلَّ هذا هو السرُّ في تناسي عامة المترجمين له ذكر ولائه السابق المنسوخ، والاكتفاء باللاحق وحده.

ولا أدرِي متى اشتراه بشر، وكم كان عمره يوم أنْ آشتُري، ولكنَّ من المطمئنَّ به أنَّ هشاماً كان يومذاك صغيراً، بل ولعلَّه لم يكن قد بلغ الحلم حين مات مولاه بشر سنة ٦٩٤/٧٥. كما أنَّ من المؤتوق به أنَّ هشاماً لم يكن إمامي المذهب حينما آشتُري، إذ من بعيد أنْ يبيع مواليه السابقون عبداً شيعياً لبشر بن مروان الأموي البعيد عن التشيع، أقصى ما يمكن أنْ يفرض من بعد، إنْ كانوا هم شيعة، وكان بشر يتبعهم في العقيدة، فالظاهر من هذا أنَّه لم يكن شيعياً، بل كان غير إمامي ولاءً وعقيدة، ولعلَّه أصبح أموي العقيدة بعد ما أصبح أموي الولاء. ويبدو من آرائه التي سأذكُرها فيما بعد انه كان قد اتجه إلى سماع الحديث، ويبدو من تلك الآراء، وبحكم نشأته غير الإمامية أنه اتجه إلى سماع الحديث غير الإمامي، وقد تطبَّعت آراؤه وأفكاره بالأحاديث التي سمعها بحيث كان من الصعب عليه التخلُّي عن هذه الآراء! ويبدو أيضاً أنَّ هشام بن سالم بعد سنين طويلة من عمره، ولعلَّه عندما بلغ

الخمسين أو تجاوزه اختار مذهب الإمامية. ويشهد لهذا أنَّ أول من اتصل به من الأئمَّة عليهم السلام كان الإمام الصادق عليه السلام (٨٣/٧٠٢ - ١٤٨/٧٦٥)، مع أنَّه أدرك عصر الإمام السجَّاد (٣٨/٦٥٩ - ٩٤/٧١٢) وعصر الإمام الباقر (٥٧/١١٤ - ٦٧٦/٧٣٣) عليهما السلام، إذ أنا إنْ قدرنا عمر هشام عند وفاة مولاه بشر ٧٥/٦٩٤ عشر سنوات - وفي رأيي أنَّ هذا أقل التقادير لعمره - فإنَّه يكون لهشام عند وفاة الإمام الباقر عليه السلام خمسون سنة. وإنْ حجمَه هذه المدة الطويلة عن الاتصال بإمام زمانه، وتتأخر الاتصال إلى عصر الإمام الصادق، عليه السلام ليس له تفسير معقول سوى أنَّه لم يكن قد قال بالإمامية إلَّا في عصره عليه السلام، فاتصل به.

وقد طال بهشام العمر، فعاش إلى عصر الإمام الكاظم عليه السلام ١٢٩/٧٤٦ - ١٨٣/٧٩٩).

١٩ - ما نسب إليه من التجسيم والتشبيه:

وهشام بن سالم ثانى الهاشاميين، الذي نسبوا إليهما التجسيم والتشبيه الصريحين ونحن نستعرض ما ذكروه - سواء الذي جاء في أحاديث الإمامية أو الذي جاء عند غيرهم :

- ١ - جاء في حديث محمد بن حكيم أنَّه قال: «وصفت لأبي الحسن عليه السلام قولَ هشام الجوالقي وما يقولُ في الشاب المُؤَفِّر...»^(١٤٩).
وحدثَ إبراهيم بن محمد الخازار، ومحمد بن الحسين، قالا: «دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فحكينا له أنَّ محمداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رَبَّهُ في صورة الشاب المُؤَفِّر، في سنِّ ابناء ثلاثين سنة، وقلنا:

(١٤٩) الكافي، ١/١٠٦ اي ٢٨٩، التوحيد/٩٧، البخاري، ٣/٣٠٠.

إن هشام بن سالم، وصاحب الطاق^(١٥٠) والميشمي^(١٥١) يقولون: إنه أجوف إلى السُّرَّةِ، والبُقَيْةِ صمد...^(١٥٢).

وحدث أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن الرضا عليه السلام، قال: «قال لي: يا أَحْمَدُ، مَا الْخَلَافُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَصْحَابِ هَشَامَ بْنِ الْحَكَمِ فِي التَّوْحِيدِ؟ قُلْتُ: جَعَلْتَ فَدَاكَ، قَلَّا نَحْنُ بِالصُّورَةِ، لِلْحَدِيثِ الَّذِي رَوَى: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَسَلَّمَ] رَأَى رَبَّهُ فِي صُورَةِ شَابٍ، فَقَالَ هَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ بِالنَّفِيِّ، بِالْجَسْمِ...»^(١٥٣) ويقصد أن هشاماً نفى الصورة، لأن إثباتها لله سبحانه يلازم أن يكون جسماً.

٢ - ما رواه الكشي عن عبد الملك بن هشام الحناط أنه قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام: «جعلت فداك، زعم هشام بن سالم: أن الله عز وجل صورة، وأن آدم خلق على مثال رب، ويصف هذا ويصف هذا، وأوميت إلى جانبي وشعر رأسي^(١٥٤) وزعم يونس [بن عبد الرحمن، تلميذ هشام بن الحكم] مولى آل يقطين وهشام بن الحكم: أن الله شيء لا كالأشياء وأن الأشياء بائنة منه وهو بائن من الأشياء، وزعمما: أن إثبات الشيء أن يقال جسم، فهو جسم لا للأجسام، شيء لا كالأشياء، ثابت موجود، غير مفقود ولا معدوم، خارج من الحدين: حد الإبطال^(١٥٥) وحد التشبيه، فبأي القولين أقول؟

(١٥٠) هو أبو جعفر محمد بن علي التعمان البجلي، «مؤمن الطاق»، الكوفي (--- ح ١٦٠ / ٧٧٧) المتكلم، الثقة الشهير.

(١٥١) علي بن اسماعيل بن شعيب بن ميشم، ابو الحسن الميشمي.

(١٥٢) الكافي، ١/١٠٠ - ١٠٢ - ١٧٢، اي ١١٣ - ١١٤، التوحيد / ٤، البحار، ٤/٤١ - ٤١.

(١٥٣) علي بن ابراهيم، التفسير، ١/٢٠، البحار، ٣/٣٠٧، تفسير البرهان، ١/٣٨، نور التقليدين، ٥/١٥٥.

(١٥٤) أي يقول بأن الله سبحانه شرعاً واعضاء من بد ورجل... وإنما ذكر هذا بالاشارة تهيباً من التصریح بمثله عن الله سبحانه خاصة أمم الامام عليه السلام.

(١٥٥) أي ابطال دلالة الفاظ الصفات الالهية، كالحي، والقادر، والعليم، والسميع، والبصير على

فقال عليه السلام: أراد هذا [هشام بن الحكم] الإثبات، وهذا [هشام ابن سالم] شبيه ربه تعالى بمخلوق، تعالى الله الذي ليس له شبيه، ولا عذل، ولا مثل، ولا نظير، ولا هو في صفة المخلوقين، لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم، وقل بما قال مولى آل يقطنين [يونس] وصاحبه [هشام بن الحكم]...»^(١٥٦).

٣ - ذكر أصحاب المقالات: أن هشام بن سالم الجوالقي واصحابه

كانوا يقولون:

«إنه تعالى على صورة الإنسان، أعلىه مجوف وأسفله مضمّن، وهو نور ساطع يتلألأً بياضاً، وله حواس خمس كحواس الإنسان، ويد، ورجل، وأنف، وأذن، وفم، وله وفرة سوداء هي نور أسود [إذ كان كلّه نور، فجسمه نور أبيض، ووفرته نور أسود!] لكنه ليس بلحام ولا دم»^(١٥٧).
وأثبتو له كلّ عضو من أعضاء الإنسان (إلا الفرج واللحية)^(١٥٨).

«أنكروا مع ذلك أن يكون جسماً»^(١٥٩)

وذكروا أنّ هذا كان رأي مؤمن الطاق، وعلى بن ميشم^(١٦٠).

لكنّ الشهريستاني والصفدي حكيا عن مؤمن الطاق أنه كان يقول:

«إن الله تعالى نور على صورة إنسان رئاني» ونفي أن يكون جسماً، لكنه

معانيها، لأنّ إثبات الدلالة يلزم منه التجسيم والتشبيه، وقد جاء هذا المعنى، أي نفي الابطال في كثير من احاديث الامامية، وهذا هو المقصود من التعطيل والمعطلة كالجهمية

. ٢٣٧/٦ - ٢٨٥ - ٢٨٤) الكشي /

(١٥٧) مقالات الاسلاميين، ١، ١٠٥/١، ٢٥٩، الشهريستاني، ١٨٥/١، الفرق بين الفرق /٥١،

٣٢١ - ٣٢٠، الانساب، الورقة ٥٩٠/ب، الباب، ٣٨٩/٣، منهاج السنة، ٢٠٣/١

٢٥٩، ومصادر أخرى.

(١٥٨) المقرizi، الخطط، ٢ - ٣٤٨ / ٣٤٩.

(١٥٩) ابن أبي الحديد، ٣ / ٢٢٤.

(١٦٠) ابن أبي الحديد، ٣ / ٢٢٤، الحور العين / ١٤٩.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٠٥

قال: «قد ورد في الخبر: (إن الله خلق آدم على صورته) و (على صورة الرحمن) فلا بد من تصديق الخبر»^(١٦١).

وأضاف الشهريستاني: «وما يُحْكَى عنه من التشبيه فهو غير صحيح»^(١٦٢).

ولكتّهم ذكروا أنه كان يقول بالجبر والتشبيه هو وأصحابه (الشيطانية)^(١٦٣).

و«أن الله جسم محدود متناه»^(١٦٤).

وذكروا (الشيطانية) في (المتشبهة)، وقالوا: «إنهم يتسبون إلى شيطان الطاق، وحكي عنهم: أنه كان يقول بكثير من تشبيهات الروافض [؟]...^(١٦٥).

ومن جانب آخر ذكروا في ترجمة مؤمن الطاق: «وكان معتزلياً^(١٦٦) «شارك كلاماً من المعتزلة والروافض بدعهم»^(١٦٧).

٤ - وأضافوا إلى هؤلاء يونس بن عبد الرحمن اليقطين، البغدادي (ح ٧٤٢/١٢٥ - ٨٢٣/٢٨٠ - ٨٢٤) المحدث والمتكلّم الإمامي الشهير وتلميذ هشام بن الحكم.

قالوا فيه: «وهو من مشبّهة الشيعة»^(١٦٨) «وأفرط يونس في باب

(١٦١) الملل والنحل، ١/١٨٧، الواقي بالوفيات، ٤/١٠٤.

(١٦٢) الملل والنحل، ١/١٨٦.

(١٦٣) البداء والتاريخ، ٥/١٣٢.

(١٦٤) المصدر، ١/٨٥.

(١٦٥) الانساب، ٨/٢٣٨ - ٢٣٩، اللباب، ٢/٢٢٥.

(١٦٦) الواقي بالوفيات، ٤/١٠٤.

(١٦٧) المقريزي، الخطط، ٢/٣٤٨، ٣٥٣.

(١٦٨) الملل والنحل، ١٠/١٨٨، الخطط ٢/٣٥٣.

التشبيه»^(١٦٩) «وزعم أنَّ الملائكة الذين هم حملة العرش يحملون الباري»^(١٧٠) واستدلَّ على أنه محمول بقوله: **﴿وَتَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ﴾**^(١٧١) «إِذْ قَدْ وَرَدَ فِي الْخَبْرِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تِثْطُّ أَحَيَا نَاسًا مِّنْ وَطَأَةِ عَظِيمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ»^(١٧٢).

٢٠ - الحديث غير الإمامي:

ومن الواضح: أنَّ هذه الآراء - صحت نسبتها أم لم تصلح - إنما هي انعكاسات لأحاديث سمعها القائلون، فآمنوا بصحتها وحملوها على ظاهرها. وما جاءت الإشارة إليه من الأحاديث في الآراء نفسها، كما يلي:

١ - حديث أم الطفيلي امرأة أبي بن كعب - الصحابي الشهير - قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم يذكر: أنَّه رأى ربه في المنام في صورة شاب مُؤقرٌ «في خضر، على فراش من ذهب، في رجليه نعلان من ذهب»^(١٧٤). وقوله: «مُؤقرٌ» يعني: «ذا وَقْرَةٍ»^(١٧٥) وقوله: «خَضْرٌ» أي: في ثياب

(١٦٩) الفرق بين الفرق: ٥٣، الأنساب، الورقة ٦٠٣/ب، اللباب: ٤٢١/٣.

(١٧٠) مقالات الإسلاميين: ١٠٦/١، منهاج السنة: ٢٠٧/١، الفرق: ٢١٦، التبصير في الدين: ٤٣.

(١٧١) الحافة ٦٩: ١٧.

(١٧٢) الفرق: ٥٣، الأنساب: ٦٠٣/ب، اللباب: ٤٢١/٣.

(١٧٣) الملل والنحل: ١٨٨/١.

(١٧٤) في الطبراني: في خضر، عليه نعلان من ذهب، وعلى وجهه فراش من ذهب!!.

(١٧٥) والوَقْرَةُ: الشَّفَرُ المُجَمَعُ عَلَى الرَّأْسِ، أَوْ خَصْوصُ مَا سَالَ عَلَى الْأَذْنَيْنِ - الصَّحَاجُ،

النَّهَايَةُ ٢١٠/٨٤٧، القاموس ١٥٥/٢، تاج العروس ٢٠٥/٣، لسان العرب،

٢٨٨ - ٢٨٩، المعجم الوسيط ٢/١٠٤٦.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٠٧ خضر (١٧٦).

وأنظر رأي الذهبي في الحديث (١٧٧) ودفاع السيوطي عن صحته! (١٧٨). وجاء في ترجمة أبي الحسن، علي بن محمد بن بشار البغدادي، الحنبلي (٩٢٥/٣١٣) المحدث الراهد، الذي ذكروا له الكرامات، وأن من كان يحبه فهو صاحب سُنة، وكان قبره إلى عدة قرون بعده ظاهراً معروفاً ببغداد يتبَرّك الناس بزيارته (١٧٩).

«قال أحمد البرمكي : سألت أبا الحسن ابن بشار عن حديث أم الطفيلي، وحديث ابن عباس [سيأتي] في الرؤية [رؤية الله سبحانه] فقال : صحيحان. فعارض رجل ، فقال : هذه الأحاديث لا تذكر في مثل هذا الوقت ! فقال ابن بشار : فَيُدْرِسُ الْإِسْلَامُ !!» (١٨٠).

وحيث أن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم : رأيت ربي في صورة شاب له وفرة (١٨١).

وحيث معاذ بن عقباء : أن رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم حدثه :

(١٧٦) البيهقي، الأسماء والصفات/ ٤٤٧ - ٤٤٧، تاريخ بغداد، ٣١١/١٣، أسد الغابة، ٣٥٦، الطبراني، المعجم الكبير، ١٤٣/٢٥، ابن أبي عاصم، السنة، ٢٠٥/١ اي ٤٧١ ، ومصادر كثيرة أخرى.

(١٧٧) سير أعلام النبلاء، ٦٠٢/١٠ - ٦٠٤.

(١٧٨) الالالي المصنوعة، ٢٨/١ - ٢٩.

(١٧٩) تاريخ بغداد، ٦٦/١٢ - ٦٧، المتنظم ١٩٨/٦ - ١٩٩، شذرات الذهب، ٢٦٧/٢ - طبقات الحنابلة، ٥٧/٢ - ٦٣، المنهج الاحمد، ٧/٢ - ١١، صفة الصفة، ٤٤٦/٢ - ٤٤٧ ، تاريخ الاسلام، (٣٢٠ - ٤٥٧)/٤٥٨ اي ١١٦ .

(١٨٠) طبقات الحنابلة، ٥٩/٢، المنهج الاحمد، ٨/٢.

(١٨١) رواه الطبراني في السنّة، وحکى عن ابي زرعة الرازی، عبد الله بن عبد الكريم (٢٠٠/٨١٥) - ٢٦٤/٨٧٨) من ائمة الحديث، انه قال : هو حديث صحيح لا ينكره إلا معتزلي : - كنز

العمال، ٢٠٤/١ ، منتخبه - هامش مسند احمد - ١١٣/١ ، الالالي المصنوعة، ٢٩/١ -

أنه رأى رب العالمين، عز وجل، في حظيرة القدس، عليه تاج يلتفع
البصري^(١٨٢).

وحدث ابن عباس، عنه، صلى الله عليه [والله] وسلم قال: رأيت ربي
تعالى في صورة شاب أمرد، عليه حلقة حمراء^(١٨٣).
وحدثه الآخر، عنه، صلى الله عليه [والله] وسلم، قال: رأيت ربي عز
وجل، شاب، أمرد، جعد، قطط، عليه حلقة حمراء^(١٨٤).
وأحاديث كثيرة أخرى.

٢ - وأما رؤية النبي صلى الله عليه والله وسلم ربه ليلة المراج (الإسراء)
فما أكثر ما جاء فيها من طرق غير الإمامية:

فيفقول ابن عباس، ويحلف على ذلك: أنه رأى بعينيه ربه مرتين^(١٨٥).
وكان الحسن البصري يحلف بالله: لقد رأى محمد ربه^(١٨٦).
وكان عكرمة يقول: نعم قد رأاه، ثم قد رأاه، ثم قد رأاه حتى ينقطع
النفس^(١٨٧).

وقال النووي: «وذهب جماعة من المفسرين إلى أنه رأه بعينيه، وهو قول

(١٨٢) كنز العمال، ٢٠٤/١، متنبه، ١١٣/١، اللالي المصنوعة، ٣٠/١، عن الطبراني في
السنة، وأخرجه البغوي، كما في الإصابة، ١٤٠/٦.

(١٨٣) تاريخ بغداد، ٢١٤/١١، اللالي المصنوعة، ٣٠/١.

(١٨٤) طبقات الحتاجة، ٤٥/٢ - ٤٦ ودفع عن صحته.

(١٨٥) الترمذى، ٣٩٥/٥، المستدرك على الصحيحين، ٦٥/١، التوحيد وإثبات صفات الرب
، ٢٠٥، ابن أبي عاصم، السنة، ١٩٠/١ اي ٤٣٧ تفسير ابن كثير، ٣٠٤/٣
٧، فتح الباري، ٤٢٤/١٠، الدر المثور، ١٢٤/٦، فتح القدير، ١١٠/٥، شرح
المواهب، ١١٧/٦، ومصادر كثيرة أخرى.

(١٨٦) التوحيد... ١٩٩/٢٠٠، شرح صحيح مسلم للنووى، ٥/٣، فتح الباري، ٢٣١/١٠
عemma القارئ، ١٩٨/١٩، ومصادر أخرى.

(١٨٧) تفسير الطبرى، ٢٨/٢٧، الشريعة/٤٩٦، تفسير ابن كثير، ٤٢٥/٧، الدر المثور،
١٢٤/٦.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٠٩

أنس ، وعكرمة ، والحسن ، والربيع . . . »^(١٨٨)

وسئل أحمد بن حنبل عن ذلك ، فقال : أنا أقول بحديث ابن عباس :
يعينه رأى ربه ، رأه ، رأه - حتى انقطع نفس أحمد .^(١٨٩)

وقال التنوبي : «والراجح عند أكثر العلماء : أن رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم رأى ربه يعني رأسه ليلة الإسراء . . .) وأما رؤيته ، عز وجل يوم القيامة في الموقف ، فعامة لكل أحد من الخلق : الإنسان والجَنْ ، من الرجال والنساء ، المؤمن والكافر ، والملائكة ، وجبريل ، وغيره . . . »^(١٩٠)

وأما الأحاديث نفسها - وما أكثرها - فلا ذكر شيئاً منها سوى حديث واحد رواه محمد بن إسحاق المحدث والمؤرخ الشهير ، بسنده عن عبدالله بن أبي سلمة ، قال :

إن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله بن عباس يسأله : هل رأى محمد ، صلى الله عليه [والله] وسلم ربه؟ فarsل اليه ابن عباس : أن نعم ! فرد عليه عبدالله بن عمر رسُوله : أن كيَفَ رأه؟ فarsل : إنه رأه - زاد يونس [أحد الرواية عن ابن اسحاق] في روايته : في صورة رَجُلٍ شَابٍ - في رُوضَةٍ خضراء ، دونه فراشٌ من ذهب ، على كرسٍي من ذهب ، يحمله أربعة من الملائكة : مَلَكٌ في صورة رجل ، ومَلَكٌ في صورة ثور ، ومَلَكٌ في صورة نَسْرٍ ، ومَلَكٌ في صورة أسد .^(١٩١)

(١٨٨) شرح صحيح مسلم ، ٦/٣ ، المرقاة شرح المشكاة ، ٣٠٦/٥ .

(١٨٩) الشفا ، ١ ، ٢٦٠/١ ، شرح الشفا للخاجي ، ٢٩٢/٢ ، شرح الشفا للقارئ ، ٤٢٢/١ ، الرَّوْضَةُ الْأَنْفُ ، ٤٤٥/٣ ، شرح المواهب اللُّدُنِيَّةِ ، ١٢٠/٦ ، تاريخ الخميس ، ٣١٤/١ .

(١٩٠) شرح صحيح مسلم ، ٥/٢ ، المرقاة ، ٣٠٨/٥ ، السيرة الحلبية ، ١/٤١٠ وراجع بتفصيل : القاضي عياض ، الشفا ، ١ ، ٢٥٧ - ٢٦٠ ، الخجاجي ، شرح الشفا ، ٢ - ٢٨٥/٢ ، ٢٩٢ - ٤٢٣ ، شرح المواهب اللُّدُنِيَّةِ ، ١٠٩/٦ - ١٢٠ .

(١٩١) الأسماء والصفات ، ٤٤٣ ، التوحيد واثبات صفات الرَّبِّ ، ١٩٨ ، الشريعة / ٤٩٤ - ٤٩٥ ، الشفا ، ١ ، ٢٥٨ ، شرحه للخاجي ، ٢٨٧/٢ ، شرحه للقاري ، ٤١٨/١ ، الدر

٣ - وأما ما جاء فيه ذكر الأعضاء والجوارح - إما مجازاً كالذى ورد في القرآن الكريم وكثير من أحاديث السنة، وحمله على المعنى الحقيقي المحسوس غفلة أو تغافل، وإما ما يكون ظاهره المعنى الحقيقي المحسوس ولا يقبل التأويل إلا بتصويرة، وهو أيضاً في السنة كثير - فامتثله كثيرة جداً، وقد تقدم في النماذج التي حكيناها من أقوال المحدثين غير الإمامية الإشارة إلى أمثلة منه. ومما جاء - ولم نذكره - قوله صلى الله عليه وآله وسلم - فيما يروونه عنه - : « يكشف ربنا [يوم القيمة] عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ... »^(١٩٢).

وما جاء في أحاديث عديدة بالفاظ مختلفة: «يقال لجهنم هل أمتلأت وتقول هل من مزيد»^(١٩٣) فلا تمتلي حتى يضع رب / رب العالمين / الرحمن / فيها قدمه (ويُزوى بعضها إلى بعض) فهناك تمتلي ويُزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط، قط، (قط) / قد، قد، قد / قدي، قدي / قذني، قذني^(١٩٤) وعزتك^(١٩٥)

٤ - ما جاء في حديث أبي هريرة: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً»^(١٩٦).

المشرور، ١٢٤/٦ ومصادر أخرى.

(١٩٧) البخاري، ١٩٨/٦، ١٥٩/٩، الدارمي، السنن، ٢/٣٢٦ - ٣٢٧.

(١٩٨) ق. ٥٠.

(١٩٩) أي اكتفيت.

(١٩٥) البخاري، ١٧٣/٦، ١٦٨/٨، ١٤٣/٩، ١٦٤، مسلم، ١٥١/٨ - ١٥٢، الترمذى،

٤/٤ - ٦٩١، ٦٩٢/٥، احمد، ٢/٣٩٠، الطبرى، جامع البيان (التفسير) - ط بولاق -

١٤١ - ٣٤١، ٢٣٤، الدارمي، ٢/٢، الطبرى، جامع البيان (التفسير) - ط بولاق - ٢٦/١٠٧ - ١٠٥، ومصادر كثيرة.

(١٩٦) البخاري، ٦٢/٨، مسلم، ١٤٩/٨، احمد، ٢/٣١٥، ٣٢٣، التوحيد واثبات صفات

الرب / ٣٩ - ٤١، الشريعة / ٣١٤.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢١١

وما جاء في حديث عبدالله بن عمر: «لَا تُقْبِحُوا الوجه فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خَلَقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»^(١٩٧).

وما جاء في أحاديث القيمة: «فِيَأْتِيهِمْ [الْمُؤْمِنُونَ] يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرَفُونَ [بَعْدَ أَنْ أَتَاهُمْ فِي صُورَةٍ لَمْ يَعْرَفُوهُ بِهَا فَأَنْكَرُوهُ] فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا . . .»^(١٩٨).

٥ - وأما المكان، فمن أطرف ما جاء فيه، ما جاء حول «العرش» و«الكرسي» في قوله تعالى: «وَسَعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»^(١٩٩). من قول ابن عباس: «الكرسي / كرسية» موضع قدمه / قدميه / العرش لا يُقدر قدره إلا الله»^(٢٠٠).

وبمعناه حديث عمر بن الخطاب، وأبي موسى الأشعري، وأبي ذر، وابن مسعود^(٢٠١).

وهكذا فسر كثير من قدماء المفسرين^(٢٠٢).

وما جاء حول جلوس الله سبحانه فوق العرش: «إِنَّ اللَّهَ فِي عَرْشٍ، وَإِنَّهُ

(١٩٧) التوحيد . . . ، ٣٨/٣١٥، الشريعة / ٣١٥، ابن أبي عاصم، السنّة، ١/٢٢٨ - ٢٢٩، اي ٥١٧، وانظر دفاع ابن راهويه، واحمد بن حنبل، والذهبي عن صحة الحديث، ميزان الاعتدال، ٤٢٠ - ٤١٩/٢.

(١٩٨) البخاري، ١٥٦/٩، مسلم، ١١٣/١.

(١٩٩) البقرة ٢: ٢٥٥.

(٢٠٠) المستدرك على الصحيحين، ٢/٢٨٢، وصححه الحاكم والذهبى، التوحيد وإثبات صفات رب / ١٠٧، ١٠٨، تاريخ بغداد، ٢٥١/٩ - ٢٥٢، الاسماء والصفات / ٣٥٤، تفسير ابن كثير، ٤٥٧/١، الدر المنشور، ٣٢٧/١، فتح القدير، ١/٢٧٣، روح المعاني، ١٥٤/١٦، ١٥٤/٣.

(٢٠١) الطبرى التفسير - ط بولاق - ٧/٣، الاسماء والصفات / ٣٥٣ - ٣٥٤، الدارمى، السنن، ٣٢٥/٢، المستدرك على الصحيحين، ٢/٣٦٤ - ٣٦٥، الدر المنشور، ٢٩٨/٣، طبقات الحنابلة، ١٣٤/١.

(٢٠٢) الطبرى، التفسير، ٣/٧.

لَيُطِّلُّ بِهِ أَطْبِطَ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ بِالرَّاكِبِ، إِذَا رَكِبَ مَنْ يُتْقَلِّهُ^(٢٠٣) «وَإِنَّهُ لِيَقْعُدُ عَلَيْهِ فَمَا يَفْضُلُ مِنْهُ إِلَّا قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِعِ»^(٢٠٤) وَإِنَّ هَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي يَفْضُلُ - قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِعِ - قَدْ أَعْدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَخْلَاهُ لِمُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لِيُجْلِسَهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢٠٥) وَذَلِكَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى : «عَسَى أَنْ يَعْنِتَ رَبُّكَ مَقَاماً مُحَمُّداً»^(٢٠٦) .

وَقَدْ دَافَعَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ صِحَّةِ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَعَنِ الْجَلوْسِ دَفَاعًا حَارَّاً^(٢٠٧) كَمَا قَدْ دَافَعَ عَنِ الْخَلَالِ دَفَاعًا أَقْوَى مِنْ ابْنِ جَرِيرٍ بِكَثِيرٍ، فِي كِتَابِهِ^(٢٠٨) وَقَدْ رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ وَمُجَاهِدَ، وَأَتَبَعَهُ بِمِنَامَاتٍ وَحَكَائِيَاتٍ، وَأَقْوَالَ مُحَدِّثِينَ، وَأَنَّ مِنْ أَنْكَرِهِ جَهْمِيًّا، ثَنَوِيًّا، كَافِرًّا، زَنْدِيقًّا، يَجُبُ قُتْلَهُ !

وَحَكَى أَبُوبَكْرُ النَّقَاشُ، عَنْ أَبِي دَاؤِدِ السِّجَستَانِيِّ، سَلِيمَانَ بْنَ الْأَشْعَثِ^(٢٠٩) - ٨١٧/٢٠٢ - ٨٨٩/٢٧٥) صَاحِبُ الْسِنَنِ الشَّهِيرَةِ، أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ أَنْكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ [حَدِيثُ الْجَلوْسِ] فَهُوَ عَنْدَنَا مُتَّهِمٌ [بِالرَّدَّةِ وَالْخُروْجِ عَنِ الدِّينِ] فَمَا زَالَ

(٢٠٣) أَبُو دَاؤِدُ، الْسِنَنُ، ٤/٤٢٤، التَّوْحِيدُ وَإِثْبَاتُ صَفَاتِ الرَّبِّ/١٠٤ - ١٠٣، الشَّرِيعَةُ/٢٩٣، تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٣/٨، الْأَسْمَاءُ وَالصَّفَاتُ/٤١٧ - ٤١٩، ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، الْسُّنْنَةُ، ١/٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢٠٤) الدَّارَامِيُّ، الرَّدُّ عَلَى بَشَرِّ الْمَرِisiِّ ٥٧٤ - ٥٧٦، عَقَائِدُ السَّلْفِ/٤٣٢، تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ، ٣/٣٢ - ٣٢/١٣، عَوْنُ الْمَعْبُودِ، ٨/٣.

(٢٠٥) تَارِيخُ بَغْدَادِ، ٨/٥٢، طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ، ٢/٦٧.

(٢٠٦) الإِسْرَاءُ، ٧: ٧٩.

(٢٠٧) الدَّارَامِيُّ، ٢/٢٣٣، ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، الْسُّنْنَةُ، ١/٣٠٥ = ٦٩٥، الشَّفَاءُ، ١/٢٩١، ابْنُ الجُوزِيِّ، زَادُ الْمَسِيرِ، ٥/٧٦، الدَّرُّ الْمُتَشَوِّرُ، ١/٣٢٨، ٤/١٩٨، شَرْحُ الْمَوَاهِبِ الْلَّذُّنِيَّةِ، ٨/٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢٠٨) جَامِعُ الْبَيَانِ، طَبَّلَاقِ، ١٥/٩٩ - ١٠٠، وَقَالَ الْقَرْطَبِيُّ : وَعَصَدَ الطَّبَرِيُّ جُوازَ ذَلِكَ بِشَطَطِ مِنَ الْقَوْلِ - احْكَامُ الْقُرْآنِ، ١٠/٣١١.

(٢٠٩) الْسُّنْنَةُ، تَحْ : الدَّكْتُورُ عَطِيَّةُ الزَّهْرَانِيُّ، دَارُ الرَّاِيَةِ، الْرِيَاضُ، طِ١، (١٤١٠/١٩٨٩)، ١/٢٠٩ - ٢٣٦ = ٢٣٦ - ٢٦٩.

أهل العلم يُحدِّثون به [خوفاً من الاتهام] ^(٢١٠).

وحكى ابن قيم الجوزية، تلميذ ابن تيمية الشهير، عن القاضي أبي يعلى الحنفي أنه قال: صَنَفَ الْمَرْوُزِيُّ كِتَاباً فِي فِضْلَةِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ فِيهِ إِعْدَادَهُ عَلَى الْعَرْشِ. وَذَكَرَ الْقَاضِي أَنَّهُ قَوْلُ جَمَاعَةِ [وَعَدُّهُمْ سَبْعَةُ وَعَشْرَينَ وَذَكَرَ أَسْمَاءَهُمْ] وَأَضَافَ أَبْنَ الْقِيمِ: «وَهُوَ قَوْلُ أَبْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَإِمامُ هُؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مُجَاهِدٌ إِمَامُ التَّفْسِيرِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبْنِ الْحَسَنِ الدَّارِقَطْنِيِّ ...» ^(٢١١).

والمرزوقي هو: أحمد بن محمد بن العجاج، أبو بكر المرزوقي (المرزوقي) البغدادي (ح ٢٠٠ - ٨١٦ / ٢٧٥ - ٨٨٨). قال فيه الذهبي: الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام ^(٢١٢) (...). وكان إماماً في السنة، شديد الآباء، من أجل أصحاب أحمد بن حنبل والمقدم فيهم لورعه وفضله ولأنه حمل عن أحمد علمًا كثيراً، وكان أحمد يأنس به وينبسط إليه، وهو الذي تولى إغماض أحمد لما مات وغسله، وروى عنه مسائل كثيرة، وأسنده عنه أحاديث صالحة؛ كما قالوا في ترجمته ^(٢١٣).

وقد وقعت بسبب هذا القول وكتاب المرزوقي فيه فتنة دامية ببغداد، كما

(٢١٠) القرطبي، أحكام القرآن، ٣١١/١٠، أبو حيان، البحر المحيط، ٧٢/٦، القسطلاني، المواهب اللذنية، ٤١١/٢، الرزقاني، شرح المواهب، ٣٦٨/٨، الشوكاني، فتح القدير، ٢٥٢/٣، الألوسي، روح المعانى، ١٤٢/١٥.

(٢١١) ابن القيم، بدائع الفوائد، ٤/٤ - ٤٠، ذكر الخلال كتاب استاذه المرزوقي في السنة، ٢٧/١ = ٢٤٩ وذكر بعده ومن وافقه فيه - ٢١٧/١ - ٢٦٦ - ٢١٨ - ٢١٧ - ٢٦٧. سير أعلام النبلاء، ١٧٣/١٣، ١٧٥.

(٢١٢) تاريخ بغداد، ٤/٤ - ٤٢٥، المتنظم، ٥ - ٢ - ٩٤/٢ - ٩٥، طبقات الحنابلة، ١/٥٦ - ٦٣، المنهج الأحمد، ١/١٧٢ - ١٧٤ تاريخ الإسلام، ٢٦١ - ٢٨٠ - ٢٧٣ - ٢٧٥، سير أعلام النبلاء، ١٧٣/١٣ - ١٧٦، العبر، ٢/٥٤، ابن كثير، ١١/٥٤، شذرات الذهب، ١٦٦، ابن الأثير، ٧/٤٣٥، مرآة الجنان، ٢/١٨٩، الوافي بالوفيات، ١٠/٣٩٣.

يذكر ابن الأثير وغيره في أحداث سنة ٩٢٩/٣١٧ «ففيها وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجندي فيها، وسبب ذلك: أن أصحاب المروزي قالوا، في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَعْثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ هو: أن الله سبحانه يُقْعِدُ النبي صلى الله عليه [والله] وسلم معه على العرش، وقالت الطائفة الأخرى: إنما هو الشفاعة [وهو التفسير الصحيح المتفق عليه بين الشيعة وكثير من علماء السنة] فوقيع الفتنة واقتتلوا، فقتل بينهم قتلى كثيرة»^(٢١٤).

٦ - ولم أجده تفسيراً معقولاً لما نسب إلى الجواليقي من قوله: أنه سبحانه أجوف إلى السرّة، والبقاء صمد، سوى أنه فسر «الصمد» بالمضممت - التفسير الذي ستأتي الإشارة إليه - ووجد ما دلّ على أن الله سبحانه من الأعضاء والجوارح ما يتنافي وكونه مضممتاً من رأسه إلى قدمه! وقد مرّ أنه أثبت له سبحانه، كلّ عضو «إلا الفرج واللحية» فاضطر إلى أن يجزئه سبحانه جزئين: أعلى مجوف، وأسفل صمد مضممت لا فرج له!

٧ - ما نسب إلى الهشاميين جاء منسوباً إلى غيرهم:

ومن المناسب جداً أن نذكر أنّ ما نسبوه إلى هشام بن الحكم أو إلى هشام الجواليقي قد حکوه عن آخرين سبقوهما أو كانوا معاصرین لهما، منهم:

١ - أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، البلخي، المروزي (ح ٧٠٩/٦٨٩ - ٧٦٧/١٥٠) سمع الكثير وحدث الكثير، واختص بالتفسير. جال في البلاد الإسلامية: مرو، ثم العراق، والحجاج، والشام، ففسر وحدث بمكة، وبغداد، وبيروت، واستقرّ أخيراً بالبصرة وبها مات. اشتهر بتفسير القرآن الكريم حتى قال عنه الشافعي: الناس عيال على مقاتل في التفسير. وكان ممن يُضرب به المثل في القول بالتجسيم والتشبيه الصربيحين، والكذب

(٢١٤) ابن الأثير، ٢١٣/٨، ابن كثير، ١٦٢/١١، أبو الفداء، ٧٤/٢ - ٧٥، ابن الوردي، ٣٩٠/١، تاريخ الخلفاء/٣٨٤.

في الحديث. خاًصم بلديّة جهم بن صفوان عقائدياً وسياسياً. قال ابن حبان: كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي يوافق كلامهم، وكان مشبهاً يشبهه الرب بالمخلوقين^(٢١٥).

قال هو واصحابه: إن الله جسم، وله جمّة^(٢١٦) وإنّه على صورة الإنسان، لحم، ودم، وشعر، وعزم، له جوارح وأعضاء، من يد، ورجل، ورأس، وعيّن، مضمّت، وهو مع هذا لا يُشَبِّهُ غيره ولا يُشَبِّهُ غيره^(٢١٧). واضاف المقدسي ونشوان الحميري: وأنه سبعة أشبار بأشبار نفسه^(٢١٨) ويقصدون من أصحاب مقاتل جماعة من أصحاب الحديث تأثروا به، وقالوا بمثل مقالته، منهم:

أ - رببه نوح بن أبي مریم (يزید)، أبو عصمة المرزوقي، الحنفي، قاضي مرو (ح ١٤٨٩ / ٧١٩ - ٧٣٠ / ١٧٣) سمع الكثير وروى الكثير، وتفقه على أبي حنيفة، وخرج حديثه الترمذى وابن ماجة في التفسير. تزوج مقاتل أمّه فرباه، فأخذ أبو عصمة منه آراءه، وقالوا فيه ما قالوا في شيخه مقاتل^(٢١٩).
ب - أبو عبدالله، ثعيم بن حمّاد بن معاوية الأعور الخزاعي، المرزوقي، ثم المصري (ح ١٤٨١ / ٧٦٥ - ٢٢٨ / ٨٤٣) من أعلام المحدثين،

(٢١٥) راجع: ابن حبان، كتاب المجروحةن «الضعفاء»، ١٤/٣ - ١٦ - ١٤/٢، تاريخ بغداد، ١٣٦٠ / ١٦٩، ميزان الاعتدال، ٤ / ١٧٢ - ١٧٥، تهذيب التهذيب، ١٠ / ٢٧٩ - ٢٨٠، سير أعلام النبلاء، ٧ / ٢٠٢ - ٢٠١، تاريخ الإسلام / ١٤١ - ١٤٠ / ٦٣٩ - ٦٤٢، طبقات المفسرين، ٢ / ٣٣١ - ٣٣٠ = ٣٣١ - ٦٤٢.

(٢١٦) وفّة، ما ترأّمى من شعر الرأس على المنكبين، المعجم الوسيط، ١ / ١٣٧.

(٢١٧) مقالات المسلمين، ١ / ٢١٣، ٢١٤، ٢٥٨ - ٢٥٩، الفصل، ٤ / ٢٠٥، البدء والتاريخ، ١٤١ / ٣ - ١٤١ / ٥، ابن أبي الحميد، ٢٢٤ / ٣.

(٢١٨) البدء والتاريخ، ١ / ٨٥، ١٤١ / ٥، الحور العين / ١٤٩.

(٢١٩) ابن حبان، الضعفاء، ٣ / ٤٨ - ٤٩، ميزان الاعتدال، ٤ / ٢٧٩ - ٢٨٠، تهذيب التهذيب، ١ / ٤٨٦ - ٤٨٩، ومصادر أخرى.

كان إماماً في السنة. خرج حديثه البخاري، ومسلم في مقدمة صحيحه وأبوا داود، والترمذني، وابن ماجة. حُملَ من مصر إلى العراق في خلافة المُعتصم العباسي لامتناعه عن القول بخلق القرآن، فُحبس إلى أن مات فُدُن بقيوده، ولم يُكفن ولم يُصلّى عليه.

كان كاتباً لأبي عصمة فرباه ومنه تعلم، ووضع كتاباً كثيرة في الرد على الجهمية. وقالوا فيه ما قالوه في شيخيه، ولكنهم لم يكتبوه صريحاً، إلا الدولابي، والأزدي، لأنهم عدوه من شهداء محيتهم^(٢٠).

وراجع النص على أنهما تبعاً مقاتلاً في التشبيه والتجمسي، مما ودادوا الجواربي - الآتي - (الملل والنحل ١/١٨٧، تلبيس إبليس : ٨٦، شرح ابن أبي الحديد ٣/٢٤).

٢ - أبو المُشْتَى معاذ بن معاذ العنبرى، البصري، قاضي البصرة (١١٩ - ٧٣٧ / ٨١٢) من أعلام المحدثين، اتفقوا على توثيقه وتخرير حديثه، منهم أصحاب الكتب الستة وغيرهم^(٢١).

قال بعض الرواة: سالت معاذاً العنبرى، فقلت: ألم وجه؟ فقال: نعم! حتى علدت جميع الأعضاء من أنف، وفم، وصدر، وبطن، واستحييت أن أذكر الفرج، فأومأت بيدي إلى فرجي؟ فقال: نعم! فقلت: ذكر أم أنثى؟ فقال: ذكر!^(٢٢).

ودخل انسان على معاذ بن معاذ قاضي البصرة يوم عيد، وبين يديه لحم في طبیخ سکباج، فسأله عن الباري تعالى في جملة ما سأله، فقال: هو، والله،

(٢٠) تاريخ بغداد، ١٣٠٦ - ٣١٤، ميزان الاعتدال، ٤/٢٦٧ - ٢٧٠، تهذيب التهذيب، ٤٥٨ - ٤٦٣، ومصادر أخرى.

(٢١) تهذيب التهذيب، ١٠ - ١٩٤، تقریب التهذيب، ٢/٢٧٥، تاريخ بغداد، ١٣١ - ١٣٤.

(٢٢) ابن أبي الحديد، ٣/٢٤ - ٢٥٢.

مثل هذا الذي بين يدي ، لحم ودم !^(٢٣).

٣ - داود الجواربي :

لم يذكروا عنه شيئاً، بل ولا اسم أبيه، سوى ما حکوه عن يزيد بن هارون الواسطي(١١٨) - ٧٣٦ / ٢٠٦ - من اعلام المحدثين المتفق عليهم - أنه كان يقول: الجواربي والمريسي [بشر بن غياث] كافران. وكان يذكر أن داود الجواربي عَبَر جسر واسط فانقطع الجسر، ففرق من كان عليه [سوى داود الذي نجَا] فكان يزيد يقول: أنَّ الذي «خرج شيطان فقال: أنا داود الجواربي»^(٢٤).

ومن هذا يظهر انه كان عراقياً، وأنه وبشراً متعاصراً.

عَدُّ الاشعري داوداً واصحابه من فرق المُرجحة، وعده الشهريستاني ، هو ونعيم بن حماد من مشبهة أصحاب الحديث الحشووية الذين وافقوا مقاتل ابن سليمان . وهكذا صنع عبد القاهر البغدادي ، وأبي المظفر الاسفرايني ، وغيرهما فعدوه من «المشبّهة» لا من «الرافضة» او «الرافضة المشبهة».

وحکوا عنه انه كان يقول: «إِنَّ مَعْبُودَه جَسْمٌ، وَلَحْمٌ، وَدَمٌ، وَلَهُ جَوَارِحٌ وَأَعْضَاءٌ، مِنْ يَدٍ، وَرِجْلٍ، وَرَأْسٍ، وَلِسانٍ، وَعَيْنَيْنِ، وَأَذْنَيْنِ، وَمَعَ ذَلِكَ جَسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ، وَلَحْمٌ لَا كَاللَّحْومِ، وَدَمٌ لَا كَالدُّمَاءِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الصَّفَاتِ، وَهُوَ لَا يُشَبِّهُ شَيْئاً مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ»، وهو أجوف من أعلىه إلى صدره، مُضْمِتٌ مَا سُوِيَ ذَلِكَ، وَأَنَّ لَهُ وَفْرَةَ سُودَاءَ، وَلَهُ شَعْرٌ قَطْطُ». وكان داود الجواربي يقول: «اعفوني عن الفرج واللحية ، واسأليوني عما وراء ذلك ، فإن في الأخبار ما يثبت ذلك»^(٢٥).

(٢٢٣) ابن المرتضى ، المتنية والأمل / ١١٦ ، ابن أبي الحديد ، ٢٢٥ / ٣ .

(٢٢٤) ميزان الاعتدال ، ٢٣ / ٢ ، لسان الميزان ، ٢ ، ٤٢٧ / ٢ ، تاريخ الاسلام (٢٢١ - ٤٧٦) / ٢٣٠ . ٤٩٧ =

(٢٢٥) مقالات الاسلاميين ، ٢١٤ / ١ ، ٢١٤ ، ٢٥٨ - ٢٥٩ ، الملل والنحل ، ١٠٥ / ١ ، البده والتاريخ ، ١٤٠ / ٥ ، الفرق بين الفرق ، ٢١٦ ، ٣٢٠ ، اصول الدين / ٣٣٧ ، ٧٤ ، التبصير في الدين / ١٠٧ ، تلبيس ابليس / ٨٦ ، ٨٧ .

ولكن ابن حزم عَدَه في جملة الشيعة^(٢٢٦) وقال: «وكان داود الجواربي^(٢٢٧) من كبار متكلميهم، يزعم أن ربه لحم ودم، على صورة الإنسان»^(٢٢٨).

وقال السمعاني: «وعنه [عن هشام الجوالقي] أخذ داود الجواربي قوله: إنَّ معبوده له جميع أعضاء الإنسان، إِلَّا الفرج واللحية»^(٢٢٩).
 وقال الذهبي، وأقره عليه ابن حجر العسقلاني: «داود الجواربي، رأس في الرافضة والتجسيم، من مرمي جهنم»^(٢٣٠) وقال الذهبي أيضاً: داود الجواربي كان رافضياً مجسماً كهشام بن الحكم^(٢٣١).
 ولم تذكره المصادر الإمامية بشيء، بل لم يأت اسمه في أي منها، قد يمها وحديتها.

٤٤ - هشام بن الحكم والرد على الجوالقي . وما نسب إليه من الرد على مؤمن

الطاقة: *مراجعة تأثیرات علوم سلامي*

ولم تكن معارضه الجوالقي فيما يقوله خاصة بالأئمة عليهم السلام، فقد كان هشام بن الحكم وأصحابه يعارضون الجوالقي ، كما جاء فيما رواه علي ابن ابراهيم بسنده الصحيح ، عن احمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي - وقد تقدم الحديث -. ولهمشام بن الحكم: «كتاب الرد على هشام الجوالقي»^(٢٣٢).

(٢٢٦) الفصل، ٢ / ١١٢، ٤ / ٩٣.

(٢٢٧) في المطبوع: الجوازي ، وفي اللسان: الجواري.

(٢٢٨) الفصل، ٤ / ١٨٢ ، سير أعلام النبلاء، ١٠ / ٥٤٤ ، لسان الميزان، ٢ / ٤٢٧.

(٢٢٩) الانساب، الورقة ٥٩٠ / ب ، اللباب ، ٣ / ٣٨٩.

(٢٣٠) ميزان الاعتدال، ٢٣ / ٢ ، لسان الميزان، ٢ / ٤٢٧.

(٢٣١) تاريخ الاسلام ٤٩٧ = ٤٧٦ - ٢٢٠ / ٢٢١ .

(٢٣٢) الطوسي ، الفهرست ، ٢٠٤ / ٣٠٤ ، التجاشي / ٢٢٤ ، ابن النديم / ٢٢٤ ، معالم العلماء

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢١٩

وذكر المترجمون لهشام بن الحكم في قائمة كتبه: «كتاب الرد على شيطان الطاق»^(٢٣٣) ولم يصلنا الكتاب نفسه حتى نعرف الذي يقصده هشام بـ«شيطان الطاق»، ولم يفسّره الذين ذكروا الكتاب له، ولعل التفسير الذي يبدو لأول مرة: أن المقصود به مؤمن الطاق، أبو جعفر البجلي، المتقدّم ذكره مع هشام الجواليقي، هو والميثمی، ولكنّي في شكٍّ مريبٍ من هذا التفسير، بل أكاد أجزم بعدم صحته، وأنه تفسير خاطئ، وذلك:

أن علماء الإمامية متفقون أن تلقيب أبي جعفر الأحول، البَجْلِي بـشيطان الطاق إنما جاء من قبل المخالفين «الخصوم» للإمامية، والإمامية يلقبونه «مؤمن الطاق»^(٢٣٤) وقد علم به غيرهم فحكاه عنهم^(٢٣٥) وذكروا له لقباً آخر: «شاه طاق / شاه الطاق» «ملك الطاق»^(٢٣٦) وقال ابن النديم: «وشيّعه تسمية شاق الطاق أيضاً»^(٢٣٧).

بل إن ابن حجر يحكى عن ابن أبي طيّع - العالم الإمامي الشهير - أن أحد الأقوال في تلقيبه «مؤمن الطاق» ما عبر عنه ابن حجر بلسانه الخاص: وقيل: إن هشام بن الحكم شيخ الرافضة لما بلغه أنّهم [خصوم الإمامية] لقبوه

→ ١١٥/ ، مجمع الرجال، ٢٢٢/٦ ، ٢٢٣/٢ ، ايضاح المكنون، ٢٩٨/٢ ، هدية العارفين، ٥٠٨/٢ ، الذريعة، ٢٣٧/١٠ .

(٢٣٣) الطوسي /٢٠٤ ، النجاشي /٣٥٥ ، «ابن» النديم /٢٢٤ ، معالم العلماء /١١٥ ، مجمع الرجال، ٢٣٣/٦ ، ٢٣٤/٢ ، هدية العارفين، ٥٠٧/٢ ، الذريعة، ٢٠٣/١٠ .

(٢٣٤) الكشي /١٨٥ ، البرقي، الرجال /١٧ ، المفید، الاختصاص /٤ ، الطوسي ، الفهرست /١٥٧ ، الرجال /٣٥٩ ، النجاشي /٢٢٨ ، ابن شهرآشوب ، معالم العلماء /١١٥ .

(٢٣٥) «ابن» النديم /٢٢٤ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٥٥٣/١٠ - ٥٥٤ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٤/١٠٤ ، ابن حجر ، لسان الميزان ، ٥/٣٠٠ ، الشهستانی ، الملل والنحل ، ١٨٦/١ .

(٢٣٦) الطوسي ، الفهرست /٢٢٢ ، الرجال /٤٠٢ ، مجمع الرجال ، ٦/٧ .

(٢٣٧) تكمّلة الفهرست - راجع الفهرست - ط تجدد ، الهاشم /٤ ، ٢٢٤ ، ط الاستقامة /٢٥٨ .

شيطان الطاق، سماه هو مؤمن الطاق^(٢٣٨).

ولم يكن هذا اللقب «مؤمن الطاق» قد استقرّ له بعد عصره، بل أنَّ المعاصرين له كانوا يلقبونه به، فجاء عن هشام بن سالم الجواليقي نفسه^(٢٣٩) وفي حديث آخر^(٢٤٠) ويونس بن يعقوب^(٢٤١) وأبى بن عثمان الأحمر^(٢٤٢) وأبى مالك الأحسنى^(٢٤٣) وشريك بن عبدالله النخعى^(٢٤٤) فمن البعيد جداً - والحال هذه - أنْ ينجزه مثل هشام بن الحكم بهذا اللقب الذى لا ينجزه به إلا خصم الإمامية - وقابلهم أصحاب الإمامية بلقب آخر يليق به وبكرامته ومنزلته - بل أنَّ هشاماً نفسه هو الذى بدأ بمعارضتهم واختار له «مؤمن الطاق» في أحد الأقوال في سبب تلقيه بهذا اللقب المؤمن، وقد تقدَّم.

ويضاف إلى هذا أنَّى لم أجد في أحاديث الإمامية ما يدلُّ على وقوع الخصومة بين هشام ومؤمن الطاق، بل ولا أى نوع من الخلاف بينه وبينه بصورة مباشرة - كما وجدنا ما دلَّ على الخلاف بينه وبين هشام الجواليقي - ومثل هذا التلقيب ليس له من مبررٍ، ولا فيما إذا اشتدت الخصومة والعداء، إلا عند المهاورة والتنابز بالألقاب. نعم جاء فيما ذكرته سابقاً، عند الكلام عن الجواليقي أنَّ مؤمن الطاق والميسمى تبعاً الجواليقي في رأيه، فالرَّدُّ عليه ردٌّ عليهما، وهشام بن الحكم قد فعل ذلك.

ويضاف إلى هذا كلَّ ما ذكرته عند الكلام عن سيرة هشام بن الحكم من شهادة أعدائه بخلق هشام، وإنَّه تصادق مع خارجي أبياضي تلك الصداقة التي

(٢٣٨) لسان الميزان، ٥ / ٣٠١ - ٣٠٠.

(٢٣٩) الكشي / ٢٨٢ ، البحار، ٤٧ / ٢٦٢.

(٢٤٠) الكشي / ٢٧٥ - ٢٧٧ ، البحار، ٤٧ / ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢٤١) الكشي / ٢٧١.

(٢٤٢) الاحتجاج، ٢ / ١٤٠ ، البحار، ٤٦ / ١٨٠.

(٢٤٣) الكشي / ١٨٦ - ١٨٨ في ثلاثة احاديث - ، البحار، ٤٧ / ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٢٤٤) الاحتجاج، ٢ / ١٤٤ - ١٤٨ ، البحار، ٤٧ / ٣٩٦ - ٤٠٠.

استمرت سنين طويلة، والتي ضرب بها المثل في حسن الصحبة وجميل العشرة، والتي أفضلت على جميع المتضادين - كما يقول الجاحظ - فهذا النبز، بهذا المستوى مما يأبه خلو من لم يكن في مستوى هشام بن الحكم، فكيف به!

فمن هذا كلّه وغيره أقول - وأنا واثق بصحة ما أقول - : أنّ هشاماً في كتابه هذا يردّ على شخص آخر غير مؤمن الطاق، وكان هذا اللقب «شيطان الطاق» له قبل أن يلقي بمؤمن الطاق به، وكانت خصوصيته للإمامية ولهاشم بلغت الحدّ الذي لم يجد هشام بأساً في نبره بمثل هذا اللقب الشائن، ولكن الخصوم قد حرّقوا اللقب عن موضعه، ونبذوا به مؤمن الطاق، لأنّه كان يسكن طاق المحامل بالكوفة، فكان يقال له «الطاقي» أو «صاحب الطاق»^(٢٤٥) وتتوسي صاحب اللقب الأول إلى أنّ نسي، فحصل مثل هذا النبز، وفيما قدّمت من النماذج الكثيرة من فعل الخصوم ما يبرر لي مثل هذا الظنُّ الحسن بهم وبخلقهم وسلوكهم!

وممّا يدلّ على أنّ هذا اللقب لم ينبع به مؤمن الطاق وحده أنّ الخطيب يترجم لرأي غير إمامي ويقول : «أحمد بن هارون، يعرف بشيطان الطاق، من أهل سرّ من رأى»^{(٢٤٦) (٢٤٧)}.

٢٣ - نظرية إلى الحديث غير الإمامي :

ومن دراستنا هذه التي اضطررنا إليها ظهر أنّ من اتهموا من الإمامية بالتجسيم والتشبيه - سواء أصحّت عليهم التهمة أم لا - إنّما قامت التهمة على أساس ليمانهم بأحاديث تسرّبت إليهم من طرق غير الإمامية - وما قدمنا من

(٢٤٥) راجع المصادر المتقدمة حول لقبه.

(٢٤٦) أي : سامراء الحالية - العراق.

(٢٤٧) تاريخ بغداد ، ١٩٦/٥ .

الامثلة تشهد بذلك -، وكانت هذه الأحاديث نفسها هي التي جرّت غيرهم إلى التجسيم والتشبيه عالمين أو غير عالمين وبذلك توافقت آراؤهم - أو توافق ما حكوه من آرائهم ، وإن لم يثبت أنهم ، أو أن البعض منهم قد آمن بها - . وكمثال واحد لتأثير هذه الأحاديث في البيئة الإمامية ، يضاف إلى الأمثلة

المتقدمة ، ما يرويه الصدوق بسنده عن يعقوب السراج ، قال :

قلت لأبي عبد الله ، عليه السلام : إنَّ بعض أصحابنا يزعم أنَّ الله صورة مثل صورة الإنسان ، وقال آخر : إنَّه في صورة أمرد ، جَعْد ، قَطْط [راجع ما تقدم] فخرَ أبو عبد الله ، عليه السلام ساجداً ، ثم رفع رأسه ، فقال : سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ ، وَلَا تَدْرِكُه الْأَبْصَارُ ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ عِلْمٌ ، لَمْ يَلِدْ ، لَأَنَّهُ الْوَلَدَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ، وَلَمْ يُولَدْ فِي شَيْءٍ مَّا كَانَ قَبْلَهُ ، كَفُوا أَحَدٌ ، تَعَالَى عَنْ صَفَةِ مِنْ سُواهُ عُلُوًّا كَبِيرًا^(٢٤٨) .

وهناك عامل آخر ، أكتفي فيه بذكر شاهد واحد عليه ولا أشرح ولا أغلق ، وهو ما جاء عن ابن أبي عمير ، محمد بن زياد الأزدي البغدادي (٢١٧ / ٨٣٢) المحدث والعالم الإمامي الشهير ، فيما يرويه الكشي عن الفضل ابن شاذان ، قال :

سأله أبو محمد بن أبي عمير ، فقال له : إنك قد لقيت مشايخ العامة^(٢٤٩) فكيف لم تسمع منهم ؟ فقال : قد سمعتُ منهم ، غير أنني رأيت كثيراً من أصحابنا قد سمعوا علم العامة وعلم الخاصة ، فاختلط عليهم ، حتى كانوا يروون حديث العامة عن الخاصة وحديث الخاصة عن العامة ، فكرهت أن يختلط عليَّ فترك ذلك وأقبلت على هذا^(٢٥٠) .

(٢٤٨) التوحيد / ١٠٣ - ١٠٤ ، البحار ، ٣ / ٣٠٤ .

(٢٤٩) أي غير الإمامية .

(٢٥٠) تركت رواية أحاديث غير الإمامية واقتصرت على أحاديثهم .

(٢٥١) الكشي / ٥٩٠ - ٥٩١ ، مجمع الرجال ، ٥ / ١١٨ ، معجم رجال الحديث ، ١٤ / ٢٩٩ .

وهذان العاملان - ويضاف إليهما عوامل أخرى - يفسران التأكيد الذي صدر من الأئمة عليهم السلام لشيعتهم علىأخذ عقائدهم وأحكامهم من الأئمة عليهم السلام وحدهم، والاعتماد على الصادقين المؤتوق بهم ممن يروي عنهم. وسامح الله إخواناً لنا فسروا على أنه قطيعة بين الإخوة المسلمين، وحوّلو إلى مطعن أضافوه إلى مطاعنهم علينا!

وتبيّن من دراستنا هذه أنَّ خصوم الإمامية، مهما اختلفت آراؤهم وتباينت عقائدهم، لم يتورّعوا في سلوكهم مع الإمامية عما كانوا يتورّعون عنه - أو يدعون أنّهم يتورّعون عنه - فيما بينهم، وقد قدّمت أمثلة كثيرة لذلك، وتركت التعليق عليها، ولكنّي هنا أحكي رأياً لعالم غير إمامي حول كتاب من أشهر كتب المقالات والفرق، ويعد بمنزلة الأمّ لعامة من كتب في هذا الموضوع قدّيساً وحديثاً، وهو كتاب «الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منها» تأليف أبي منصور، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الأشعري، الشافعي (٤٢٩ - ١٠٣٨) وبمعناه كتابه الآخر: «الممل والنحل» وكلاهما مطبوعان، وكتاب آخر لا يقلّ عنّه أهميّة، إن لم يفهّمه، وهو كتاب «الممل والنحل» تأليف أبي الفتاح، محمد بن عبد الكريم الشهريستاني (٤٧٩ - ١٠٨٦ / ٥٤٨).

يقول فخر الدين الرازي العالم المتكلّم والمفسّر الشهير حول كتاب «الممل والنحل» تأليف الشهريستاني - من أشهر الكتب في هذا الموضوع -: «إنه كتاب حكى فيه مذاهب العالم بزعمه، إلا أنه غير معتمد عليه، لأنَّه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى بـ «الفرق بين الفرق» تأليف الأستاذ أبي منصور البغدادي، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح. ثم إن الشهريستاني نقل مذاهب الفرق الإسلامية من ذلك الكتاب، فلهذا السبب وقع الخلل في

نقل هذه المذاهب»^(٤٢).

* * *

و قبل أن أنهي البحث لا بد لي من كلمة موجزة حول دور المعتزلة في هذا المجال. إن المعتزلة وإن واجهوا منذ نشأتهم طائفتين من الخصوم: إحداهما أصحاب الحديث والسنّة، أو من يسمونهم المعتزلة بالحشوية والنابية، والثانية المتكلمون الذين كانوا يختلفون معهم في الرأي. والمحاذيون لم يقابلوا المعتزلة سلاح الكلام والجدل ومقارعة الحجّة بالحجّة، بل قابلوهم بالتبديع والتکفیر، والاتهام بالزنادقة والعروق من الدين، وإثارة العامة وسُواد الناس عليهم، فتحولت خصومهم إلى «صراع جسدي» فحسب، اضطُرَّ المعتزلة فيها أن يكبسو سلاح السلطان بعد أن لم ينجحوا في كسب سلاح العامة! ومن أهم مظاهرها المأسى التي حفل بها تاريخ عصر المأمون، والمعتصم، الواثق، والمتوكّل العباسيين (١٩٨ / ٨١٣ - ٢٤٧ / ٨٦١)، كان المعتزلة فيها هم الفائزون في عصر الخلفاء الثلاثة الأول، عن طريق كسب سلطان الخليفة وسلاحه إلى جانبهم، وهي المأسى التي اصطبغ عليها المؤرخون بمحنة خلق القرآن، ولكن المعتزلة دالت دولتهم بعد أن مال المتوكّل إلى خصومهم المحاذيون، فخسروا السلطة وسلاحها بعد أن كانوا قد خسروا العامة وسلامتهم من قبل.

وأما خصومهم المتكلمون - وأهم خصومهم كانوا متكلّمو الإمامية - فكانت خصومة المعتزلة معهم تدور في إطار فكري بحت، إذ كانت الأطراف

(٤٢) مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر، تحقيق الدكتور فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٦ - مع ترجمته إلى الإنجليزية / ٣٩ = ٩٩ وراجع ترجمته / ٦٢

المتنازعة - كما يعبرون - متكافئة القوى، لا يملك أيًّا منها لا سلاح السلطان ولا سلاح العامة، بل كانت المعتزلة، بالنسبة إلى الإمامية، أقرب إلى قلب السلطان وعطفه، وأمكن من الاستعانة بسيطرته وسلامه! وهنا استعان المعتزلة بكل الأسباب والوسائل، واتبعوا كافة السبل التي تمكّنهم من الفوز. وإن كانت خشية العامة أولًا، ثم خشية السلطان وال العامة معاً فيما بعد غلَّتْ أيدي المعتزلة أمام المحدثين، فإنها لم تفلَّ أيديهم أمام الإمامية، ولأجل هذا لا نجد في كتب المعتزلة بالنسبة إلى المحدثين ذلك التهجُّم الفاضح، والنقد اللاذع الجريء، والخصوصة السافرة، ما نجدها منهم بالنسبة إلى الإمامية.

وأنا أرى أنَّ ما نسبه المعتزلة إلى الإمامية - وعنهم أخذه غيرهم - إنما سمعوه أولًا من المحدثين، فمقاتل بن سليمان استقرَّ في البصرة أواخر حياته، وفيها نشر ارائه - كما نقدم - «والبصرة عُشَّ القدر» كما يقول الذهبي^(٢٠٣)، ومعاصره حماد بن سلمة البصري (٨٨ / ٧٠٧ - ١٦٧ / ٧٨٤) مفتى البصرة وفقيقها، والمحدث الشهير، وهو من تدور عليه أكثر أحاديث «الصفات» [صفات الله] التي يستدلُّ بها المُجسّمة والمُشَبِّهة، والتي يقولون أنَّ ربِّيه عبد الكريم بن أبي العوجاء الرزنديق الشهير قد دسَّها في كتبه، فكان حماد يحدِّث بها ويدافع عن صحتها^(٢٠٤)، ومُعاذ العنبري قاضي البصرة ومحدثها، بل ودادوْد الجواربي ، كانوا أمَّا بصرىيين أولئم صلة بالبصرة، فسمع المعتزلة كل ذلك منهم، ولكنَّهم لم يسعهم التهريج به عليهم مباشرة، فاستعملوه أمام الإمامية، بأنَّ نسبوا ذلك إليهم أولًا، ثم التهريج به عليهم بعد ذلك!

(٢٠٣) ميزان الاعتدال ٩١/٣.

(٢٠٤) ابن الجوزي، الموضوعات، ١/٣٧، ١٠٠، ١٢٢، ١٢٣، ابن فورك، مشكل الحديث / ١٦٩، البيهقي ، الأسماء والصفات / ٤٤٥، الذهبي، ميزان الاعتدال، ١/٥٩٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ، ١٥/٣، السيوطي، اللالي المصنوعة، ١/٢٥، ٢/٤٦٨، ومصادر أخرى.

٢٤ - مقارنة ومناقشة :

وآخر ما أريد أن أذكره: أن قياس «تصحيح الاعتقاد» للمفید إلى «اعتقادات الإمامية» للصدق لا يكشف لنا إلا عما اشتراك في المدرستان الحديثة والكلامية عند الإمامية وما اختلفتا فيه فحسب، وخلال القرون التي تنتهي بالقرن الخامس / الحادي عشر، وأما الانتهاء بهذا القياس إلى تعليل الفرق الذي نجده في جانب المفید فإنه يرجع إلى تأثره بالاعتزال فهو استنتاج ينقصه الكثير من مقومات الاستنتاج الصحيح المرتكز على دراسة صحيحة مستوعبة.

فإن الإمامية منذ أول عصورهم كانت تتواجد فيهم هاتان المدرستان، وقد قدمنا أنهما وإن كانتا متغايرتين في الأسلوب ونوعية الاستدلال، إلا أنهما لم يكونا متضادتين متخاذمتين كما نجدهما عند غير الإمامية. وقد ذكرت تارياً مسلسلًا لمتكلمي الإمامية، ترجمت فيه لهم إلى عصر شيخ الطاففة الطوسي، وذكرت ما ذكر لهم من الكتب الكلامية، وسينشر - إن شاء الله - كتمهيد للترجمة الإنجليزية لتوحيد الكافي. ولكن الكتب التي ذكرتها هناك قد ضاعت كلها ولم يصل إلينا منها إلا النذر القليل، ولكنها بعنوانها وأسمائها وما توحيه هذه العناوين، تدل على أن الكلام الإمامي سلسلة متصلة متواصلة، عاشت واستمرت إلى عصر الشيخ المفید، وما لم نحصل على نماذج منها، ولا أقل من أن ندرس عنوانها وما تبقى من النماذج القليلة من محظياتها فلا تكون دراستنا إلا ناقصة مبتورة، ولا يصح لنا أن نحكم بأن ما نراه ميزة عند المفید إنما أخذها عن المعتزلة، بل أن هناك من الأدلة التي تدلنا على أن هذه الميزة توارثها متكلمو الإمامية كعقيدتهم التي توارثوها بمالها من الخصائص، وقدمنت سابقاً بعض الكلام حول الفرق المنهجي بين الأسلوب الحديثي والأسلوب الكلامي. ومنه يظهر أن تلك الأحكام الصارمة الباقة التي حكموا بها قديماً

وتحديداً حول تأثير الإمامية بالمعتزلة، ليس لها ما يبررها. وقد بيّنت أنهم في عقائدهم لم يتأثروا بالمعتزلة، وكانت هذه مهمتي في هذا المدخل، وأما البحث عن الجوانب الأخرى فأرجئ التبسيط فيه إلى مجال آخر.

ولكنني هنا أسوق مثلاً واحداً لتلك الأحكام الصارمة، وهو أخف الأمثلة وأقلها جَوْراً وتعسفاً، لصلتها بالصدق والمفید. يذكر (م. مكدرموت) : إن «كتاب التوحيد» للصدق متأخر في تأليفه عن كتابيه الآخرين «اعتقادات الإمامية» و«الهداية» وإن الصدق فيه كان أقرب إلى الفكر الاعتزالي منه فيهما، إذ أن الصدق بعدها هاجر إلى الريّ كان يعيش في بلاط البوهيميين هناك، ولعل هذا الفرق يعود إلى «ضغط الوزير الصاحب بن عباد [وزير البوهيميين (٩٣٨ / ٣٨٥ - ٩٤١ / ٣٢٩)] والأثر الذي كانت تتركه أئمة المعتزلة في نفس الصدق، اللذين أوجبا التغيير الذي حصل في تفكير الصدق»^(٢٥٥).

وأنا أضع أمامه وأمام الباحثين مثلاً أسبق عصرًا وأرفع مستوى، وهو

الكليني، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازى، ثم البغدادي (٩٤١ / ٣٢٩) شيخ محدثي الإمامية، وكان يعيش في الريّ، ثم هاجر إلى بغداد في أواخر عمره وبها مات^(٢٥٦).

فإن الكليني عقد باباً في توحيد الكافي : «تأويل الصمد» وذكر فيه حديثين فسرا «الصَّمَدَ» بالسَّيِّد المصمود إليه كُلُّ شيء، في القليل والكثير^(٢٥٧) ثم قال :

«فهذا هو المعنى الصحيح في تأويل «الصمد»، لا ما يذهب إليه المُشَبِّهُون: أن تأويل الصمد: المُضْمَنَتُ الَّذِي لَا جُوفَ لَهُ، لأنَّ ذَلِكَ لَا يَكُون إِلَّا مِنْ صَفَةِ الْجَسْمِ، وَاللَّهُ، جَلَّ ذِكْرَهُ، مَتَعَالٌ عَنْ ذَلِكَ (...). ولو كان تأويل

(٢٥٥) نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد / ٣٢٣، ٣٤١ - ٣٤٩ .

(٢٥٦) راجع ترجمته في فاتحة الترجمة الانجليزية لكتاب العقل والجهل من الكافي.

(٢٥٧) الكافي ، ١ / ١٢٣ - ١٢٤ = ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

«الصمد» في صفة الله، عَزَّ وَجَلَّ، المُضْمَت، لكان مخالفًا لقوله عَزَّ وَجَلَّ: «يَسِّرْ كَمِثْلِهِ شَيْءًا»^(٢٥٨). لأن ذلك من صفة الأجسام المُضْمَتة التي لا أجوف لها، مثل الحجر، والحديد، وسائر الأشياء المصمتة (...).

فأماماً ما جاء في الأخبار من ذلك «فَالْعَالَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ...» ثم استدلَّ بادلة لغوية على صحة هذا التفسير^(٢٥٩).

وبهذا سبق بأكثـر من قرن الشـيخ الطـوسي تلمـيد المـفـيد الـذـي يـقول: «ومن قال الصـمد بـمعنى المـضـمـتـ، فـقد جـهـلـ اللهـ، لأنـ المـضـمـتـ هوـ المـتضـاغـطـ الـأـجزـاءـ، وـهـوـ الـذـي لاـ جـوـفـ لـهـ، وـهـذـا تـشـيـهـ وـكـفـرـ بـالـلهـ تـعـالـىـ»^(٢٦٠).

ومـا أـشـارـ إـلـيـهـ الـكـلـينـيـ مـنـ الرـوـاـيـاتـ الـتـيـ لـمـ يـذـكـرـهـ، وـالـتـيـ فـسـرـتـ «الـصـمدـ» بـالـذـيـ لـاـ جـوـفـ لـهـ، قـدـ ذـكـرـهـ الصـدـوقـ وـلـمـ يـتـغـافـلـ عـنـهـ فـيـ «كتـابـ التـوـحـيدـ»ـ الـذـيـ تـأـثـرـ فـيـهـ بـالـمـعـتـزـلـةـ أـكـثـرـ مـنـ رـسـالـتـهـ وـهـدـايـتـهـ، كـمـ يـقـولـ مـكـدـرـمـوـتـ^(٢٦١)ـ وـجـمـعـ بـيـنـ وـبـيـنـ الـمـعـنـىـ الـذـيـ اـخـتـارـ الـكـلـينـيـ عـنـدـمـاـ فـسـرـ «الـصـمدـ»ـ وـأـخـذـ بـهـمـاـ جـمـيـعـاـ، وـإـنـ أـوـلـ «الـصـمدـ»ـ بـمـاـ لـيـلـزـمـ مـنـ الـجـسـمـيـةـ^(٢٦٢)ـ وـمـنـ هـذـاـ يـظـهـرـ أـنـ الـكـلـينـيـ كـانـ أـكـثـرـ اـعـتـرـالـاـ مـنـ الصـدـوقـ!

ولعل الاحتفاظ بقدسيـةـ تلكـ الـأـحـکـامـ الـتـيـ صـدـرـتـ حـوـلـ الـإـمـامـيـةـ، قـدـيـمـاـ وـحـدـيـثـاـ، وـأـنـهـ عـيـالـ عـلـىـ الـمـعـتـزـلـةـ يـعـوـلـونـهـ بـأـرـائـهـ وـأـدـلـتـهـ، يـدـعـوـ الـبـعـضـ إـلـىـ أـنـ يـجـدـ أوـ يـوـجـدـ بـلـاطـاـ اـعـتـرـالـاـ آخـرـ عـاـشـ فـيـ الـكـلـينـيـ وـوـزـيـرـاـ مـعـتـزـلـاـ آخـرـ ضـغـطـ عـلـيـهـ! وـلـاـ أـمـنـ بـأـيـ وـجـهـ أـنـ يـتـأـثـرـ عـالـمـ إـمـامـيـ بـأـسـتـاذـهـ الـمـخـالـفـ لـهـ فـيـ الـعـقـيدةـ، أـوـ بـالـجـوـ المـخـاصـمـ لـهـ، وـلـكـنـ الـذـيـ لـاـ أـقـبـلـهـ هـوـ مـاـ يـوـحـيـ بـهـ رـأـيـ (مـ.ـ مـكـدـرـمـوـتـ)

(٢٥٨) الشورى، ٤٢/١١.

(٢٥٩) الكافي، ١/١٢٤.

(٢٦٠) البيان، ١٠/٤٣١.

(٢٦١) التوحيد/٩٣، ١٤٠، ١٧١.

(٢٦٢) التوحيد/١٩٧.

من أنَّ الصَّدُوقَ تنازلَ عن بعضِ آرائهِ، أو أخفى جانباً منها، مراعاةً للصاحبِ أو للمُعْتَزَلَةِ، وأنَّ يكونَ هذا تحفظاً على قدسيَّةِ تلكِ الأحكامِ التي تقولُ إنَّ أيَّ تعديلٍ حصلَ في رأيِ الإمامية إنَّما كانَ من جراءِ تأثيرِهم بالمعتزلةِ!

والصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ لم يكنْ في رأيِ الصَّدُوقِ ذلكِ المُعْتَزَليِّ الذي تصوَّرَ مصادرَ المُعْتَزَلَةِ، بل كانَ إماميَّاً ثُنِيًّا عُشرِيَّاً يمدحُ الائمةَ والرضاخَاصةَ، عليهم السَّلامُ فِي قصائِدٍ يصرُّحُ فيها بِإمامَتِهِمْ، ويؤلِّفُ لِهِ الصَّدُوقَ «عيونُ أخبارِ الرضا، عليه السلام» ويصرُّحُ بذلكِ فِي فاتحةِ الكتابِ، ويذكرُ شعرَ الصَّاحِبِ فِي ذلكِ (٢٦٣).

ويجبُ التفريقُ فِي المسائلِ الكلاميةَ بَيْنَ المسائلِ التي تمسُّ العقيدةَ مباشرةً، وبينَ ما لا يكُونُ كذلكَ، كالمسائلِ التي كانوا يعبرُونَ عنها يومذاك باللطفِ من الكلامِ. وقد ذكرَ شيخنا المفيدُ كثيراً من عناوينها في آخرِ أوائلِ المقالاتِ (٢٦٤)، ومهماً تتحضرُ، فِي هذا المدخلِ، في أنَّ الإمامية لم يأخذوا عقائدَهم من المُعْتَزَلَةِ، ولم يحكمُوهُم التشبيهُ والجبرُ يوماً مَا قبلَ أنْ يتصلُوا بالمعتزلةِ، وأمَّا التأثيرُ فِي مثلِ هذهِ المسائلِ، أو التأثيرُ فِي نوعيةِ الاستدلالِ فِي المسائلِ المتفقُ عَلَيْهَا فَلَا أَمْنَعَهُ، بل هنَاكَ شواهدُ كثيرةٌ عَلَى وقوعِهِ، ولكنه تأثرُ وتأثيرُ متقابِلُ، ولكنَّ الذي يحرّكُ فِي النفسِ اغفالَ تأثيرِ النَّظامِ وأبى الطَّيْبِ المُعْتَزَلِيِّينَ بهشامَ بنَ الحكمِ مثلاً، والاهتمامُ بتأثيرِ المفيدِ بالمعتزلةِ! ولعلَ الآثارُ التي تركها متكلمو الإمامية والمُعْتَزَلَةُ عَلَى حِلَّ سوءٍ، إنَّ كَانَتْ قد سلَّمَتْ من الضياعِ ووصلتْ إلينا، لكانَ لَنَا رأياً آخرَ، ولعلَّنا كَانَ نرجحُ حينئذٍ: أنَّ التأثيرُ فِي جانبِ الاعتزالِ بالإمامية كانَ أقوى وأكثرَ من تأثيرِ الإمامية بالمعتزلةِ.

وأمَّا مدى تأثيرِ المفيدِ خاصَّةً بالمُعْتَزَلَةِ فِي مثلِ هذهِ المسائلِ «اللطفِ من الكلامِ»، وفي المسائلِ التي لا تمسُّ العقيدةَ مباشرةً، وخاصةً متابعةُ المفيدِ لأراءِ

(٢٦٣) عيونُ الأخبارِ، ١/٣ - ٧.

(٢٦٤) راجع / ٧٢ - فما بَعْدَ.

الكعبي البلخي، الذي ملأ به (م. مكدرموت) كتابه: «نظريات علم الكلام عند الشيخ المفید» فلا أناقش شيئاً مما ذكره، إذ الأصول التي قد اعتمد عليها قد ناقشتها وذكرت رأيي فيها، وأما التفاصيل فلل الحديث عنها مجال آخر.

ويجب أن نتبه أيضاً إلى أن الأخذ عن متكلم غير إمامي لا يعني بالضرورة متابعة التلميذ لأراء أستاذة - وخاصة فيما يختلف معه في العقيدة -، والمتكلمون غير الإمامية يومذاك كانوا معتزلة، وبعد عصر شيخ الطائفة الطوسي كانوا في الأغلب أشاعرة، وقد حضر عليهم جمع من علمائنا الإمامية، وعكس هذا أيضاً، وهو حضور غير إمامي على متكلم إمامي، كلامدة نصير الدين الطوسي، المتكلم والفيلسوف الشهير، صحيح. وما هذا إلا كالأخذ عن محدث غير إمامي، وما أكثر شيوخ الحديث غير الإمامية الذين أخذ عنهم المفید، والمرتضى، والطوسي، والكراجكي وأمثالهم، بل ومن سبقهم كالصدقون، ومن لحقهم كالعلامة الحلبي! فإن هؤلاء كانوا يقيسون ما يسمعونه من الحديث بالمقاييس التي صحت عندهم، وبها يجب أن تستكشف صحة الحديث أو زيفه، في رأيهم، والغاية من ذلك أن يستعين المحدث الإمامي بما يسمعه من شيخه غير إمامي في إثبات ما يعتقده من شؤون الإمامة وحالات الأئمة عليهم السلام، أو في رد حجج الخصوم. وهكذا الحال في علم الكلام، والتفسير، والفقه، وأصول الفقه، فإن مثل هذا الحضور يفيد أولاً تعلم ما ينفع فيما يرجع إلى ما اتفق عليه الطرفان، وإلى الاستعانة بعلم الأستاذ في الدفاع عما يراه التلميذ حقاً، ثانياً.

٢ - تطور الكلام عند الإمامية

٢٥ - نظرة عامة، من غير تفصيل:

وأقصد بالتطور هنا المسيرة الفكرية التي تجتازها العلوم والافكار البشرية منذ نشأتها، فتغدو السير تارة وتتباطأ أخرى بل وقد تجبو أو تضلع في سيرها أحياناً، ولست أقصد بالتطور معناه البيولوجي المراد به في عالم الاحياء، ولا

المفهوم الماركسي الذي كثيراً ما تستعمل الكلمة فيه من الماركسيين وغير الماركسيين، بعده أو عن غفلة قلت هذا لأنني لم تحضرني الآن كلمة أخرى أقرب إلى سمع القارئ وأحضر في ذهنه منها.

والحديث هنا طويل يستدعي ملء الفجوة الزمنية بين عصر النشأة وعصر المفید بترجمات أعمال متكلمي الإمامية، حسب التسلسل الزمني وذكر خصائصهم وميزاتهم، ولا مجال لهذا البتة. ولهذا فإني سأختصر البحث ضمن النقاط التالية:

١ - إن كانت الكوفة قد احتضنت الحديث والفقه الإمامي ثم بعد قرنين من الزمان كانت قم إحدى المدن التي ملكت الكثير من هذا العلم. فإن الكلام الإمامي قد احتضنها بغداد منذ أيامها الأولى. فقد قدمت إِنْ هشام بن الحكم كانت له صلة قوية ببغداد منذ أن ابتنى في فجر الدولة العباسية، وسكنها في أواخر أيامه وكان يدير ندوتها الكلامية التي كانت تتعقد في ظل البرامكة. واستمر فيها تلامذته المتكلمون يدرسون ويناظرون ويورثون علمهم من يحل محلهم من بعدهم.

والحديث والفقه الإماميان وإن كانوا يتواجدان في بغداد منذ نشأتها إلا إن بغداد قد أصبحت حاضرة الحديث أو الفقه بعد أن انتقلا إليها من الكوفة مباشرة، ومن قم بصورة غير مباشرة. ولكنها كانت حاضرة الكلام الإمامي من يومها الأول.

٢ - الفكر الاعتزالي وإن نشأ من نقطة لم يلتقط فيها بالتفكير الإمامي ، وهي موقف رائد الاعتزال؛ واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد من مرتکبي الكبيرة وقولهما بالمنزلة بين المنزليتين وبقيت هذه الركيزة هي التي تجمع شتات المعتزلة، إلا أن رفض المعتزلة للجبر والتشبيه والتجمییم قد أشرنا سابقاً إلى أنه مسوق بمثله عند الإمامية، إن لم يكن مأخوذاً منهم . وبهذا حكمنا بأنَّ الكلام الإمامي كان اصيلاً غير تابع ولا مُستَجَدٍ من غيره، لأنَّ الله أ Gnَاه بأئمتَه الطاهرين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن الاستعطاء والاستجداء عقيدة وشريعة، خلقاً وسيرة، في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولا يسع المجال هنا سوئ أنْ أُنَبِّه إلى أنَّ الكلام الإمامي وإن رفض الجبر والتشبيه والتجمسيم ولكنه لم يؤكِّد به هذا الرفض بأي حال إلى التعطيل أو الاتهام به والذي يُتَّهم بمثله الفكر الاعتزالي، صَحَّ هذا الاتهام أو لم يصح.

٣ - ولابد هنا من الإشارة المقتضبة إلى أعلام متكلمي الإمامية الذين خلقوها هشاماً في وطنه الأخير بغداد:

- ١ - علي بن منصور، أبو الحسن الكوفي، ثم البغدادي.
- ٢ - يونس بن عبد الرحمن، أبو محمد اليقظاني، الكوفي ثم البغدادي (نحو ١٢٥ / ٧٤٢ - ٨٢٣ / ٢٠٨) صاحب هشام وتلميذه (وكان جماعة لهم الشيعة قد أدبهم هشام ويونس وعلمائهم الكلام) (الكتشي / ٤٩٨ ، مجمع الرجال ٣٤ / ٢).

وأرى أن قول الرجالين : (يونس) عند التعريف يقصدون منه التلميذة ليونس في الكلام لا مجرد أخذ الحديث عنه. ولا مجال هنا لهذا البحث.

٣ - محمد بن أبي عميرة أبو محمد الأزدي البغدادي (٢١٧ - ** / ٨٣٢) .

- ٤ - علي بن إسماعيل، أبو الحسن المييمي.
- ٥ - أبو مالك، الصبحاك الحضرمي.
- ٦ - محمد بن الخليل أبو جعفر السكاك البغدادي وكلاهما من تلاميذ هشام.
- ٧ - الحسن بن علي بن يقطين البغدادي.
- ٨ - الفضل بن شاذان، أبو محمد الأزدي النيسابوري (١٩٥ / ٨١١ - ٨٧٣ - ٢٦٠) .

وكان يقول: أنا خلف لمن مضى ، أدركت محمد بن أبي عمير، وصفوان

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشیخ المفید منه ٢٣٣

ابن يحيى ، وغيرهما ، وحملت عنهم منذ خمسين سنة ، ومضى هشام بن الحكم رحمه الله وكان يونس بن عبد الرحمن رحمه الله خليفة له ، وكان يرد على المخالفين ، ثم مضى يونس بن عبد الرحمن ولم يخلف خلفاً غير السكاك ، فرداً على المخالفين ، حتى مضى ، رحمه الله ، وأنا خلف لهم من بعدهم . (راجع ترجمته في الكشي / ٥٣٧ - ٤٤ ، والنجاشي / ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وفهرست شیخ الطائفة / ١٥٠ - ١٥١ ، وغيرها).

والفضل وإن سكن نيسابور في آخر حياته ، إلا أنَّ قسماً كبيراً من نشاطه العلمي قام به في بغداد .

٩ - إسماعيل بن علي بن إسحاق ، أبو سهل النوبختي البغدادي (٢٣٧ / ٨٥٠ - ٣١١ / ٩٢٣).

من أعلام المتكلمين في بغداد ، وكان له مجلس يحضره المتكلمون . وقد ذكرت في ترجمته أنَّ ما يدعوه المعتزلة : أنه أخذ عن أبي هاشم الجبائي لا يصح بأبي وجه وإنَّ أبي سهل إنما كان في طبقة أبيه أبي علي وكانت له معه مناظرات ومساجلات ، وأنَّ أبي هاشم حينما انتقل من البصرة إلى بغداد كان لأبي سهل من السن والمكانة العلمية والثراء الفكري ما أغناه عن أبي هاشم وأمثاله .

١٠ - الحسن بن موسى ، أبو محمد النوبختي (٩٢٢ - ٣١٠ ج *).
ومن أعلام المتكلمين ، بل والعارفين بالفلسفة وكان له مجلس يحضره المتكلمون وال فلاسفة والعلماء ، مسلمين وغير مسلمين قال (ابن) النديم : وكانت المعتزلة تدعىهم ، والشيعة تدعىهم ، ولكنها إلى حيث الشيعة ما هو ، لأنَّ آل نوبخت معروفو بولاية علي وولده عليهم السلام . (ابن النديم / ٢٢٥ - ٢٢٦).

وقال فيه المعتزلة ما قالوا في حاله أبي سهل .

١١ - محمد بن بشر ، أبو الحسين السُّوْسُجْرَدِي الحمدوني من تلاميذ أبي سهل النوبختي .

١٢ - الحسن بن علي، أبو محمد بن أبي عقيل العماني الحناء، البغدادي .
فقيه متكلّم، كان المفید يكثر الثناء عليه .

١٣ - علي بن عبدالله بن وصيف، أبو الحسن، الحلاء البغدادي الناشئ الأصغر (٢٧١ / ٨٨٤ - ٩٧٦ / ٣٦٦) المتّكلّم والشاعر الشهير وكان من تلاميذ أبي سهل .

١٤ - المظفر بن محمد بن أحمد، أبو الجيش البلخي، البغدادي (٩٧٧ / ٣٦٧ - ٩٧٨) من كبار المتكلّمين وحملة الحديث . ومن تلاميذ أبي سهل النويختي قال فيه أبو حيان التوسي: «شيخ الشيعة وكان متّكلّم الشيعة» (أخلاق الوزيرين / ٢٠٣، ٢٠٦ - ٢٠٧).
وهو ثانى من قرأ عليهما المفید الكلام . (الطوسي، الفهرست / ١٩٨، النجاشي / ٤٢٢).

٥ - وهؤلاء الذين ذكرناهم والذين اختصرنا فيهم الذين تجاوزوا الخمسين من متكلّمي ذلك الممتد من هشام إلى عصر المفید، هؤلاء كلهم لم يأخذوا الكلام إلا عن مصدر إمامي، ولم يذكر لهم شيخ غير إمامي، وإن أبناء نويخت مع شموخهم العلمي لم يسمّ لهم استاذ معين عندما ترجم لهم مما يدلّ دلالة قاطعة على أن نشأتهم العلمية كانت ضمن الدائرة الشيعية وعلى أيدي شيوخ إماميين قد أغنوهم عن الرجوع إلى غيرهم .

نعم إنّ الفاعلية الكاملة تجاه المخالفين، والقدرة على التأثير القوي والمثمر يستدعيان الاتصال الفكري بعلماء متكلّمي غير الإمامية وكانوا هم المعترضة ولم يكن متيسراً هذا لهم - خاصة يومذاك - إلا عن طريق الحضور عند شيخ غير إمامي، ولا سيما في مقتبل العمر، وعندما لم تتهيأ بعد لهم المكانة العلمية والشخصية البارزة التي تجعل من مجالسهم ندوات علم وملتقى فكر - كما حصل لابناء نويخت - وكما حصل للمفید والمرتضى فيما بعد .

والحال هي نفسها بالنسبة إلى الحديث أو الفقه غير الإمامي ، وهذا هو الذي اضطر الشیخ المفید إلى الحضور عند متكلمين غير إماميين كما اضطرب هو وغيره من أعلام الطائفة إلى تحمل الحديث أو تعلم الفقه عند محدثين أو فقهاء غير إماميين .

٦ - نعم كان هناك رواد من الفكر الاعتزالي تلتقي بالكلام الإمامي عن طريق متكلمين معتزلة . تحولوا إلى القول بالإمامية . ولم أغير إلا على مثالين :

١ - محمد بن عبدالله، أبو عبدالله بن مُمْلَك الاصبهاني متكلم جليل القدر، كان معتزلياً ثم قال بالإمامية وله مجالس وردود على أبي علي الجبائي في الإمامية وتبنيتها .

٢ - محمد بن عبد الرحمن، أبو جعفر بن قبة الرazi (** - ح ٩٢٧/٢١٥) .

متكلم، عظيم القدر، قوي في الكلام، كان قوياً في المعتزلة وتبصر وانتقل .

وإنماقلت : (رواد اعترالية) مسايرة مع من يرى أنَّ أمثال هؤلاء إنْ تخلو عن رأيهم حول الإمامية، فإنَّهم لم يتخلُّوا عن بقية ارائهم، وأرى أنَّ الانتقال إلى القول بالإمامية يلزم التمسك الاعتقادي الفكرى في شتى شؤون المعتقد، والانتقال في أمر الإمامة يتنهى إلى التأثر التام في سائر المناحي الفكرية .

يضاف إلى هذا أننا إن سلمنا بأنَّهم احتفظوا لأنفسهم ببقية أجزاء عقيدتهم بعدما تخلو عن الجزء الراجح إلى الإمامية، فإنَّهم لم يكونوا من الشدة والقوة والعدد ما يمكنهم من التأثير البين - أو المصيري كما يعبرون - ولا يُخيل إلى أحد إني أنكر آثار الاحتكاك الفكرى، بل إنَّ الاحتكاك يعني التفكير، ويصحح طرق الاستدلال ويقصر السُّبُل ويسهلُها، وهذا ما حدث - فيرأى - لكلا الفريقين : الإمامية ، والمعزلة على سواء وبعد أن تعرف كلَّ منهما على الآخر، أمكنه - عن طريق هذه المعرفة - الوصول إلى التتابع التي ذكرتها، بل وإلى

تصحيح الاخطاء في كيفية الاستدلال، بل وفي تصوير المعتقد إلى حد ما، ولكن هذا شيء لا يختص بأحد الفريقين دون الآخر كي يصح أن يقال: إن الإمامية تأثروا، وغيرهم بقى كالصخرة الصماء الصامدة لا يهزها شيء!

٧ - ولابد لنا من وقفة أمام هذا الانقسام الذي نجده في الفكر الاعتزالي. فالمعتزلة قد انقسموا إلى مدرستين: المدرسة البغدادية والمدرسة البصرية، وأقربهما إلى الإمامية هي البغدادية، وأبعدهما البصرية، فلماذا حصل هكذا؟ ما هي العوامل التي جعلت المدرسة البغدادية تلتقي مع الكلام الإمامي في كثير من النقاط، بل وحتى في النظرة المذهبية إلى إمام الأئمة وسيد العترة أمير المؤمنين عليه السلام؟ فالمعروف عن معتزلة بغداد أنهم مفضلة يرونونه عليه السلام أفضل الخلق بعد أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يستثنون أحداً من تقدم عليه أو تأخر، ولا مجال للتتوسع واستقصاء المصادر، وفيما سيأتي من الكلام عن المفید واستاذيه المعتزليين مثل لما قلت. وعلى العكس من هذا معتزلة البصرة، وبعد أن نجد في تاريخ رائد الاعتزال: واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد ما فيه غمط لحقه وإنكار لفضلة عليه السلام، بل والتنصب والبغض - وإن كان خفيفاً -، وأصبح هذا خلقاً لرجال المدرسة البصرية كالأصم وغيره.

وهذا جانب من الافتراق، وإنما في الجوانب الأخرى، فإن كثيراً من الأمثلة قد اشرت إليها عندما تكلمت عن موقف الشيخ المفید من المعتزلة، وإنه عندما يستعرض نقاط الخلاف بين المدرستين نجده يذكر أن معتزلة بغداد يوافقون الإمامية، وإن معتزلة البصرة يناهضون.

وقد ساق مکدرموت أمثلة كثيرة لذلك قارن فيها بين أراء المفید وراء القاضي عبد الجبار، وذكر أن المفید يميل إلى معتزلة بغداد، وإن القاضي يميل إلى البصريين. (راجع مکدرموت، النص الانجليزي / ٧٩ - ٣٠٧).

وسيأتي الكلام في هذا وأن القاضي إنما تبع في ذلك ما تلقاه من استاذه

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٣٧

أبي عبدالله البصري الذي كان يمثل معتزلة البصرة.

بل أن المفيد قد ألف : (الرسالة المقنعة في وفاق البغداديين من المعتزلة لما روى عن الأئمة، عليهم السلام) (راجع كتب المفيد = ٢٠)، وفي هذا كفاية لما أريد أن أقول.

وقد ذكر مكدرموت مثلاً لهذا، وأن معتزلة بغداد وافقوا فيها رأي جمهور آل البيت عليهم السلام (مكدرموت، النص الانجليزي /٨٠ - ٨١)، وانظر في الموضوع نفسه أوائل المقالات - ط المؤتمر /٦١).

وليس بغداد بارضها شيعية والبصرة سنية، فإن بغداد كانت يومذاك موئل السنة ومركز علمهم وحديثهم وفقههم، ولم تكن البصرة يومذاك في مستواها، وهذا واضح لمن درس (تاريخ بغداد) للخطيب وغيره من تواريختها.

إنما الفارق بين البلدين تواجد الإمامية في بغداد وعدم تواجدهم في البصرة.

وكل الشواهد والأدلة تسوقنا إلى أن معتزلة بغداد من بشر بن المعتمر فمن بعد إنما افترقوا عن إخوانهم البصريين لاتصالهم بمتكلمي الإمامية الذين كانوا يتواجدون في بغداد دون البصرة، وقد مر عندما ترجمنا بعض الشيء لهشام بن الحكم والندوة البرمكية التي كان يتزعمها، ومن حضارها بشر بن المعتمر وغيره من شيوخ المعتزلة، وليس تأثر النظام بالإمامية أقوى من غيره، ولا مجال هنا للاستمرار في البحث وإعطاء الأمثلة وذكر المصادر.

وكل هذا يؤكد لنا أن هذا الانفراق إنما حصل من جهة احتكار المعتزلة في بغداد بالإمامية فتأثروا بهم دون معتزلة البصرة الذين انطروا على أنفسهم - ولو من جهة عدم تواجد الإمامية هناك - فعاشوا كما نشأوا، ولم يتغيروا عما كانوا عليه.

٨ - والآن يحق لي أن أُلخص جميع ما قدمت في النقاط التالية:
أ - أن الكلام الإمامي منذ أن نشأ كان له وجوده الخاص وكيانه الخاص

وخصائصه المميزة له عن غيره، لم يستطع غيره، ولم ينعم عليه غيره بارائه وأفكاره، كان له وجود مستمر على الساحة العقائدية، نشط فعال له في كل عصر أعلامه ورجاله إلى عصر الشيخ المفيد الذي سبّاتي أنه أخذ الكلام الإمامي من أساتذة إماميين، وإنه إن رجع إلى غيرهم، لم يرجع لحاجة داخلية ترجع إلى المجتمع الشيعي الإمامي، وإنما رجع لحاجته إلى من يصور له المدرسة البغدادية ويدافع عنها أمام مدرسة البصرة.

ب - إن المعتزلة هم الذين تأثروا بالإمامية، دون العكس، فالمعتزلة في بدء نشأتهم تأثروا بهم في النقاط التي يتتفق عليها المعتزلة - ومن الطبيعي أن يكون ضمن الحدود المعقولة لهم ككيان سُني مستقل لا يقول بالإمامية الإلهية ولا بلوازها -، وعندما افترقوا إلى مدرستين، فالعامل الذي أوجب الفصال البغداديين من إخوانهم البصريين، لم يكن سوى إن هؤلاء احتكوا بمتكلمي الإمامية فكريًا فتأثروا بهم، دون أوشك.

وهذا هو التعليل المعقول الذي يتتفق مع كل الاعتبارات التاريخية والمذهبية، وليس اعتباطياً ومجازفة في القول، أو تحرّضاً بالغيب!

ج - ومن الخطأ في التعليل والاعتراض في الرأي أن نجعل موافقة الإمامية للمعتزلة دليلاً على تأثرهم بهم، وهكذا حضور إمامي عند معتزلي شاهداً على استجداء العقيدة واستئمانته بالفكرة.

لا يصح هذا لا في المفيد، ولا فيمن سبّه من متكلمي الإمامية ولا فيمن تأخر عنه.

د - أن الذي نجده عند غير الإمامية من انقسامهم إلى مدرستين : مدرسة أصحاب الحديث، ومدرسة المتكلمين، وأن الذي يتوجه إلى الحديث كلما توغل فيه أكثر فأكثر والتزم بمضمونه ابتعد عن الكلام ومسائله، وعلى العكس كلما توغل في الكلام ابتعد من الحديث والالتزام به .

إن هذا الانقسام لا نجده عند الإمامية، فالمحذثون لا يفترقون في أصول

العقيدة وفيما يجب الإيمان به عن إخوانهم المتكلمين. والافتراق إنما يرجع إلى كيفية الاستدلال وبرمجة الفكرة، وعرضها في قالب فكري.

هـ - أن الاتهام الذي يوجهه أصحاب مدرسة الحديث غير الإمامية إلى إخوانهم المتكلمين، بجهلهم بالحديث، وزهدهم في سماعه وتحمّله، وترفعهم عن الالتزام بمضمونه - ولا أريد أن أقرّهم أنّهم على حق، فإنّ للمتكلمين عذرهم المعقول والمقبول في رفض الحديث غير الإمامي أو عدم الالتزام العقائدي بمضمونه، وقد قدّمت أمثلة لذلك.

أقول: إن مثل هذا الاتهام لا أثر له عند الإمامية. فإن كبار متكلمي الإمامية - ومنهم الشيخ المفيد - كانوا رواة للحديث بما له من سعة وشمول، ورعاة لمضامينه ومداليله، بنفس المستوى الذي نجده عند من لم يُعنِ إلا بالحديث وحده.

٣ - الشيخ المفيد وموقعه من الكلام الإمامي :

والآن وبعد أن انتهيت إلى (بيت القصيد) أجد نفسي قد استنزفت كل ما كنت أملك من وقت واستعداد وتهيؤ، فأكفي هنا بالترجمة التي كنت قد أعددتها ضمن ترجماتي الإمامية كما أشرت إليه في مفتاح هذا المقال، وأتوسع بعض التوسيع فيما ذكرته والذي يرجع إلى دراسته واساتذته ومدى التأثير الذي كان لهم عليه والتأثير الذي كان له عليهم. وهو أهم بكثير مما كان لهم عليه.

ولاني أعتذر إلى شيخ الأمة وعالمها ومتكلمها المفيد والسر واضح، فالمفید علم شامخ لا يسموا إليه إلا من يملك ما كان يملكه هو، ومتى أجدني أملك ما يملك؟ كيف لي أن أتساول أراءه الكلامية وقد وهبه الله تعالى ما لا يمنحه إلا للأفذاذ من عباده المخلصين ! .

وحتى تفاصيل الآراء التي تعرض لها مكدرموت في كتابه (رأي الشيخ المفيد الكلامية)، إن كان هناك نقاط اختلاف في الرأي مع المؤلف فإني أتركها إلى فرصة أخرى لعل الله سبحانه يوفقني إلى أن أكتبها، وبالله التوفيق

والتسديد.

٢٦ - الشيخ المفید

محمد بن محمد بن التعمان، الشيخ أبو عبدالله المفید ابن المعلم العکبیری البغدادی (٣٣٦ / ٩٤٨ - أو: ٣٣٨ / ٩٥٠ - ١٠٢٢ / ٤١٣).

أ - التعريف به

قال فيه تلميذه شیخ الطائفه أبو جعفر الطوسي [الأئمة ترجمته = ١٣٠]: «انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان متقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب...»^(٢٦٥).

وقال تلميذه الآخر أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (٣٧٢ / ٩٨٢ - ٤٥٠ / ١٠٥٨): «فضله أشهر من أن يوصف في الفقه، والكلام، والرواية، والثقة، والعلم...»^(٢٦٦).

وقال العلامة الحلى - من أشهر أعلام الإمامية وعلمائهم - (٦٤٨ / ١٢٥٠): «من أجمل مشايخ الشيعة ورؤسائهم وأساتذتهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه، والكلام، والرواية، أو ثقافته، وأهل زمانه وأعلمهم، انتهت رئاسة الإمامية إليه في وقته، وكان حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب...»^(٢٦٧).

وقد أقرّ بهذا عامة المترجمين له من الإمامية.

وترجم له من لم يكن على مذهبه ورأيه، فقالوا: «شيخ مشايخ الطائفه، ولسان الإمامية، ورئيس الكلام، والفقه، والجذل»^(٢٦٨) «شيخ الإمامية،

(٢٦٥) الفهرست / ١٨٦، مجمع الرجال، ٣٣/٦.

(٢٦٦) الفهرست / ٣١١، مجمع الرجال، ٣٤/٦.

(٢٦٧) خلاصة الأقوال / ١٤٧.

(٢٦٨) الذهبي، العبر، ١١٤/٣.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٤١

والمحض لهم، والمحامي عن حوزتهم»^(٢٦٩) «فقیہ الإمامیۃ»^(٢٧٠) «کان أوحد عصره في فنونه»^(٢٧١).

وقال فيه (ابن) النديم، عندما عَدَ متكلمي الإمامية: «في عصرنا انتهت رئاسة متكلمي الشيعة إليه، مقدم في صناعة الكلام على مذاهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، شاهدته فرأيته بارعاً»^(٢٧٢).

وقال عندما عَدَ فقهاءهم: «إليه انتهت رئاسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه، والكلام، والأثار»^(٢٧٣).

«وكان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، حسن اللباس»^(٢٧٤).

«وكان كثير التَّقْشُف والتَّخْشِع والإِكَاب على العلم، تخرج به جماعة، وبرع في المقالة الإمامية حتى كان يقال على كل إمامي منه منه»^(٢٧٥).
«ما كان ينام من الليل إلا هَجَّة، ثم يقوم يصلّى، أو يطالع، أو يدرس، أو يتلو القرآن»^(٢٧٦).

«البارع في الكلام، والجدل، والفقه، وكان يناظر أهل كُلّ عقيدة، مع

(٢٦٩) ابن الجوزي، المنتظم ٨/٨، ١٢، ابن كثير ١٢/٥، ابن تغري برذلي، النجوم الزاهرة، ٤/٢٥٨، ابن حجر، لسان الميزان، ١/٤٤٤، (فقیہ الإمامیۃ).

(٢٧٠) ابن الأثير، ٩/٣٢٩، أبو الفداء، ٢/١٥٤، ابن الوردي، ١/٥٠٧.

(٢٧١) الصُّفْدِي، الوافي بالوفيات، ١/١١٦.

(٢٧٢) الفهرست / ٢٢٦.

(٢٧٣) المصدر / ٢٤٧.

(٢٧٤) اليافعي، مرآة الجنان، ٣/٢٨، الذهبي، مختصر دول الإسلام، ١/٢٤٦، العبر، ٣/١١٤، ابن عبدالحي، شذرات الذهب، ٣/٢٠٠.

(٢٧٥) ابن حجر، لسان الميزان، ٥/٣٦٨.

(٢٧٦) ابن حجر، لسان الميزان، ٥/٣٦٨.

الجلالة والعظمة في الدولة البوهيمية^(٢٧٧).

«كان حسن اللسان والجدل، صبوراً على الخصم، كثير الحيلة، ظنين السرّ، جميل العلانية».^(٢٧٨)

«كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف، لم يُمْلِي كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع، وكان له مجلس نظر بداره بِدَرْبِ رِيَاح [من محلات غربي بغداد]^(٢٧٩) يحضره كافة (خلق كثير من) العلماء من سائر الطوائف».^(٢٨٠)

«وكان ذا عظمة وجلالة في دولة عضد الدولة».^(٢٨١)

«وله صولة عظيمة بسبب عضد الدولة».^(٢٨٢)

«وكان عضد الدولة يزوره في داره ويعوده إذا مرض».^(٢٨٣)

«ولما مات شيعه ثمانون ألف راضي - وأضاف الذهبي - : لا بارك الله فيهم - وأضاف هو والياقعي وابن عبد الحفي - : وأراح الله منه».^(٢٨٤)
 «وكانت جنازته مشهودة».^(٢٨٥)

(٢٧٧) الذهبي، العبر، ١١٤/٣، اليافي، مرآة الجنان، ٢٨/٣، ابن عبدالحي، شذرات الذهب، ١٩٩/٢ - ٢٠٠.

(٢٧٨) أبو حيان التوحيدى - المعاصر له -، الإمتاع والمؤانسة، ١٤١/١.

(٢٧٩) بِدَرْبِ رِيَاح [من محلات غربي بغداد]. (٢٨٠) ابن الجوزي، المتنظم، ١٢/٨، ابن كثير، ١٥/١٥، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ٤/٤.

(٢٨١) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/٢٦، مختصر دول الإسلام، ٢٤٦/١، العبر، ١١٤/٣.

(٢٨٢) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/٣٠، ابن حجر، لسان الميزان، ٥/٣٦٨.

(٢٨٣) الذهبي، مختصر دول الإسلام، ١/٢٤٦، العبر، ١١٤/٣، اليافي، مرآة الجنان، ٢٨/٣، ابن عبدالحي، شذرات الذهب، ٣/٢٠٠.

(٢٨٤) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/٣٠، مختصر دول الإسلام، ١/٢٤٦، العبر، ٣/١١٥، ابن حجر، لسان الميزان، ٥/٣٦٨، اليافي، مرآة الجنان، ٢٨/٣، ابن عبدالحي، شذرات الذهب، ٣/٢٠٠.

(٢٨٥) الذهبي، العبر، ٣/١١٥، اليافي، مرآة الجنان، ٣/٢٨، ابن عبدالحي، شذرات الذهب، ٣/٢٠٠.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٤٣

«وقال عند مشهد جنازته ودفنه شیخ الطائفة الطوسي : «وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلوة عليه ، وكثرة البكاء من المخالف والمتفق»^(٢٨٦) .

وقال النجاشي : «وصلى عليه الشریف المرتضی (. . .) بميدان الأُشنان^(٢٨٧) وضاق على الناس مع كبيرة»^(٢٨٨)

ويکفى في بيان موقف خصمه منه ، ما قاله أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الخطیب البغدادی الأشعري الشافعی (١٠٧٢ / ٤٦٣ - ١٠٠٢ / ٣٩٢) عنه : «شیخ الرافضة والمتکلم على مذاہبهم ، صنف کتاباً کثیرة في ضلالاتهم ، والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم ، والطعن على السلف الماضین من الصحابة والتابعین [المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ، والموالین لخصومهم أبناء أمیة] وعامة الفقهاء والمجتهدین ، [.] وکان أحد أئمۃ الضلال ، هلك به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه»^(٢٨٩) .

وما صنعته معاصره عبید الله بن الحسین ، أبي القاسم الحفاف ، المعروف بابن النقیب : (٣٠٥ / ٩١٧ - ٩١٨ / ٤١٥)، كما قال الخطیب وغيره : «وكان شدیداً في السنّة ، وبلغني أنه جلس للتھنة لما مات ابن المعلم شیخ الرافضة ، وقال : ما أبالي أي وقت مت ، بعد أن شاهدت موت ابن

. ١٨٧ (الفهرست / ٢٨٦)

(٢٨٧) من أكبر ميادين بغداد يومذاك وكان الميدان الرئيسي بكرخ بغداد (بغداد قديماً وحديثاً / ٢٢٨) ثم نقل الى الكاظمية دفن بمقابر قريش ، بالقرب من رجلی الامام الجواد ، عليه السلام ، الى جانب استاذه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ح / ٢٨٢ - ٨٩٨ - ٣٦٨ / ٩٧٩) وقبره الان معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي الشریف .

. ٣١٦ (الفهرست / ٢٨٨)

(٢٨٩) تاريخ بغداد ، ٢٣١ / ٣ ، وتجد صدى كلمة الخطیب هذه عند كل من الذھبی ، میزان الاعتدال ، ٤ / ٢٦ ، ٣٠ ، ابن حجر ، لسان المیزان ، ٥ / ٣٦٨ ، الصنفیدی ، الواقی بالوفیات ، ١١٦ ، ابن ثغری برڈی ، التجوم الزاهرة ، ٤ / ٢٥٨ .

المعلم^(٢٩٠)

وعلّق: «قلتُ: وما يدلّ على دينه وحسن اعتقاده بغضّه للشيعة عليهم الحزى، ولم لو يكن من حسناته إلّا بذلك لكافاه عند الله»^(٢٩١). ويكفي في بيان شأن الشيخ المفيد منزلته في عصوه أنهم حينما يُعدّون الرؤوس لفرق والجماعات في عصر الخليفة القادر العباسي - أحد من امتدّ بهم عمر خلافتهم - (٩٤٧/٣٣٦ - ٩٩١/٣٨١) والخلافة (٤٢٢/١٠٣١) وانه كان على رأس الدولة في عصره، يُعدّون الشيخ المفيد رأس الإمامية، والشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الأسفرايني الأشعري الشافعي (٤١٨/١٠٢٧) - رأس الأشعرية، والقاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي (٢٢٠/٩٣٢) - (٤١٥/١٠٢٥) رأس المعتزلة، وأبو عبدالله محمد بن الهيثم الناوي النيسابوري (٤٠٩/١٠١٩) رأس الكرامية^(٢٩٢).

ب - أساتذته في الكلام خاصة.

أحصى مشايخ المفيد واساتذته ومنْ قرأ عليهم أو روى عنهم فبلغوا (خمسين) في (مستدرك الوسائل ٣/٥٢٠ - ٥٢١) و(تسعاً وخمسين) في (مقدمة البحار ١/٧٤ - ٧٧) و(واحداً وستين) في (مقدمة التهذيب ١/١١) ، إلّا أن من قرأ عليهم علم الكلام هم:

١ - أبو ياسر طاهر المتكلّم الإمامي غلام (تلמיד) أبي الجيش الخراساني قالوا: «وعليه كان ابتداء قراءة شيخنا أبي عبدالله، قرأ عليه في منزلة

(٢٩٠) الخطيب، تاريخ بغداد، ١٠/٢٨٢، ابن الجوزي، المتظم، ٨/١٨، ابن كثير، ١٢/١٨، ابن كثير، ١٢/١٨، ابن تغري برذى، النجوم الظاهرة، ٤/٢٦١.

(٢٩١)

(٢٩٢) الصفدي، الواقي بالوفيات، ٥/١٧١، ابن عبد الحي، شذرات الذهب، ٣/٢٢٢، العصامي، سقط النجوم العالى، ٣٦٦/٣ - ٣٦٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٤١٦.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٤٥
باب خراسان^(٢٩٣) .

يذكر ابن ادريس وورام:

إنَّ المُفِيدَ بعْدَمَا انْحَدَرَ مِنْ عَكْبَرَا إِلَى بَغْدَادَ (اشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبد الله المعروف بالجَعْل [وسيأتي أنَّ هَذَا لَا يَصْحُ فِي رَأْيِنَا] ثُمَّ قَرَا مِنْ بَعْدِهِ عَلَى أَبِي يَاسِرِ غَلَامِ أَبِي الْجَيْشِ [فِي الطَّبْعَةِ الْحَجْرِيَّةِ لِلسَّرَايْرِ: أَبِي الْحَسْنِ وَهَكُذا جَاءَ فِي مَعْجمِ رِجَالِ الْحَدِيثِ، عَنْهُ وَفِي طَقْمٍ: أَبِي الْجَيْشِ - بِالْمَهْمَلَةِ وَكَلَاهُما تَصْحِيفٌ، وَمِنْ هَنَا اسْتَبَطَنَا أَنَّ أَبَا يَاسِرَ هَذَا هُوَ طَاهِرُ غَلَامُ أَبِي الْجَيْشِ الَّذِي تَرَجَّمَ لِهِ النَّجَاشِيَّ وَغَيْرَهُ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ ابْتِدَاءُ قِرَاءَةِ الشَّيْخِ المُفِيدِ] بَابُ خَرَاسَانَ . . . «^(٢٩٤) .

ويذكر مكدرموت أنَّ المُفِيدَ أَخْذَ أَيْضًا عَنِ النَّاشرِ الأَصْغَرِ^(٢٩٥) وهو: علي بن عبد الله بن واصيف، أبو الحسن السَّحَلَاءُ البَغْدَادِيُّ، النَّاشرُ الأَصْغَرُ (٢٧١/٨٨٤ - ٣٦٥/٩٧٥ أو ٣٦٦/٩٧٦) الشاعرُ الأديبُ المتكلِّمُ، تلميذُ أَبِي سَهْلِ التَّوْبِخَتِيِّ، وَبِهَذَا أَوْجَدَ مكدرموتُ لِلْمُفِيدِ طَرِيقًا عَلَمِيًّا ثَانِيًّا إِلَى أَبِي سَهْلِ التَّوْبِخَتِيِّ وَكَلَامِهِ . ولِكُنِيَّةِ لِسْتَ عَلَى ثَقَةِ مِنْ صَحَّةِ هَذَا الْإِسْتِبَاطِ، لِأَنَّ النَّجَاشِيَّ لَا يَعْدُ فِي تَرْجِمَةِ النَّاشرِ أَنْ يَقُولُ: «ذَكَرَ شِيخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ لَهُ كِتَابًا فِي الْإِمَامَةِ»^(٢٩٦) . وَشِيخُ الطَّائِفَةِ

(٢٩٣) كان في الأصل الباب الشرقي لمدينة المنصور المُدُورة ثم أصبح من محلات الجانب الغربي في بغداد - معجم البلدان، ٤٥٩/١ ، تاريخ بغداد، ٧٤/١، ٧٢، الروض المعطار ١١١/٥٢٩.

(٢٩٤) راجع بالإضافة إلى ما نقدم من المصادر في = ٩٣ ما يأتي من المصادر في استاذيه الثالث والرابع.

(٢٩٥) السراير - ط الحجر - ٤٩٣ - ط مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ٦٤٨/٣ ، مجموعة ورام ، ٢٠٢/٢ ، والمصادر الآتية - .

(٢٩٦) مكدرموت ، النص الانجليزي ، ١٢/ .

(٢٩٧) النجاشي / ٢٧١ = ٧٠٩ .

وإن قال في ترجمته: «وله كتب(...). أخبرنا عنه الشيخ أبو عبدالله المفید رحمة الله»^(٢٩٨). إلا أن هذا النص لا يفيد سوى الرواية عن الناشئ لاأخذ العلم عنه.

يضاف إلى ذلك أنه لم ينص أحد من المترجمين للمفید أنه تلقى العلم عن متكلم إمامي سوى أبي ياسر، وأبي الجيش.

٢ - المظفر بن محمد بن أحمد، أبو الجيش البُلخِيُّ الخراساني ثم البغدادي المتكلّم الإمامي (** - ٩٧٧ / ٣٦٧ = ٩٧٨) [٩٢] تلميذ أبي سهل النوبختي [= ٤٩ / ١] واستاذ أبي ياسر.

والشيخ المفید كثيراً ما يروي عن طريقه الحديث، فهو قد تحمل منه الحديث أيضاً^(٢٩٩).

٣ - الحسين بن علي بن إبراهيم، أبو عبدالله البصري ثم البغدادي، المعتزمي الحنفي المعروف بـ «جعل» (٢٩٣ / ٣٦٩ - ٩٠٦)، من أعلام المعتزلة وكان مقدماً في علمي الكلام والفقه. ذكروا: أنه انحدر الشيخ المفید، وهو صبي، مع أبيه من مسقط رأسه عُكُبراً^(٣٠٠).

انحدر إلى بغداد، واشتغل بالقراءة على أبي عبدالله البصري في منزله

(٢٩٨) الفهرست ١١٥ - ١١٦.

(٢٩٩) المفید، الأمالی / ١٨، ١٩، ١٧٥، ١٩٠، ٢١٥، ٢٠٢، ١٩٠، ٢١٨، ٣٩، ٤٠، الارشاد / ٤١، الطوسي، المالي / ١٢٢، ٦٢، ٧٦، ٩٣، ٩٧، ١٢٥، ١٢٠، ١٣٢، ١٦٦، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٤٤ - ٢٤٣.

(٣٠٠) بلية كانت على شاطئ دجلة من نواحي دجبل - ولا تزال دجبل قائمة بالعراق تحمل اسمها هذا - بينما وبين بغداد عشرة فراسخ، معجم البلدان، ٤ / ١٤٢، الانساب، ٩ / ٣٤٥، مراصد الاطلاع، ٢ / ٩٥٣ بلدان الخلافة... ٥١ - ٥٠.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه
٢٤٧ بذرْبِ رياح (٣٠١).

وأرى أن قولهم هذا لا يدل على أن تلمند الشيخ المفيد على أبي عبدالله البصري كان سابقاً على تلمنده على أبي ياسر، بل يعنون أنه كان سابقاً على تلمنده على استاذه الرماني الذي ذكره، إذ من بعيد جداً أن يبدأ المفيد الإمامي الذي يرعاه أب إمامي بقراءة علم الكلام على متكلم غير إمامي ، لكن جاء في هذه الرواية قوله: «اشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبدالله المعروف بالجُعل [؟] ثم على أبي ياسر، وكأن أبو ياسر ربما عجز عن البحث معه والخروج عن عهده فأشار عليه بالمضي إلى علي بن عيسى الرماني الذي هو من أعاظم علماء الكلام . . . ». وهذا خطأ من الراوي يصححه نص علماء الرجال على أن الشيخ المفيد قرأ أول ما قرأ، على أبي ياسر.

٤ - علي بن عيسى بن علي بن عبدالله، أبو الحسن الرماني البغدادي المعتزلي (٢٩٦ / ٩٠٨ - ٣٨٤ / ٩٩٤) المتكلم، والمفسر، والأديب، والعارف بعلوم اللغة والنحو. أرشده إلى قراءة علم الكلام على الرماني استاذه أبو ياسر، وهو كان بعد يقرأ على أبي عبدالله البصري، فقرأ عليه، وهو الذي لقبه بالمفيد اثر مناقشة وقعت بين الأستاذ والتلميذ (٣٠٢).

(٣٠١) من دروب الكرخ بغربي بغداد- الانساب، السراير / ٢٠٩ / ٦، السراير / ٤٩٢ ط الحجر = ط جامعة المدرسين، ٦٤٨ / ٣ مجموعة ورثا، ٣٠٢ / ٢، روضات الجنات، ١٥٩ / ٦، ١٦٠، رجال بحر العلوم، ٣١٤ / ٣، ٣١٥، تقييع المقال، ٣ - ١٨٠ / ١، ١٨١، سفينة البحار، ٣٩٠ / ٢، معجم رجال الحديث، ٢٣٢ / ١٧، مستدرك الوسائل، ٥١٩ / ٣، لؤلؤة البحرين ٣٥٩ /

(٣٠٢) السراير / ٤٩٣ - ٤٩٤ = ٦٤٨ / ٣ - ٦٤٩، مجموعة وراثا، ٣٠٢ / ٢ - ٣٠٣، روضات الجنات، ١٦١ - ١٦٠ / ٦، رجال بحر العلوم، ٣١٤ / ٣ - ٣١٥، سفينة البحار، ٣٩٠ / ٢، تقييع المقال، ١٨٠ / ١ - ٣، معجم رجال الحديث، ٢٣٢ / ١٧ - ٢٣٣، مستدرك الوسائل، ٥١٩ / ٣ - ٥٢٠، لؤلؤة البحرين ٣٦١ - ٣٥٩.

وقال ابن حجر في ترجمة أبي سهل التونختي (٢٣٧ / ٨٥١ - ٣١١) [٩٢٣ = ٤٩ / ١] : «أخذ عنه أبو عبدالله بن النعمان المعروف بالمفید شیخ الشیعة فی زمانه»^(٣٠٣) وهذا خطأ بلا شك، إذ ان المفید الذي ولد ٩٤٨ / ٣٣٦ أو ٩٥٠ / ٣٣٨ لم يدرك حیاة أبي سهل، وإنما هو استاذ لاستاذ المفید، وهو أبو الجيش الخراساني الذي أخذ عن أبي سهل، وأخذ عنه المفید.

وقال ابن شهرآشوب : «وقرأ على جعفر بن قولويه ، وعلى أبي القاسم علي بن محمد الرفاء ، وعلى أبي الجيش البلخي^(٣٠٤) ، ولم يرد ثانی من ذكرهم ابن شهرآشوب عند غيره ولم يعثر على ذكر له فيما يروي عنهم شیخنا المفید . وأرى : إنَّه (الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى) وأمَا الرفاء فلم يرد لقباً من اسمه واسم أبيه علي بن محمد ، وكنية أبو القاسم^(٣٠٥) .

وأبو القاسم كنية لابن قولويه شیخ المفید في الفقه والحديث وهو أول من ذكرهم ابن شهرآشوب وقد تقدَّم ذكره عندما ذكرنا إنَّه دفن إلى جانب استاذه في الحرم الكاظمي الشريف على مُشرفة سلام الله وتحياته . وهو: أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ح ٢٨٢ / ٣٦٨ - ٨٩٨ / ٩٧٩) وصحیح الكلام : «وقرأ على أبي القاسم جعفر بن قولويه ، وعلى علي بن عيسى الرماني ، وعلى أبي الجيش البلخي».

٢٧ - أثر التلمذة

ولابد لنا من وقفة عند الشیخین المعتزلین للشیخ المفید وتتلذذه عليهما ، فاؤلئکا هُو: أبو عبدالله البصري ، ثم البغدادی الحنفی ، الجعل الكاغدي .

أخذ أولاً عن أبي علي بن خلاد ، من مقدمي أصحاب أبي هاشم

(٣٠٣) لسان الميزان ، ٤٢٤ / ١ .

(٣٠٤) معالم العلماء / ١٠١ ، ط التحف الأشرف / ١١٣ .

(٣٠٥) راجع: الانساب ، ١٤٤ / ٦ - ١٤٧ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٤٩

الجبائي [عبد السلام بن محمد، أبو هاشم بن أبي علي الجبائي البصري، ثم البغدادي (٢٧٧ - ٨٩٠ / ٣٢١ - ٩٣٣)] ثم عن أبي هاشم نفسه، ولازمه إلى أن تخرج عليه^(٣٠٦).

وكان القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، المتتكلم المعتزلي الشهير، والفقیہ الشافعی (٩٣٢ / ٣٢٠ أو ٩٣٦ / ٣٢٥ - ٩٣٦ / ٤١٥) أحد من أخذ عنه، فإنه قرأ على أبي إسحاق بن عیاش في البصرة أولاً، ثم رحل إلى بغداد وأقام عند الشيخ أبي عبدالله البصري مدة مدیدة^(٣٠٧).

وعلى هذا فقد شارك المفید في شیخه أو لأدیری هل زامله في محضر استاذه؟! ومن المحتمل قوياً أنهما تلاقيا في مجلس أبي عبدالله، وإن لم أجده ما يدل على ذلك، ولعل في الاعتبارات القائمة على ملاحظة سنی ولادتهما وكيفية دراستهما ما يؤکد لنا أن هجرة القاضي إلى بغداد كانت في أيام حضور الشیخ المفید على أبي عبدالله البصري.

ولهذا يمكننا أن نحتمل أن المفید والقاضي قد تعرّف كل منهما على الآخر، في مجلس شیخهما البصري تحکیماً للزماله الدراسية.

ولعل هذا يكون المبرر لما ضعفه مکدرموت من قیاس اراء المفید بأراء

القاضي عبد الجبار خاصة دون غيره^(٣٠٨)

(٣٠٦) (ابن النديم (المعتزلة) / ٢٢٢ ، (اصحاب ابي حنيفة) / ٢٦١ ، فضل الاعتزال / ٣٢٥ - ٣٢٨ ، المنة والأمل / ١٨٩ - ١٩٠ ، وراجع للتوسيع: تاريخ بغداد، ٧٤ - ٧٣ / ٨ ، المتظم، ١٠١ / ٧ ، الواقی بالوفیات، ١٧ / ١٣ ، لسان المیزان، ٣٠٣ / ٢ ، تاريخ الاسلام (٣٥١ - ٣٨٠) / ١٥٥ - ١٥٦ ، طبقات المفسرين، ١ / ١٥٥ - ١٥٦ ، سرکین (فقهاء الحنفیة) ط مصر - ٩٤ / ٢ .

(٣٠٧) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، / ٣٦٦ ، المنة والأمل / ١٩٠ - ١٩١ ، ١٩٤ ، والقاضي قد رحل عن بغداد حدود ٩٧٦ / ٣٦٦ (راجع ترجمته المنشورة في مفتاح فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة).

(٣٠٨) راجع: القسم الأول من النص الانجليزي.

وأبو عبدالله البصري في ارائه كان امتداداً للاتجاه الاعتزالي البصري، وبهذا يختلف عن المدرسة البغدادية، وسيأتي الكلام عن هذا فيما بعد. ولكنه لم يكن يحمل العواطف الخاصة بمعتزلة البصرة، تجاه أمير المؤمنين واله عليهم السلام. قال ابن المرتضى الزندي عنه، «وكان يميل إلى علي عليه السلام ميلاً عظيماً، وصنف كتاب التفضيل وأحسن في غاية الإحسان»^(٣٠٩). وجاء عند الزيدية: وروى السيد أبو طالب [الهاروني الزيدى] عن أبي العباس العماري الطبرى ، قال :

كان أبو عبدالله البصري عند أبي عبدالله بن الداعي رضي الله عنه [أبو عبدالله محمد بن (الداعي إلى الله) الحسن بن القاسم بن الحسن ، الحسني ، الزيدى (٤٣٠ - ٩١٦ / ٣٦٠ - ٩٧١ / ٣٦٠)] ليلة ، وكان يجري كلام في الإمامة والنصل على أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال أبو عبدالله البصري : قول العباس له : «أمدد يدك أبايعك» يدل على أنه لم يكن منصوصاً عليه ، لا ترى إنه ذكر في سبب إمامته البيعة دون النص المقصود ! فقال أبو عبدالله بن الداعي : قوله : «أمدد يدك أبايعك» يدل على أنه كان منصوصاً عليه ، لا ترى أنه لم يستشر ولم يقل : نختارك ، جماعةً منا ، وتفتف عليك ، ثم أبايعك !

وكان أبو عبد الله البصري يقول لأصحابه : لا تتكلموا في مجلس الشريف أبي عبد الله وبحضرته في مسألتين : في مسألة الإمامة ، وفي مسألة سهم ذوي القربي ، فإنه لا يحتمل ما يسمع منكم في هاتين المسألتين ويوحشه ذلك^(٣١٠).

وأما الثاني ، وهو الرماني ، وكان من أصحاب ابن الإخشيد^(٣١١).

(٣٠٩) المنية والأمل / ١٩٠.

(٣١٠) الحدائق الوردية ، ٥٤ / ٢ ، وذكر الاخير ابن المرتضى في المنية والأمل / ١٩٠.

(٣١١) ابن النديم / ٢٢١ ، فضل الاعتزال وذكر المعتزلة / ٣٣٣ ، معجم الأدباء ، ٢٨١ / ٥.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٥١

وابن الاخشید هو: أَحْمَدُ بْنُ عَلَيِّ بْنِ يَعْجُورِ، أَبُو بَكْرٍ بْنِ الْإِخْشَادِ /
الاخشید، البغدادی ، الشافعی (٢٧٠ / ٨٨٣ - ٩٣٨ / ٣٢٦). كان أبوه من أبناء
الأتراك، وكان والياً على الشغور - كما قال ابن حزم -. وكان هو من أفضلي
المعتزلة وصلحائهم وزهادهم، ومتزلم في سوق العطش ببغداد في درب يعرف
بدرب الاخشاد.

وكانت له معرفة بالفقه والعربيـة، ولـه مصنفات في الكلام والفقـه ذكر
(ابن) النديـم سـبعة منها. وكان يعارض الكـعـبـيـ، وأبا عليـ الجـبـائـيـ وابـنهـ. وـعـدهـ
(ابن) النديـم من بـدـعـيـةـ المـعـتـزـلـةـ. ولـهـ أـتـبـاعـ يـعـرـفـونـ بـالـاـخـشـيـدـيـةـ.

أخذ الكلـامـ عنـ أبيـ عبدـ اللهـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـرـ الصـيـمـريـ الـبـصـرـيـ (٣١٢ـ).
وهـكـذاـ كانـ اـبـنـ اـلـاـخـشـیدـ مـنـاهـضـاـ لـلـخـطـ الـاعـتـزـالـيـ الـبـصـرـيـ، وـوـرـثـ
تـلـمـيـذـهـ الرـمـانـيـ مـنـهـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ أـيـضاـ، فـقـالـ عـنـهـ المـعـتـزـلـةـ: وـكـانـ يـتـعـصـبـ عـلـىـ
أـبـيـ هـاشـمـ [ـالـجـبـائـيـ]. قـالـ الـبـلـخـيـ [ـالـكـعـبـيـ]: وـحـضـرـتـهـ لـأـعـرـفـ طـرـيقـتـهـ فـتـجاـوزـ
كـلـ حـدـ فـيـ التـعـصـبـ فـلـمـ أـعـدـ إـلـيـهـ (٣١٣ـ).

* * *

وبـماـ قـدـمـناـ مـنـ الفـارـقـ بـيـنـ الشـيـخـيـنـ الـمـعـتـزـلـيـنـ، وـأـنـ كـلـاـ مـنـهـمـ كـانـ يـمـثـلـ
اتـجـاهـاـ اـعـتـزـالـيـاـ خـاصـاـ يـخـتـلـفـ مـعـ الـآـخـرـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ النـقـاطـ، فـإـنـ المـفـیدـ حـينـماـ
تـحـوـلـ مـنـ شـيـخـهـ الـأـوـلـ أـبـيـ عـبـدـ اللهـ الـبـصـرـيـ الـبـصـرـيـ الـاتـجـاهـ إـلـىـ شـيـخـهـ الثـانـيـ

(٣١٢ـ) فـصـلـ الـاعـتـزـالـ وـذـكـرـ الـمـعـتـزـلـةـ / ٣٠٨ـ - ٣٠٩ـ، ٣٣١ـ - ٣٣٣ـ، المـنـيـةـ وـالـأـمـلـ / ١٨٦ـ - ١٨٥ـ، ١٩١ـ، (ابـنـ) النـديـمـ / ٢٢٠ـ - ٢٢١ـ، تـارـيخـ بـغـدـادـ، ٣٠٩ـ / ٤ـ، سـيرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ، ١٥ـ / ١٥ـ - ٢١٨ـ - ٢١٩ـ، تـارـيخـ الـاسـلـامـ (٣٢١ـ - ٣٣٠ـ) / ١٨٦ـ - ١٨٧ـ، الـوـافـيـ بـالـوـفـيـاتـ، ٢١٦ـ / ٧ـ، لـسـانـ الـمـيزـانـ، ٢١٣ـ / ١ـ، دـائـرـةـ الـمـعـارـفـ الـاسـلـامـيـةـ - بـالـانـجـلـيـزـيـةـ - الـطـبـعـةـ الـحـدـيـثـةـ، ٨٠٧ـ / ٣ـ.

(٣١٣ـ) المـنـيـةـ وـالـأـمـلـ / ١٩٣ـ.

الرمانى البغدادى الاتجاه، فإنه يكون قد اتصل بتيار فكري اعززالى جديـدـ. وهناك من الأدلة الشيء الكثير الذى يقـنـعـناـ بـأنـهـ وـجـدـ فىـ الثـانـيـ التـعلـيمـ المـقـنـعـ والـجـوابـ الـمـنـاسـبـ لـماـ كـانـ يـدـورـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ الـأـسـلـةـ الـعـلـمـيـ. ولـعـلـ روـاسـبـهـ الفـكـرـيـ كـانـتـ تـسـاعـدـهـ عـلـىـ الـانـدـمـاجـ فـيـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ الجـديـدـ وـهـذـاـ هـوـ الـذـيـ يـفـسـرـ لـنـاـ مـاـ جـاءـ فـيـ رـوـاـيـةـ اـبـنـ اـدـرـيسـ وـالـشـيـخـ وـرـامـ مـنـ أـنـ اـسـتـاذـهـ السـابـقـ عـلـىـ الرـمـانـيـ (رـيـمـاـ عـجـزـ عـنـ الـبـحـثـ مـعـهـ وـالـخـرـوجـ عـنـ عـهـدـهـ فـأـشـارـ عـلـيـهـ بـالـمـضـيـ إـلـىـ عـلـيـ بـنـ عـيـسـىـ الرـمـانـيـ الـذـيـ هـوـ مـنـ أـعـاظـمـ عـلـمـاءـ الـكـلـامـ) (وـقـدـ مـرـ بـمـصـادـرـهـ). وـنـرـىـ فـيـ هـذـاـ دـلـيـلـاـ مـقـنـعـاـلـىـ أـنـ يـكـونـ اـسـتـاذـ السـابـقـ هـوـ أـبـوـ عـبـدـالـلـهـ الـبـصـرـيـ الـمـخـلـفـ مـعـ تـلـمـيـدـهـ فـيـ اـتـجـاهـهـ الـفـكـرـيـ، وـالـذـيـ لـمـ يـكـنـ لـيـرضـيـ نـهـمـهـ الـعـلـمـيـ، بـلـ وـلـاـ يـمـلـكـ مـاـ يـقـنـعـ تـلـمـيـدـهـ بـصـحـةـ اـرـائـهـ وـالـثـقـةـ بـسـلـامـةـ اـتـجـاهـهـ الـاعـزـالـيـ الـقـائـمـ عـلـىـ اـتـابـعـ الـمـدـرـسـةـ الـبـصـرـيـةـ.

ولـعـلـ مـنـ آـثـارـ تـلـمـذـ المـفـيدـ عـلـىـ الرـمـانـيـ مـعـارـضـتـهـ لـمـدـرـسـةـ الـبـصـرـةـ وـمـعـاكـسـتـهـ لـرـجـالـهـ وـخـصـائـصـهـ خـاصـةـ أـبـرـزـ شـيوـخـهـ وـآـخـرـ مـنـ يـمـثـلـ بـحـقـ مـدـرـسـتـهاـ وـهـمـاـ أـبـوـ عـلـيـ الـجـبـائـيـ وـابـنـ أـبـوـ هـاشـمـ (٣١٤ـ).

ولـابـدـ لـيـ مـنـ التـنبـيـهـ عـلـىـ أـنـيـ اـسـتـعملـتـ (التـائـشـ) وـأـنـاـ عـالـمـ بـخـطـاـءـ هـذـاـ الـاستـعـمـالـ، إـنـتـمـاـ أـرـدـتـ بـهـ موـافـقـةـ الـتـلـمـيـذـ لـأـرـاءـ اـسـتـاذـ الـجـديـدـ دونـ الـقـدـيمـ فـحـسـبـ.

والـسـرـ فـيـ هـذـاـ أـنـيـ قـدـ قـدـمـتـ أـنـ المـفـيدـ تـلـمـعـ الـكـلـامـ الـإـمامـيـ الـقـائـمـ عـلـىـ خـصـائـصـ عـقـيـدةـ الشـيـعـةـ الـإـمامـيـةـ وـتـشـبـعـ بـهـ فـحـينـاـ يـنـكـرـ رـأـيـاـ اـعـزـالـيـاـ بـصـرـيـاـ

(٣١٤ـ) راجـعـ مـعـارـضـتـهـ لـلـاتـجـاهـ الـبـصـرـيـ اوـاـئـلـ الـمـقـالـاتـ طـ المـؤـتـمـرـ ٥٣ـ/ـ٥٤ـ،ـ٥٩ـ،ـ٦٠ـ.ـ وـفـيـهاـ مـورـدانـ،ـ٦١ـ،ـ٨٨ـ،ـ٨٩ـ.ـ وـفـيـهاـ مـورـدانـ،ـ٩١ـ،ـ٩٣ـ،ـ٩٨ـ،ـ٩٣ـ،ـ١٠٣ـ،ـ١٠٩ـ،ـ١١١ـ،ـ١١٣ـ.ـ وـفـيـهاـ مـورـدانـ.ـ وـانـكـارـ المـفـيدـ الشـدـيدـ لـأـحـوالـ اـبـيـ هـاشـمـ ٥٦ـ.ـ وـلـارـاءـ اـبـيـ اـبـيـ عـلـيـ /ـ اوـاـئـلـ الـمـقـالـاتـ ٦١ـ/ـ٨٥ـ،ـ٩٦ـ،ـ١٢٥ـ.ـ وـارـاءـ اـبـنـ اـبـيـ هـاشـمـ ٨٦ـ،ـ١٠٥ـ،ـ١٠٥ـ.ـ وـرـأـيـ الـاثـنـينـ ٩٢ـ،ـ٩٧ـ،ـ١٢٩ـ،ـ١٠٤ـ،ـ١٠٣ـ،ـ١٠٢ـ،ـ١٠٠ـ.ـ ١٣٠ـ.

لا ينكره لأنَّ معتزلة بغداد ومنهم استاذ الرمانى قد انكرها وعارضها، وإنما لأنَّ الكلام الإمامي لا يقبل بها، وفيما أشرت من الأمثلة لا نجد ولا مثلاً واحداً انفرد فيه المفيد عن إخوانه الإمامية قطع المعتزلة وخالفهم وفي هذا وحده الدليل الكافى والمقنع في أنَّ الإمامية كان لهم رأى مستقل، وإن تعليل موافقة معتزلة بغداد لهم، التعليل الصحيح إنما هو إنهم تأثروا بالإمامية، ولهذا انفصلوا عن إخوانهم البصريين.

وذكر في الثلاثة اشياء التي لا تعقل: أحوال «البهشمية» وإن القول بالاحوال يتضمن من فحش الخطأ والتناقض ما لا يخفى على ذي حجا - ثم فصل ذلك (٣١٥) - .

ومن المرجح أن يكون الذي أشار عليه بالحضور عند الرمانى هو شيخه أبو ياسر لا البصري ، ولكنه لم يكن هو الذي تحول منه إلى الرمانى ، والصورة التي نراها تعكس الواقع بدقة هي أن المفيد بعد أن حضر عند متكلمين إماميين ، حضر عند البصري ، فلم يرضه فاستشار استاذه أبي ياسر فأشار عليه بالحضور عند الرمانى ، فيكون الذي عُمِيَ من الجواب البصري ، والذي أشار أبو ياسر.

ولابد لنا من وقفة أخرى عند الرمانى - وإن طال بنا الوقوف - :

إنَّ علي بن عيسى ، أبي الحسن الرمانى ، البغدادي (٩٠٩ / ٢٩٦ - ٩٩٤ / ٣٨٤) كان من أعلام المعتزلة في عصره مُفتنا في علوم كثيرة من الفقه ، والقرآن ، والنحو ، واللغة ، والأدب ، والمنطق ، والكلام ، كثير التصنيف في عامة العلوم التي كان يعرفها . وقد امتد به عمره إلى ما يقرب من تسعين سنة . وقد عُرف عنه الثبات في الرأي والمذهب والصمود أمام التوازع الفكرية والزعانف المذهبية ، وإن قصته مع السري الرفاء لتعكس هذه الناحية من خلقه

النفسي والعلمي . والسرىي بن أحمد بن السرىي الكندي أبو الحسن الرفاء الموصلى ، ثم البغدادى (٩٧٣/٣٦٢ - * *) شاعر أديب ، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل ، فُعرف بالرفاء ، ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب ، فمدحه وأقام عنده مدة ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ، ومدح جماعة من الوزراء والأعيان ونفق شعره إلى أن تصدقى له الخالديان ، محمد وسعيد ابنا هاشم - بسبب ذكره في ترجمته - وكانت بينه وبينهما مهاجة فأذىها وأبعدها عن مجالس الكبار فضاقت ذنياه ، ويقال : إنه عدم القوت ، ودفع إلى الورقة ، وركبه الدين ومات على تلك الحال . وكان في شعره عذب الالفاظ مُغنتاً في التشبيهات والأوصاف ولكن لم يكن له رواة ولا منظر^(٣١٦) .

قال (ابن) النديم : كان السرىي الرفاء جاراً لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ، وكان كثيراً ما يجتاز بالرماني ، وهو جالس على باب داره ، فيستجلسه ويحدّثه ويستدعيه إلى أن يقول بالإعتزال ، وكان سريي يتشيّع ، فلما طال ذلك

عليه أشد : *من تحقّقات كاتب تأثير علوم رسالى*

أَقْارِعُ أَعْدَاءِ النَّبِيِّ وَاللهِ
قِرَاعًا يَعْلُمُ الْبَيْضُ عِنْدَ قِرَاعِهِ
وَأَعْلَمُ كُلَّ الْعِلْمِ أَنَّ وَلِيهِمْ
سَيْجَرَى غَدَةَ الْبَغْثِ صَاعًا بِصَاعِهِ
فَلَا زَالَ مَنْ وَلَاهُمْ فِي عُلُوهِ
وَلَا زَالَ مَنْ عَادَهُمْ فِي اتْضَاعِهِ

(٣١٦) ابن النديم ١٩٥ / ١٩٤ ، تاريخ بغداد ، ١٩٤/٩ ، المتنظم ، ٦٢/٧ - ٦٣ ، الانساب ، ٦/٦ - ١٤٥ ، ابن خلكان ، ٢ / ٣٥٩ - ٣٦٢ ، معجم الأدباء ، ٤ / ٢٢٧ - ٢٢٩ ، بغية الطلب ، ٩ / ٤٢٠٤ ، الواقي بالوفيات ، ١٥ / ١٣٦ - ١٤١ .

وَمُعْتَزِلِي رَامَ عَزْلَ وَلَا يَسِي
عَنِ الْشَّرْفِ الْعَالِيِّ بِهِمْ وَارْتِفَاعِهِ
فَمَا طَاوَعَنِي النَّفْسُ فِي أَنْ أَطِيعَهُ
وَلَا آذَنَ الْقُرْآنُ لِي فِي اتِّبَاعِهِ
طَبَعْتُ عَلَى حُبِّ الْوَصِيَّ وَلَمْ يَكُنْ
لِّيْنَقْلُ مَطْبُوعُ الْهَوَى عَنْ طِبَاعِهِ^(٣١٧)

وللناثئ الأصغر، المتكلم الإمامي الشهير - الذي سبقت الإشارة إليه عند الكلام عن أساتذة المفيد - مناظرة مع الرمانى، انقطع الرمانى، فأخذ الناثئ يندد به. وللقصة طول^(٣١٨).

فالرمانى هذا وبهذه النفسية، نجدهم يذكرون عنه أنه راضى معتزلي - كما يقول الذهبى وابن حجر وأخرون - وقال الققاطى : وكان مع اعتزاله شيعياً. ويقول التنوخي الرواى عنه : وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعتزلة أبو الحسن علي بن عيسى التحوى المعروف بالرمانى الاخشيدى^(٣١٩).

والأهم من هذا أن ابن حجر يقول : وقد ذكر ابن النديم في الفهرست : أن مصنفات علي بن عيسى الرمانى التي صنفها في التشيع لم يكن يقول بها ،

(٣١٧) الفهرست - ط تجدد - ٢١٨ / - الهاشمى - ، ط مطبعة الاستقامة، القاهرة/٢٥٦ ، وال فهوست ، صياغة جديدة - تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان ، دار قطري بن فجامة ، الدوحة ، ط ١٩٨٥٢ / ٣٦٢ .

(٣١٨) معجم الادباء ، ٢٢٧ / ٥ ، الوافي بالوفيات ، ٢٠٤ / ٢١ .

(٣١٩) راجع قول التنوخي خاصة معجم الادباء ، ٥ / ٢٨١ - ٢٨٠ ، تاريخ الاسلام (٣٨١) .
(٤٠) ٨٣ - ٨٢ / . واصف الذهبى : الله ذرها ! ، سير أعلام النبلاء ، ١٦ / ٥٣٤ ، لسان الميزان ، ٤ / ٢٤٨ .

وذكر الققاطى في جملة كتبه الكلامية : كتاب تفضيل علي إنبأه الرواة ، ٢ / ٢٩٦ .

وإنما صنفها تقبة لأجل انتشار مذهب التشيع في ذلك الوقت^(٣٢٠). وقد ضاع هذا النص في جملة ماضع من النصوص من الفهرست التي وصلتنا . وأرى أنَّ مما لا يقبل الشكَ أنَّ المفید هو الذي أثر في استاذه الرَّماني هذا الأثر الأشد والأقوى مما صنعه الاستاذ بتلميذه . وأنَّ التقبة يومذاك - بل وفي جميع عصور الشيعة تاريخ التشيع - لم تكن يوماً ما في صالح الشيعة ، خاصة يومذاك ، ولا أريد أن أسوق من الأدلة والشاهدات التاريخية التي كانت تتواجد يومذاك في بغداد بلد الاستاذ والتلميذ ، والتي إن كانت تحمل المفید على التقبة - وكثيراً ما كان المفید يتجاوزها بشجاعة ندر أنَّ توجد في غيره - فإنها لم تكن لتحمل الاستاذ السنّي على أنَّ يُتقى التلميذ ومذهبه ، إن لم تكن موافقة رأيه ومتفرقة مع عقidiته القلبية وعواطفه المذهبية .



٢٨ - معلم الأمة. *مرتحقفات فاسطورة علوم إسلامي*

ولا أطيل هنا الكلام ، وإنما أكتفي بترجمة له جاءت عن ابن أبي طي ،
يحيى بن حميدة بن ظافر الغساني الحلبي (١١٧٩/٥٧٥ - ١٢٣٣/٦٣٠) ذكرها في (تاريخ الإمامية) وحكاماها الذهبي باختصار ، قال :

هو شيخ مشايخ الطائفة ، ولسان الإمامية ، ورئيس الكلام والفقه
والجدل ، كان أوحد في جميع فنون العلوم : الأصوليين ، والفقه ، والأخبار ،
ومعرفة الرجال ، والقرآن ، والتفسير ، والنحو ، والشعر ، ساد في ذلك كله .
وكان يناظر أهل كلّ عقيدة مع الجلاله والعظمة في الدولة البويمية ،
والرتبة الجسيمة عند الخلفاء العباسية .

وكان قويَّ النفس ، كثير المعروف [البر - سير] والصدقة ، عظيم

الخشوع، كثير الصلاة والصوم يلبس الخشن من الثياب، وكان بارعاً في العلم وتعلمه، مديماً للمطالعة والفكير، وكان من أحفظ الناس.

حدثني شيخي ابن شهرآشوب المازندراني ، حدثني جماعة ممن لقيت: أن الشيخ المفيد ما ترك كتاباً للمخالفين إلا وحفظه وباحث فيه، وبهذا قدر على حل شبه القوم.

وكان يقول لطلابه: لا تضجروا من العلم، فإنه ما تعرّف إلا وهان، ولا تأبه إلا ولأن. وقد قصد الشيخ من الحشوية، والجبرية، والقدرة فأذل له حتى أخذ منه المسألة أو أسمع منه.

وقال آخر: كان المفيد من أحقر الناس على التعليم، وإن كان ليدور على المكاتب وحوائط الحاكمة فيلمح [فيتلمح - سير] الصبي الفطن، فيذهب إلى أبيه أو أمه، حتى يستأجره ثم يعلمه [يعني: فيُضلله - سير]، وبذلك كثر طلابه.

وقال غيره: كان المفيد ذا منزلة عظيمة من السلطان، ربما زاره عضد الدولة، وكان يقضي حوائجه، ويقول له: اشفعْ تشفعْ. وكان يقوم لطلابه بكل ما يحتاجونه إليه.

وكان الشيخ المفيد ربيعاً، نحيفاً أسمراً. وما استغلق عليه جواب معاند إلا فزع إلى الصلاة، ثم يسأل الله فيُسر له الجواب...^(٣٤١)

٢٩ - المفيد المتكلّم والمناظر

عاش الشيخ المفيد في عصر احتفل بشتى المذاهب والفرق، الكلامية منها والفقهية، وفي بيته جمعت مختلف العلماء والمفكّرين، وكانت حرية البحث والنظر واصطراع الفكر والرأي لا تزال قائمة لم يقتلها تغلب مذهب معين

(٣٤١) تاريخ الإسلام (أحداث ٤١٣ هـ) سير أعلام النبلاء، ١٧ / ٣٤٤ - ٣٤٥، وحذف منها وصيته لطلابه وقصده الحشوية وأخوانهم، وقيامه بحاجة طلابه، ولجوئه إلى الله سبحانه! ولا حاجة بنا إلى التعليق

على بقية المذاهب والأراء تلك الغلبة المطلقة التي حدثت ببغداد فيما بعد عصر المفيد.

وكان المفيد - كما تقدّم في التعريف به - «بارعاً في الكلام والجَدَلِ، دقيق الفطنة، ماضيُّهُ الخاطر، حاضرُهُ الجوابُ، فقيهاً مناظراً، يناظرُ أهلَ كلّ عقيدةٍ. وكان له مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء من سائر الطوائف. وقد مكّنه من ذلك ما كان قد حظي به من الجلال والعظمة في الدولة البويمية، والوجاهة والقبول عند ملوك الأطراف، لميّل كثيراً من أهل ذلك الزمان إلى التشيع».

ولكن المصادر التي وصلتنا - وما أفلّها، ومنها مجموعة كتب الشيخ المفيد وتاليفه، التي سنذكر ما يرجع منها إلى الكلام والجدل والنظر - لا تعكس هذه الظاهرة إلا في نطاق ضيق جداً. وكلّ ما عثرت عليه يرجع أهمّ اجزائه إلى ما جاء في «الفصول المختارة من العيون والمحاسن» تأليف الشريف المرتضى ، الذي ساقه عندما ذكر كتب الشيخ المفيد. وكلّ هذه المجادلات والمناظرات التي أحصيت مواردها إنما وقعت في أماكن آخر، غير دار الشيخ المفيد الذي كان له فيه مجلس نظر مستمر، وبهذا يصح لي أنّ أقول أنّ القائمة الآتية لا تعكس من الواقع - مع الأسف الشديد - إلا في أضيق حدوده ومعالمه .

١- المعتزلة:

- ١- من لم يُسمّ منهم:
«بعض متكلمي المعتزلة»^(٣٢٢).
- «رجل من المعتزلة»^(٣٢٣).

(٣٢٢) الانصاح / ، عدة رسائل/ ٦٨.

(٣٢٣) عدة رسائل/ ١٩٥ - ١٩٩.

«شيخ من المعتزلة»^(٣٢٤).

«شيخ من حُذَاق المعتزلة وأهل التَّدِين بِمِذْهَبِهِ مِنْهُمْ»^(٣٢٥).

«جماعة من متكلمي المعتزلة»^(٣٢٦).

«حضرت - كما يقول الشيخ المفيد نفسه - بمجمع لقوم من الرؤساء وكان فيهم شيخ من أهل الرأي معتزلي كانوا يُعْظِمُونَهُ لمحَل سلفه وتعلَّقه بالدولة»^(٣٢٧).

«بعض المعتزلة، في مجلس قد ضمَّ جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقَّهة»^(٣٢٨).

«بعض المعتزلة»^(٣٢٩).

«انسان من المعتزلة»^(٣٣٠).

«قال الشيخ المفيد رضي الله عنه: أنكر رجل من البهشمية [أتباع أبي هاشم الجعائي] ضمَّنا وأيَّاه وجماعة من المعتزلة والمُجَبَّرَة...»^(٣٣١).

٢ - القاضي عبد العجبار بن أحمد بن عبد العجبار الأسدآبادي الهمданى المعتزلى الشافعى (٣٢٠ / ٩٣ - ٤١٥ / ٤٢٥) أحد أعلام المعتزلة وأئمتهما «وشاعت المُناظرة واتصلت بعاصد الدولة الديلمي فارسل إلى الشيخ فاحضره وسألَه عما جرى فحكى له ذلك فخلع عليه خلعة سنية وأخدمه بفرس محلن

(٣٢٤) الفصول المختارة، ٥١/١.

(٣٢٥) الفصول، ٧٦/١.

(٣٢٦) الفصول، ٨٦/١.

(٣٢٧) الفصول، ٩٧/١.

(٣٢٨) الفصول، ١١٥/١.

(٣٢٩) الفصول، ١٥٧/٢.

(٣٣٠) الرسالة الخامسة في الغيبة - عدة رسائل / ٤٠٢ - ٤٠١.

(٣٣١) رسالة في معنى المولى = تتع: الشيخ مهدي نجف، ط لندن ١٤١٠ / بمناسبة المهرجان.

بالزينة وأمر له بوظيفة تجري عليه»^(٣٣٢).

٣ - القاضي أبو محمد العماني المعتزلي

[عبد الرحمن بن محمد (-٣٨٥/٩٩٦) ولـي القضاء بربع الكرخ، وكان فيه جلادة وشهامة^(٣٣٣).]

وقدت المناظرة (في مجلس النقيب أبي الحسن العمري أدام الله عزه)^(٣٣٤):

(٣٣٢) مجالس المؤمنين، ١/٤٦٤ - ٤٦٥، روضات الجنات، ٦/١٥٩، رجال بحر العلوم، ٣١٧ - ٣١٥/٣، تفريح المقال، ٣/١٨٠، سفينة البحار، ٢/٣٩٠، معجم رجال الحديث، ١٧/٢٢٣، مستدرك الوسائل، ٣/٥٢٠، لؤلؤة البحرين/٣٦١ - ٣٦٢.

(٣٣٣) تاريخ بغداد، ١٠/٣٠٠.

(٣٣٤) النقيب أبو الحسن العمري هذا هو: علي بن أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر الملك الملائني بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عمر الاطرف بن أمير المؤمنين عليه السلام، أبو الحسن العمري، الذي انحدر إلى بغداد وولاه عضد الدولة نقابة الطالبيين أربع سنين عند القبض على أبي أحمد المهدى والد الشريفين.

السيد عبدالرزاق كمونة، منية الراغبين في طبقات النشابيين/٢٠٩ - ٢١٠، موارد الانتحاف في نقابة الأشراف، ٦٢١/٢٠٦.

وليس هو أبو الحسن علي بن أبي الغنائم محمد بن الفخرية بن علي بن أبي الطيب محمد بن أبي عبدالله محمد الملقب ملقطة بن احمد الضرير بن أبي القاسم علي بن محمد الصوفى بن عبدالله بن محمد بن عمر ابو الحسن المعروف بابن الصوفى صاحب (المجدى في النسب).

منية / ٢٥٤ - ٢٥٧ - فانه متاخر اولا ولم يكن نقيبا ثانياً.

وأيام نقابته كانت عند قصر عضد الدولة على النقيب أبي احمد الموسوي:

وفي صفر [٩٧٩/٣٦٩] قضى عضد الدولة الديلمي على النقيب أبي احمد الحسين الموسوي، والد الشريفين المرتضى والرضي، وعلى أخيه أبي عبدالله احمد، وعلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف، وسيرهم إلى فارس.

تجارب الامم، ٦/٣٩٩، المتنظم، ٧/٩٨، ابن الاثير، ٨/٧١٠، ابن كثير، ١١/٢٩٥.

وبعد وفاة عضد الدولة وتملك شرف الدولة فارس اطلق النقيب ابا احمد الموسوي ومن كان معه ستة [٩٨٣/٣٧٢]. ابو شجاع، ذيل تجارب الامم/٨١.

وكان بالحضره جمع كثير^(٣٣٥)

٤ - أبو بكر بن صرايا (وفي البحار: صراما) المعترضي .
واظنّ ظنّاً قوياً: ان: (صرايا) أو (صراما) تصحيف، وإنّ محمد بن عبد الرحمن الصُّبْرِي، أبو بكر ابن صُبْرَ الحنفي (٩٣٢/٣٢٠ - ٩٣٢/٣٨٠)^(٣٣٦)
قاضي عسكر المهدى [محلّة في الجانب الشرقي من بغداد عرفت فيما بعد بالرصافة]^(٣٣٧).

اشتهر بالاعتزال والدعوة إليه ، وكان رأساً في الكلام ، وكان من عقلاه الرجال له كتب في الفقه والكلام والتفسير^(٣٣٨).

وقدت المناظرة حينما «حضر الشيخ [المفيد] مجلس أبي منصور بن المرزبان ، وكان بالحضره جماعة من متكلمي المعتزلة»^(٣٣٩).

أبو منصور بن المرزبان الشيرازي ، أخو أبي الفضل بن المرزبان [محمد ابن عبدالله الكاتب]^(٣٤٠) وهو أبو منصور أحمد بن عبيد الله [وجاء في المتظم ، ٦٤/٧: بن عبدالله] الشيرازي كاتب الطائع [٩٢٩/٣١٧ -

ابن الأثير، ٢٣/٩ ، ابن خلدون، ٤/٤ . ٤٥٦ →

ولكنه لم يعد إلى بغداد إلا سنة ٩٨٦/٣٧٦ - ٩٨٧ كما جاء في ديوان الشريف الرضي عندما مدح آباء بقدومه من فارس بعد خروجه من القلعة التي كان محبوساً فيها .
الديوان - ط بيروت - ٥٧/١ - ٦٠ ، ط الخلد، ١/٢٣٧ - ٢٤١ .

(٣٣٥) الفصول، ١١/١.

(٣٣٦) معجم البلدان، ٤/٤ . ١٢٤ .

(٣٣٧) تاريخ بغداد، ٢/٣٢١ - ٣٢٢ ، الانساب، ٨/٢٧٥ - ٢٧٦ ، اللباب، ٢/٢٣٤ ، تاج العروس، ٣٢٦/٣ ، طبقات المفسرين الداودي، ٢/١٥٩ - ١٥٨ ، هدية العارفين، ٢/٥١ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام (٣٥١ - ٣٨٠) / ٦٦٦ - ٦٦٧ .

(٣٣٨) الفصول، ١/٨٥ - ٨٦ ، البحار، ١٠/٤٣٦ - ٤٣٩ .

(٣٣٩) الهفوات النادرة / ٢، ٣٠٢ ، ٣٠٤ .

خ=٣٦٣/٩٧٤ - ٩٨١ / ٩٩١) [٣٤٠].

«وكان أبو منصور أحمد بن عبیدالله بن المَرْبُّان الشیرازی له دار كان يصفها بكثرة من بطرقها»^(٣٤١).

وكانت زوجته بنت أبي الحسين بن مُقلة [أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن مُقلة (ح ٩١٩/٣٠٧ - ٩٥٧/٣٤٦) آخر وزراء المتّقى خلع عليه في (٣٤٢) ٣٣١/٩/١٨]

وكان قبله قد وزر للراضي أيام أبيه [محمد بن علي بن مقلة أبو علي (٢٧٢/٢٧٢ - ٨٦٦/٣٢٨) وزير المقتدر والقاهر]^(٣٤٣).

وقبض شرف الدولة البويمي عليه ٣٧٨/٩٨٨ - ٩٨٩^(٣٤٤).

وكان ٩٩١/٣٦٣ صاحب ديوان الرسائل، وهو الذي كتب الكتاب الذي خلع فيه المطیع نفسه في هذه السنة^(٣٤٥).

٥- أبو الحسن علي بن عيسى الرّمانی «ثاني استاذي المفید المتعزلین» وكانت المناقرة في مجلس (بعض الرؤساء، وكان فيه جمع كثير من المتكلمين والفقهاء»^(٣٤٦).

٦- الكُتُبي

[لم أعن له على ترجمة سوى أنه جاء ذكره في مجلس حکاه أبو حیان

(٣٤٠) ابو شجاع / ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ .

(٣٤١) ابو شجاع / ١٤٥ - ١٤٧ .

(٣٤٢) التنبیه والاشراف / ٣٤٤ ، مروج الذهب ، ٢٤٧/٤ - ٢٥٠ .

(٣٤٣) التنبیه والاشراف / ٣٣٧ ، وراجع : تجارب الامم ٤٣/٢ ، ٣١٠/١ ، ٤٤ ، ٤٣/٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ - الهامش ، تکملة الطبری ١١ / ٣٨٣ .

(٣٤٤) ابو شجاع / ١٤٥ - ١٤٧ .

(٣٤٥) المتنظم ٦٤/٧ .

(٣٤٦) الفصول ، ٢ / ٢٦٩ - ٢٧٤ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٦٣

التوحيدى تناظر فيه أبو سعيد السيرافي (٢٨٤ / ٣٦٨ - ٨٩٧ / ٩٧٩) وأبو بشر متى [بن يونس القنائي المنطقي والفيلسوف (٣٢٨ - ٩٤٠)] بمحضر الوزير ابن الفرات سنة ٩٣٧ / ٣٢٦ ، وفي المجلس جماعة من أصحاب الكلام وغيرهم. وإن تصحف عند ياقوت الذي يحكى عن أبي حيان بـ (الكندي) إذ الكندي الفيلسوف كان قد توفي قبل هذا بكثير (١٨٥ / ١٠٨ - نحو ٢٥٢ / ٨٦٧)^(٣٤٧).

ويفى حضر هذا المجلس عدد ممن امتد بهم عمرهم إلى سبعينات هذا القرن، منهم السيرافي نفسه، والراوى وهو علي بن عيسى الرمانى (٢٩٦ / ٩٠٨ - ٩٩٤ / ٣٨٤) وأبو عمران موسى بن رياح تلميذ ابن الإخشيد الذى هو أحد من حضر المجلس ، والمرزبانى صاحب آل سامان - إن كان هو محمد بن عمران، أو عبيد الله المرزبانى (٢٩٧ / ٩١٠ - ٩٩٤ / ٣٨٤) -، ولعل فىهم غير هؤلاء حيث أن تواریخ حياة أكثرهم مجھولة . والظاهر أن الكتبى من المعتزلة^(٣٤٨).

٧ - رجل من المعتزلة يعرف بعرزاله [؟ وجاء في هامش البحار: في نسخة: يعرف بغزاله]^(٣٤٩).

٨ - رجل من المعتزلة يعرف بأبي عمرو الشَّطْوِي [وفي البحار: الشُّوطِي متى جاء اسمه]^(٣٥٠).

٢ - الزَّيْدِيَّة :

١/١٨ - من لم يُسمّ منهم

(٣٤٧) راجع: الأمتاع والمؤانسة، ١/١٠٧-١٠٨، معجم الأدباء، ٣/١٠٥-١٠٦.

(٣٤٨) الفصول، ١/٧، البحار، ١٠/٤١١، مجالس المؤمنين، ١/٤٧١.

(٣٤٩) الفصول، ١/٨-٧، البحار، ١٠/٤١٢، مجالس المؤمنين، ١/٤٧١.

(٣٥٠) الفصول، ١/٩-٨، البحار، ١٠/٤١٤-٤١٢، مجالس المؤمنين، ١/٤٧٢-٤٧١، وفي الصراط المستقيم، ٣/٧٩: (السطوي)؟.

(رجل من الزيدية)^(٣٥١)، (حضر [الشيخ المفید] بمسجد الكوفة فاجتمع إليه من أهلها ومن غيرهم أكثر من خمسمائه إنسان ، فانتدب إليه رجل من الزيدية أراد الفتنة والشناعة . . .)، وكان السؤال والمناقشة حول إماماة زيد بن علي (عليه السلام)^(٣٥٢). ١٩ / ٠

٢ - الطبراني

شيخ من الزيدية كان معتزلياً «يميل إلى مذهب أبي هاشم [الجعائبي] ويعظمه ويختاره»^(٣٥٣).

٣ - الاسماعيلية :

١/٢٠ - شيخ من الاسماعيلية يعرف بابن لؤلؤ [أظنه هو: علي بن محمد بن أحمد، أبو الحسن الثقفي الوراق البغدادي المعروف بابن لؤلؤ (٢٨١ / ٨٩٤ - ٣٧٧ / ٩٨٧) كان ورافقاً وصاحب حديث، وكان يقول عن نفسه أنه شيعي، شاطر في البحث والنظر لا يغلبه أحد^(٣٥٤). وكانت المناظرة في (دار بعض قواد الدولة)^(٣٥٥).

٤ - المرجئة :

١/٢١ - «بعض المرجئة»^(٣٥٦).

٥ - المُجَرْأَة :

(٣٥١) الفصول، ٢ / ٢٧٧، ابن شهرآشوب، المناقب، ١ / ٢٦٠.

(٣٥٢) الفصول، ١ / ٩٣ - ٩٤، البخار، ١٠ / ٤٣٩ - ٤٤٣.

(٣٥٣) تاريخ بغداد، ١٢ / ٨٩ - ٩٠، المستظم، ٧ / ١٣٠، ميزان الاعتدال، ٣ / ١٥٤، لسان

الميزان، ٤ / ٢٥٦، مرآة الجنان، ٢٠ / ٤٠٧ شذرات الذهب، ٣ / ٩٠، تاريخ الاسلام^(٣٥١)

- ٣٨٠ / ٦١١ - ٦١٢، تذكرة الحفاظ، ٣ / ٩٧٢.

(٣٥٤) الفصول، ١ / ١١٩.

(٣٥٥) الاصفاح / ، علة رسائل / ٦٩.

(٣٥٦) الفصول، ١ / ٥٣ - ٥٥، مجالس المؤمنين، ١ / ٤٦٧ - ٤٧٠.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٦٥

٢٠/٢٢ - بعض المعتبرة^(٣٥٧).

٦ - الاشاعرة:

١/٢٢ - القاضي الباقلاني

أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصري، ثم البغدادي الأشعري المالكي (٣٣٨ - ٩٥٠ / ٤٠٣ - ٤٠١٣) أحد أعلام الاشاعرة وائمههم.

مناظرة حول النصر على أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٣٥٨).

ومناظرة ثانية حول الموضوع نفسه^(٣٥٩).

ومناظرة ثالثة^(٣٦٠).

(الخطيب البغدادي الأشعري) يقول في ابن الباقلاني :

فاما الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين : من الرافضة، والمعتزلة والجهمية، والخوارج، وغيرهم. وحدث [الباقلاني] [وحدثت - تبيين] : أنَّ ابن المعلم - شيخ الرافضة ومتكلِّمها - حضر بعض مجالس النظر مع أصحابه، إذ أقبل القاضي أبو بكر الأشعري [ابن الباقلاني]، فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه وقال لهم: قد جاءكم الشيطان ! فسمع القاضي كلامهم - وكان بعيداً من القوم - فلما جلس أقبل على ابن المعلم وأصحابه وقال لهم: قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوَزِّعُهُمْ أَزْأَمًا﴾ [في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا...﴾^(٣٦١)] أي : إنْ كُنْتُ

(٣٥٧) الفصول ١/٦٥، ٢/٤٣٢، البحار ١٠/٤٣٢.

(٣٥٨) الفصول ١/٥٣ - ٥٥، ٢/٤٧٠ - ٤٧١، مجالس المؤمنين، ١/٤٦٧ - ٤٧٠.

(٣٥٩) عدة رسائل ١/١٨١ - ١٨٢، الذريعة، ٥/١٧٧ - ١٧٨.

(٣٦٠) مجالس المؤمنين، ١/٤٦٧، تقييع المقال، ٣/١٨٠، روضات الجنان، ٦/١٥٩ -

.١٦٠

(٣٦١) مريم، ١٩/٨٣.

شيطاناً فأنتم كفار، وقد أرسلت إليكم ^(٣٦٢).

أقول: قال الطبرى: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه [والله] وسلم: «ألم تر»، يا محمد، «أنا ارسلنا الشياطين» على أهل الكفر بالله «وتؤذهم» يقول: تحركهم بالاغواء والاضلال فتزعمونهم إلى معاصي الله وتغريهم بها حتى يواعدهم «أرأوا» ازعاجاً وإغواء. وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل - ثم ذكر من قال به ^(٣٦٣) -.

قال: وفي حديث الاشتراك: كان الذي أَرَى أَمَّ المؤمنين [عائشة] على الخروج ابن الزبير. أي هو الذي حرکها وازعجهما وحملها على الخروج .
وقال الحربي: الأَرَى أَنْ تَحْمِل إِنْسَانًا عَلَى أَمْر بَحِيلَة وَرَفْقَهُ تَفْعِلُهُ .
وفي رواية أخرى: أَنَّ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ أَرَا عَائِشَةَ حَتَّى خَرَجَت ^(٣٦٤).

فالأَرَى هو التحرير والاغراء عن طريق التوعد والتحذيب بالنسبة لمن بينهم مودة وملاءمة وموافقة، وهذا من الشيطان لا يكون إلا للكافرين، وأما المؤمنين، فلا يصح إلا الاغراء، ولو كان الحضور متلقين مع الباقيان في

(٣٦٢) تاريخ بغداد ٥/٣٧٩ = ٢٩٠٦، تبيين كذب المفترى / ٢١٨ - ٢١٧ ، عنه الأنساب / ٢/٥٢
- ٥٣ ، مرآة الجنان / ٣/٧ ، شذرات الذهب / ٣/١٦٩ ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك
- ٥٨٩ / ٤ ، عن الخطيب ، وقال: وحكي غيره أن المناظرة جرت له مع أهل مجلس فنا خسرو
الملك [فنا خسرو عضد الدولة بن ركن الدولة حسن بن بوبه الدبلمي (٢٢٤/٣٣٦) -
٩٨٣/٣٧٢] مع شيخ العترة - ثم ذكرها - وهكذا ذكرها أبو الحاج الجليوي ، الفباء
- ١٤٣/٢ - ١٤٤ .

(٣٦٣) جامع البيان (مريم) = بولاق ، ١٦/٩٤ - ٩٥ وراجع: الكشاف / ٢/٥٢ = ٣/٤٢ ، البحر
المحيط / ٦/٢١٦ الرازى ، ٢٥١/٢١ - ٢٥٢ ، ابن كثير ، ٣/١٣٦ - ١٣٧ = روح المعاني .
١٣٥ - ١٣٤/١٦ .

(٣٦٤) ناج العروس ، ٤/٥ لسان العرب ، ٣٠٨ - ٣٠٧ ومثله ابن الأثير ، النهاية ، ١/٤٥ ، ابو
اسحاف الحربي ، واستشهد بالآلية الكريمة غريب الحديث ج ٥ - ٣/٩٨٣ - ٩٨٤ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٦٧
العقيدة، أو كان الباقلاني يخاطب اشعرياً - وأقول لو - لصح الاستشهاد بالأية
الكريمة.

وأرى أن الخطيب هو الذي حرّف القصة. وحوّلها من مجلس عضد
الدولة والمعتزلة إلى الشيخ المفید وأصحابه، ومن يرجع إلى كلامه في المفید
يسهل عليه تصديق ما قلته.

٧ - الشافعية:

١/٢٣ - أبو بكر الدّفّاق

محمد بن محمد بن جعفر، القاضي أبو بكر العبّاط، المعروف بابن
الدّفّاق، (٣٠٦ / ٩١٨ - ٣٩٢ / ١٠٠٢) الفقيه الشافعی، صاحب الأصول
والكتب الفقهية. ولـي القضاء بالكرخ^(٣٦٥).
وكانت المنازرة في مجلس التقىب أبي الحسن العُمـري^(٣٦٦).
«وكان بالحضرـة جـمـعـ كـثـيرـ»^(٣٦٧).

٢/٢٤ - أبو القاسم الدّارـكي

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد، أبو القاسم الدّارـكي^(٣٦٨) - ودارـكـ: قرية
من أصبهان - البغدادي (نحو ٣٠٠ / ٩١٣ - ٣٧٥ / ٩٨٦) رئيس أصحاب
الشافعـيـ بالـعـراـقـ. قالـ أبوـ حـامـدـ الـأـسـفـارـيـ (٣٤٤ / ٩٥٥ - ٤٠٦ / ١٠١٦)
الفـقـيـهـ الشـافـعـيـ الـكـبـيرـ: (ما رأـيـتـ أـفـقـهـ مـنـ الدـارـكـيـ). وكانـ الدـارـكـيـ إـذـ جـاءـتـهـ
مسـأـلةـ يـسـتـفـتـنـ فـيـهـ تـفـكـرـ طـوـيـلـاـ ثـمـ أـفـتـنـ، وـرـيـمـاـ كـانـ فـتـواـ خـلـافـ مـذـهـبـ

(٣٦٥) تاريخ بغداد، ٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠ . المتنظم، ٧ / ٢٢٢ ، ابن الأثير، ١٧١ / ٩ ، الاسنوي ،
طبقات الشافعية، ١ / ٥٢٣ - ٥٢٢ ، الشيرازي ، طبقات الشافعية / ١١٨ ، الواقفي بالوفيات ،
١ / ١١٦ تاريخ الاسلام (٤٠٠ - ٣٨١) / ٢٧٥ ، معجم المؤلفين ، ١١ / ٢٠٣ .

(٣٦٦) راجع المناظرات ٣ / ١٢

(٣٦٧) الفصول ، ١ / ١١ .

(٣٦٨) ودارـكـ قـرـيـةـ مـنـ أـصـبـهـانـ -ـ البـغـدـادـيـ (ـنـحـوـ ـ٩ـ١ـ٣ـ /ـ ٣ـ٧ـ٥ـ -ـ ـ٩ـ٨ـ٦ـ).

الشافعي وأبي حنيفة فيقال له في ذلك فيقول: ويحكم! حدث فلان عن فلان، عن رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم بكلذا وكذا، والأخذ بالحديث من رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه^(٣٦٩).

٨ - الحنفية:

٢٥ - أبو جعفر المعروف بالنسفي العراقي.

«سأل بعض أهل مجلس الشيخ أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان، رضي الله عنه أبو جعفر المعروف بالنسفي العراقي [الحنفي] فقال: ...».

(الرَّدُّ عَلَى النَّسْفِيِّ) وكان قد سأله عن الوضوء فافتئى بغسل الرجلين، فناظره شيخنا المفيد، وبعد ذلك أتم البحث بفصل الحق به^(٣٧٠). وقال: وقد عذر النجاشي في كتب المفيد: (مسألة في المسح على الرجلين) ولعل هذا هو المراد من المسألة.

وهو: محمد بن أحمد بن محمود، أبو جعفر النسفي، الحنفي، القاضي (٤١٤/١٠٢٣) من فقهاء الحنفية، وكان فقيراً متزهداً، له تعلقة في الفقه مشهورة وله شعر^(٣٧١).

(٣٦٩) تاريخ بغداد، ١٠/٤٦٣ - ٤٦٥، المتظم، ٧/١٢٩ - ١٣٠، الانساب، ٥/٢٧٦ - ٢٧٧، ابن خلكان ٣/١٨٨ - ١٨٩، سير أعلام النبلاء، ١٦/٤٠٤ - ٤٠٦، ٢٩٣، الوافي بالوفيات، ٥١٧ = ٥١٨ - ٥١٧، ٣٨٠ - ٥٧٥، ٥٧٦، الزاهرة، ٤/٢٥٩، ابن كثير، ١١/٣٠٤، ومصادر أخرى تناظر معه الشيخ المفيد (في مجلس كان صاحبه رئيس زمانه) الفصول، ١/١٢٣ - ١٢٦.

(٣٧٠) التربعة ١/٢٣٠ - ٢٣١ = ٧٠٩.

(٣٧١) المتظم، ٨/١٥، ابن الأثير، ٩/٣٣٤، الشيرازي، طبقات الفقهاء، ١٤٥، النجوم الزاهرية، ٤/٢٥٩، ابن كثير، ١٢/١٧، الوافي بالوفيات، ٢/٧٤، الجوهر المضيئ، ٣/٦٧ - ٦٨ = ٦٨/١٢٥، الفوائد البهية، ١٥٧، ناج التراجم/٣٨، كشف الظنون، ١/٤٢٤، هدية العارفين، ٢/٦٢، معجم المؤلفين، ٩/٢٠ - ٢١.

٩ - من لم يعرف مذهبهم الكلامي أو الفقهي

٢٦ - القاضي أبو بكر أحمد بن سيّار

أحمد بن سيّار بن محمد، القاضي أبو بكر الصّيْمِري ثم البغدادي (- ٩٧٨ / ٣٦٨ - ٩٧٩) قُلَّدَ قضاة الجانب الشرقي من بغداد، ثم قُلَّدَ قضاة الحرير بدار الخلافة، ثم عُزِّلَ وقلَّدَ القضاة بطريق خراسان وكان أديباً فاضلاً وله نظم - كما قال الصَّفدي - وقال أبو حيَّان التُّوحيدِي : (كان نبيلاً، جليلًا، أديباً، مقوهاً). ووصفه بالعفة والزهد والترفع عن المناصب والواهبين لها^(٣٧٢).

تناظر مع الشيخ المفيد حول معنى النص واثبات النص على أمير المؤمنين عليه السلام في دار السلام [بغداد] بدار الشريف أبي عبد الله محمد ابن محمد بن طاهر الموسوي، رضي الله عنه.

لم يرد له ذكر سوى أنَّ الشيخ المفيد يروي من طريقه عن ابن عقدة:

١ - (المفيد): أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانِي . . .^(٣٧٣).

٢ - (شيخ الطائفة): أخبرنا محمد بن محمد [بن النعمان رحمة الله] قال: أخبرنا الشريف الصالح أبو عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي رحمة الله^(٣٧٤).

٣ - (-): الشيخ رحمة الله، قال: أخبرني الشريف الفاضل أبو عبد الله

(٣٧٢) الوفي بالوفيات، ٤١٣/٦، ٤١٤، المتنظم، ٣٨/٧، ٤٣، ٥١، ٥٤، الإمتاع والمؤانسة، ١٥٤/٣، البصائر والذخائر، ٣٠٧/١ . . . ٢٧٥/٦

(٣٧٣) المفيد، الامالي / ٣٩ = ٤٢، ٦ = ٤٢ . . . ٩

(٣٧٤) الطوسي، الامالي (ج) ٨ / ١ . . . ٢٢٩

محمد بن محمد بن طاهر الموسوي ، عن أحمد بن محمد بن سعيد... (٣٧٥).

وعلى هذا فقد عدّه شيخنا الرازى من مشايخ المفید (٣٧٦).

وبيدو مما جاء في حکایة المناظرة أنّ هذا الشریف كان أحد شخصیات بغداد اللامعة يومذاك ، وكان يجتمع عنده اشراف العلویین والعباسیین ووجوه الناس.

ولكنه لم يرد له ذکر في تاریخ بغداد ولا التواریخ الحولیہ التي أرخّت ذلك العصر. وأنا واثق أنه لو كان عمریاً أو أموریاً في نسبه و... في مذهبہ لملاً له الخطیب صحائف من تاریخ بغداد.

وكم أهمل الخطیب اعلاماً للإمامیۃ هم بعضاً دیون بجمعیت المقایس التي اختیرت لاكتساب هذه النسبة ولم يورد لهم ذکراً. کھشام بن الحکم واضرابة وقد ذکرت قائمة تشتمل على أربعة عشر رجلاً من قبل.

ولا يقولُنَّ قائل : إنَّ الخطیب وأمثاله كانوا يجهلونهم ، فإنه في كثير من کتبه يذكر معلومات عن رجال الإمامیۃ وحدیثهم باسانید تنتهي إليهم أنفسهم تبدو في غایة الدقة ، ولا مجال لذکرها هنا . ويکفينا إنَّه اختصر ترجمة الشیخ المفید بما سبق أنْ حکیته عنه . وأنا واثق بأنَّ الخطیب لو تُحَدِّی لألف كتاباً في أعلام الإمامیۃ البغدادیین كان قد أدهش القاریء كما صنع ابن جریر حينما أهمل حدیث الغدیر في تاریخه ، وقفز بسیرة رسول الله صلی الله علیه وآلہ وسلم في رجوعه من حجۃ الوداع من مکة إلى المدينة مؤرخاً أيام مرضه ووفاته ، وعندما اصطدم بالحنابلة ألف کتابه الشهیر حول حدیث الغدیر ، مما أدهش الذہبی وأمثاله بعض اجزائه . وإلى الله المشتكن .

وكان بالحضور جمع کثیر يزيد عددهم على مائة إنسان ، وفيهم أشراف

(٣٧٥) طبقات اعلام الشیعہ ، القرن الرابع / ٣٠٣ .

(٣٧٦) الفصول ، ١/١ - ٤ ، البحار ، ١٠ / ٤٠٨ - ٤١١ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشیخ المفید منه ٢٧١

من بنی علی علیه السلام، وبنی العباس، ومن وجوه النّاس والتجار (٣٧٧).

٢٧ - الشیخ أبو طاهر الجوھری

المُحسّن بن محمد بن الحسن بن عبد الله، أبو طاهر الجوھری الشیرازی الأصل البغدادی (- ٣٧٨ / ٩٨٨ - ٩٨٩) من ثقات شهد ببغداد وذوی الفضل والوجاهة (٣٧٨).

٢٨ - الشیخ أبو الحسن الجوھری

علی بن محمد ، أخو المُحسّن الأصغر منه (- ٩٥ / ١٠٤) من ثقات مُقرئی بغداد وشهودها (٣٧٩).

٢٩ - الشریف أبو محمد، ابن المأمون

تاظر مع هؤلاء الثلاثة في مجلس واحد. ويدو من المناظرة أنهم كلهم كان لهم بصر بالفقہ والحدیث (٣٨٠).

١ - محمد بن الحسن بن الفضل بن العباس بن عبد الله (المأمون)، أبو الحسن بن المأمون الهاشمي (بعد ٣٥٠ / ٩٦١).

محدث مات قديماً، ولم يخرج عنه شيء من العلم.

٢ - (اخوه الأصغر) - محمد بن الحسن . . . ، أبو الفضل، ابن المأمون الهاشمي (٣١٠ / ٣٩٦ - ٩٢٢).

محدث ثقة، وهو أشهر الأخوة الأربع.

مات وله ست وثمانون سنة (٣٨١).

واظن ظناً قوياً أن المقصود هذا الثاني، إذا لم أعثر على أبي محمد بن

(٣٧٧) التهذیب، المزار (الزيارات) ٦ / ٦ = ١٠٦ / ١٨٥.

(٣٧٨) تاريخ بغداد، ١٢ / ١٥٥.

(٣٧٩) تاريخ بغداد، ١٢ / ٩٥، غایة النهاية، ١ / ٥٧٨ - ٥٧٩.

(٣٨٠) الفصول، ١ / ١٣٤ - ١٣٦.

(٣٨١) تاريخ بغداد، ٢ / ٢١٤ - ٢١٦، المنتظم، ٧ / ٢٣٢، شذرات الذهب، ٣ / ١٤٨، حول النسب جمهرة انساب العرب / ٢٤.

المأمون.

٣ - (اخوهما الأصغر منهما)، محمد بن الحسن...، أبو بكر، ابن المأمون الهاشمي^(٣٨٢).

٤ - (اخوهم الأصغر) عبدالله بن الحسن...، أبو الحسين، ابن المأمون الهاشمي^(٣٨٣).

٣٠ - بعض مشايخ العباسين

(حضر الشيخ بُشَّرٌ مَنْ رَأَى [سامراء ، المدينة العراقية ومرقد الإمامين الهادي وال العسكري عليهما السلام] واجتمع عليه من العباسين وغيرهم جمـع كثـير، فقال له بعض مشايخ العباسين)^(٣٨٤).

٣١ - رجل من المتفقهـة يُعرف بالورثاني

لعلـه : عبد الواحد بن بـكر، أبو الفرج الورثـاني الصـوفي (٣٧٢ / ٩٨٢ -

٩٨٣) مـحدث مـكـثـ رـحـالـة^(٣٨٥).

وكـانـتـ المناـذـرةـ (في دـارـ الشـرـيفـ أبيـ عبدـ اللهـ مـحمدـ بنـ مـحمدـ بنـ طـاهـرـ، رـحـمـهـ اللـهـ [رـاجـعـ المـناـذـرةـ=٢٦ـ]) وـجـاءـ فيـ المـطـبـوـعـ منـ الفـصـولـ: (وـهـوـ منـ فـقـهـائـنـاـ) وـهـوـ تـصـحـيفـ، وـالـصـحـيـحـ: (منـ فـقـهـائـهـمـ) وـفـيـ الـبـحـارـ: (فـهـمـائـهـمـ)، وـيـدـلـ عـلـىـ التـصـحـيفـ الـمـنـاذـرـةـ نـفـسـهـاـ^(٣٨٦).

٣٢ - الجراحي

أظـنهـ هوـ: عـلـيـ بنـ الـحـسـنـ بنـ عـلـيـ القـاضـيـ أبوـ الـحـسـنـ الـجـراـحيـ

(٣٨٢) تاريخ بغداد، ٢١٤ / ٢ - ٢١٥ .

(٣٨٣) تاريخ بغداد، ٤٣٩ / ٩ ، المجموع: تاريخ بغداد ٢١٤ / ٢ - ٢١٦ ، ٤٣٩ / ٩ .

(٣٨٤) الفصول، ٢ - ٢٧٩ ، ٢٧٧ / ٢ ، المناقب، ١ / ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣٨٥) الانساب، الورقة ٢ / ٥٨٠ ، اللباب، ٣٥٩ - ٣٥٨ / ٣ ، معجم البلدان، ٥ / ٣٧١ .

(٣٨٦) الفصول، ١ / ١٤ - ١٢ ، البحار، ٤١٤ / ١٠ - ٤١٧ ، مجالس المؤمنين، ١ / ٤٧٤ - ٤٧٢ / ١ .

- ولم ترد العبارة فيه - .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٧٣

البغدادي (٢٩٨ / ٩١٠ - ٣٧٦ / ٩٨٦)^(٣٨٧).

المناظرة السابقة ومصادرها.

٣٣ - رجل من أصحاب الحديث ممَّن يذهب إلى مذهب الكرايسبي الحسين بن علي الشافعي (- ٢٤٨ / ٨٦٢) ومذهبه يقرب من مذهب الأشعري^(٣٨٨).

٣٤ - بعض القضاة في إبطال القياس
وكان قد سأله (في مجلس لبعض القضاة وكان فيه جمع كثير من الفقهاء والمتكلمين)^(٣٨٩).

٣٥ - مناظرة للشيخ المفید «مع مجلس الشيخ أبي الفتح عبيد الله بن فارس قبل أن يتولى الوزارة»^(٣٩٠) مع جماعة من متلقية العامة في قولهم: (ان كل مجتهد مصيب).

ولا بدَّ من أنْ تنبه على أمر يبدو من هذه المناظرات وتاريخ وفيات أشخاصها وما تشير إليه تواریخ الأحداث، بالقدر الذي تمكنتُ من استخراجه وتعيينه: أنَّ شيخنا المفید رضي الله عنه كان يحضر المجالس، ويزور الشخصيات اللامعة في البلد الذين يليق بهم ويليقون به إلى آخر السبعينات

(٣٨٧) تاريخ بغداد، ١١ / ٣٨٧ ، المتنظم، ٧ / ١٣٠ ، تاريخ الاسلام (٣٥١ - ٥٩٣ / ١٣٨٠ - ٥٩٤).

(٣٨٨) الفصول، ٢٩ / ١ ، البحار، ٤٢٤ / ١٠ - ٤٢٤ / ١.

(٣٨٩) الفصول، ١ / ٥٠ - ٥١.

(٣٩٠) ابو الفتح محمد بن فارس وابو عبيد الله [ابو عبدالله - ابو شجاع] محمد بن ابراهيم، ولأهلاً صمصاص الدولة البويهي الوزارة بالاشراك، ولم تطل ايامهما (تجارب السلف / ٢٤٨ - ٢٤٧ / ٣٧٥ - ٩٨٥ / ٩٨٦)، وفي مخطوطة أ (٢١٥) : (ابو عبيد الله محمد بن الهيثم). (وكان ذلك ١١٩ - ١١٩ - وفيه: ابو عبدالله ابن الهيثم - (وكان ابو الفتح محمد بن فارس أحد من نظر في الوزارة أيام صمصاص الدولة ابي طاليجار بن عضد الدولة...)). (الهفوات النادرة ٣٤٢ ، معجم الادباء (٧ / ١٥).

من القرن الرابع.

ولكننا لم نعثر على مناظر له تأخر عن هذه الفترة الزمنية، سوى القاضي عبد الجبار، وقد مر في المناقضة نفسها أنها كانت أيام عضد الدولة والتي انتهت في أوائل السبعينيات، يبدو هذا بوضوح لمن استعرضها. وفي هذه دلالة على أن الشيخ المفید قد سمت به شخصيته في الثلاثين سنة الأخيرة من عمره الشريف وارتفع موقعه الاجتماعي والمذهبي إلى الحد الذي أصبح يزار ولا يزور ويؤتى ولا يدور على المجالس التي كان يحضر أمثالها فيما سبق من عمره، وعندها كان له مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء من سائر الطوائف - كما مر في مفتاح ترجمته -. ومع الأسف الشديد لم يصلنا أي نبذة عن هذا المجلس المستمر قرابة ثلاثين عاماً، وما كان يدور فيه من المناقشات. ومن الطبيعي أن يكون المفید هو الذي يدير البحث والنظر فيها ويشرف عليه، والذي تنتهي إليه الحكومة فيما يقال وفيما يطرح، أو كان إليه الرأي الأول والأخير - كما يقولون في أمثاله - ولو كان هناك سجل له ولا مثال له من مجالس النظر لمتكلمينا الأبرار كالنوبختيين من قبله والشريف المرتضى وشيخ الطائفة من بعده. ويؤرخها ويدرك الآراء المطروحة فيها والمناقشات والمناقشات، وما انتهت من نتائج علمية لوصلنا الخبر والعلم الكثير. ولكن - والله الحمد - نعيش في (لو) ونحلم بـ(لو) ونؤرخ بـ(لو) ولم ننته إلى (قد) والعوامل ليست مجهولة.

٣٠ - كتبه ورسائله في الكلام والمناقشة.

كان شيخنا المفید (كتير التصانيف في الأصول، والكلام، والفقه)^(٣٩١).

له أكثر من مائتي مصنف^(٣٩٢).

(٣٩١) تاريخ بغداد، ٢٣١/٣، ميزان الاعتدال، ٢٦/٤، الاعلام، ٢٤٥/٧، هدية العارفين، ٦٢/٢، معجم المؤلفين، ٣٠٦/١١.

(٣٩٢) الطوسي، الفهرست / ١٨٦ ابن داود / ٣٣٤ العلامة / ١٤٧، مجمع الرجال، ٣٣/٦
←

والذي يرجع منها إلى البحوث الكلامية والجدل والمناظرة:

١ + ٢ - (العيون والمحاسن) و(الفصول من العيون والمحاسن).

ألف الأول ثم اختصره في الكتاب الثاني ، وكلاهما ذكره النجاشي ، ولكن الشيخ الطوسي ذكر الثاني فحسب ، وألف تلميذه الشريف المرتضى في حياة استاذه(الفصول المختارة من العيون والمحاسن).

قال في أوله : (سألت ، أيدك الله ، أن أجمع لك فصولاً من كتب شيخنا ومولانا المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، أدام الله عزه ، في المجالس ، ونكتاً من كتابه المعروف بـ(العيون والمحاسن) لتسريح إلى قراءته في سفرك ، ونشر ذكره في مستقرك ويلدك . . .) ولم أتحقق السائل من هو.

ويبدو أن الشيخ آغا برزك يرى أن (العيون والمحاسن) إنما هو الكتاب الذي يسمى بـ(الاختصاص) المطبوع ، إذ أنه حينما يصف النسخة المخطوطة من العيون يكون وصفه منطبقاً على الاختصاص ، وحجته في ذلك قول المفيد في فاتحة (الاختلاف): (هذا كتاب الفتنه . . .) وأقحمته فنوناً من الأحاديث ، وعيوناً من الأخبار ومحاسن من الآثار. . . وقد ناقش هذه الحجة السيد محمد مهدي الخرسان وأثبت إنها كتابان مختلفان مادة واسلوبياً^(٣٩٣).

٣ - أوائل المقالات في المذاهب والمختارات (مطبوع).

وقد ألف الشيخ المفيد بعد هذا بطلب من تلميذه الشريف المرتضى .
الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام وجعله كتملة لأوائل المقالات ، حيث أن المفيد في الأوائل ذكر ما اتفقت عليه الإمامية في

ميزان الاعتدال ، ٤ / ٣٠ ، العبر ، ١١٤ / ٣ - ١١٥ ، مختصر دول الاسلام ، ١ / ٢٤٦ ، لسان

الميزان ، ٥ / ٣٦٨ ، شذرات الذهب ، ٣ / ٢٠٠ ، تاريخ التراث العربي ، ٢ / ٢٧٧ ، تاريخ

الاسلام (احداث ٤١٣) ، سير اعلام النبلاء ، ١٧ / ٣٤٥ .

(٣٩٣) طبقات اعلام الشيعة ، الرابع / ٢٥ .

الاعتقادات (الاصول) وفي الإعلام ما اتفقوا عليه في الفروع^(٣٩٤).

٤ - تصحيح الاعتقاد (مطبوع).

وهو تعليق على (اعتقادات الإمامية) للشيخ الصدوق.

٥ - جوابات الفيلسوف في الاتحاد.

٦ - (جوابات المسائل في لطيف الكلام) ويقال له: (اللطيف من الكلام).

فيه الكلام على الجوهر، والعرض، والفلك، والخلأ، وأمثال ذلك^(٣٩٥)

٧ - الكلام في المعدوم.

٨ - الكلام في المعدوم والرد على الجبائي.

[محمد بن عبد الوهاب، أبو علي (٢٣٥ / ٣٠٣ - ٨٤٩ / ٦١٩) شيخ

المعتزلة في عصره].

٩ - الكلام في الإنسان.

١٠ - الكلام في أن المكان لا يخلو من ممكّن.

١١ - مسألة في الإرادة.

١٢ - مسألة في الأصلح.

١٣ - قضية العقل على الأفعال.

١٤ - المجالس المحفوظة في فنون الكلام.

١٥ - الرد على الجاحظ في العثمانية.

[عمر بن بحر، أبو عثمان (١٦٣ / ٧٨٠ - ٢٥٥ / ٨٦٩) الأديب

والمتكلم المعتزلي الشهير، والعثمانية من أشهر آثاره التي رد عليها متكلمو

الإمامية].

(٣٩٤) الذريعة، ٢/ ٤٧٣ - ٤٧٢، ٢٣٧.

(٣٩٥) - ط تبريز - ايران، ١٣٧١ / .

١٦ - النقض على الجاحظ في فضيلة المعتزلة.

(نقض فضيلة المعتزلة للجاحظ)^(٣٩٦).

١٧ - نقض فضيلة المعتزلة.

(ذكره النجاشي مضافاً إلى السابق، ولعله كتاب آخر في النقض على الجاحظ، أو على مؤلف آخر يحمل كتابه نفس هذا الاسم).

١٨ - جوابات مقاتل بن عبد الرحمن عما استخرج من كتب الجاحظ.

١٩ - مسألة الفرق بين الشيعة والمعتزلة، والفصل بين العدّلية منهمما، والقول في اللطيف من الكلام.

(ويقصد المتكلمون من لطيف الكلام المسائل الدقيقة الغامضة التي يحتاج فهمها والبحث حولها إلى دقة وعمق).

٢٠ - الرسالة المُقْبِعة: في وفاق البغداديين من المعتزلة لما روی عن الأئمة عليهم السلام.

٢١ - النقض على البلخي في خمسة عشر مسألة (نقض الخمسة عشر مسألة على البلخي - النجاشي).

[أبو القاسم الكعبي المعتزلي (٢٧٣ / ٣١٩ - ٨٨٦ / ٩٣١)].

٢٢ - الرد على المعتزلة في الوعيد (مختصر على المعتزلة في الوعيد - النجاشي).

٢٣ - الرد على ابن كلّاب في الصفات.

[عبد الله بن سعيد بن محمد، أبو محمد بن كلّاب القطّان البغدادي (- ٢٤١ / ٨٥٥) عدوه من متكلّمي السُّنة ومن مثبتي الصفات الالهية - كما يقولون - على النهج الذي يقول به أهل الحديث من السُّنة، وعنه أخذ الأشعري أراءه بعد أن رجع عن الاعتزال].

٢٤ - الرد على أصحاب الحلاج.

[الحسين بن منصور (٢٤٤ / ٨٥٨ - ٣٠٩ / ٩٢٢) المتضوف الشهير، وصاحب الاراء المعروفة التي قتل أشنع قتلة لأجلها، أو كانت ذريعة قاتليه تلك الاراء].

٢٥ - الرد على الشعبي.

[عامر بن شراحيل، أبو عمرو الشعبي (١٩ / ٦٤٠ - ١٠٣ / ٧٢١)].

المُحدَّث والراوية الشهير. اتصل بعد الملك بن مروان الخليفة الأموي (٢٦ / ٧٤٦ - الخليفة ٦٥ / ٦٨٥ - ٨٦ / ٧٠٥) فكان نديمه وسميره ومن أركان ثبيت سلطانه ^(٣٩٧).

٢٦ - كتاب في القياس.

وسماه آغا بزرك : (إبطال القياس) ^(٣٩٨).

٢٧ - كتاب في الإجماع.

كتاب في الإجماع

٢٨ - نقض المروانية

كتب للجاحظ

١ - قال المسعودي : إن الجاحظ صنف كتاباً ، وهو المترجم بكتاب (إمامه ولد العباس) (....) وصنف كتاباً آخر المترجم بكتاب (العثمانية) (....) (ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب العثمانية حتى أعقبه بتصنيف كتاب آخر في إمامه المروانية وأقوال شيعتهم ، ورأيته مترجمًا بكتاب (إمامه أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان) في الانتصار له من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشيعته الرافضة ، يذكر فيه رجال المروانية ، ويؤيد فيه إمامه بنى أمية ، وغيرهم [كتب المفيد = ٢٨].

^(٣٩٧) الأعلام ، ١٨ / ٤ ، ١٩ - بمعجم المؤلفين ، ٥ / ٥٤ و المصادر المشار إليها فيهما .

^(٣٩٨) الذريعة ، ١ ، ١٧٠ / ١٧ ، ٢٢٠ - ٢٢١ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٧٩

ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب (مسائل العثمانية) يذكر فيه ما فاته ذكره ونقضه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين علي ومناقبه . . .) [كتب المفيد = (٣٩٩)] ١٧

٢ - قال المسعودي :

(ورأيت في سنة ٣٢٤ (٩٣٦) بمدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشام عند بعض مواليبني أمية ممن يتتحل العلم والأدب، ويتحيز إلى العثمانية كتاباً فيه نحو من ثلاثة ورقة، بخطٍّ مجموع، مترجم بكتاب (البراهين في إمامية الامويين) ونشر ما طوى من فضائلهم أبواب مترجمة ودلائل مفصلة، يذكر فيه خلافة عثمان بن عفان، ومعاوية، ويزيد، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، ومن ثلاثة منبني مروان، إلى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وأن مروان بن محمد نص عليه وعهد بالأمر بعده إليه، وينسق سائر من تملك بالأندلس منبني أمية من ولد عبد الرحمن المقدم ذكرهم، إلى سنة ٣١٠ (٩٢٣ - ٩٢٢) وذكر عبد الرحمن بن محمد الوالي عليها في هذا الوقت، وهو سنة ٣٤٥ (٩٥٧ - ٩٥٦).

ووصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وأمور استحق بها الإمامية، ونصوصاً على أسمائهم وأعيانهم، وادعى الأخبار المتواترة الجائحة مجيء الاستفاضة، وعزى ذلك إلى شيعة العثمانية ورجال السفيانية وأنصار المروانية، معارضًا لأهل الإمامية وهم جمهور الشيعة في المنصوص والنقل، ومستدلاً على فساد أقواب أصحاب الاختيار، من المعتزلة، والزيدية، والخوارج، والمرجئة، والحسوبية، والنابتة، ومناقضاً لأصحاب النص على أبي بكر من أصحاب

(٣٩٩) وذكره (ابن) النديم بعنوان : كتاب امامية معاوية (الفهرست / ٢١٠) ويمثله قال ياقوت معجم الادباء ، ٦/٧٦) والدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي ، ابو عثمان الباحظ / ٢٩٤

الحديث، والبيهية من الخوارج، والبكرية أصحاب بكر بن أخت عبد الواحد، وأقى بمسائل ومعارضات على من ذكرنا والزمامات.
وذكر من بعد ذلك أخباراً من أخبار الملاحم الآتية، والأنباء الكائنة، مما يحدث في المستقبل من الزمان والأتي من الأيام، من ظهور أمرهم، ورجوع دولتهم، وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشام، في غسان، وقضاعة، ولخم، وجذام، وغاراته وحرويه، ومسير الأمويين من بلاد الأندلس إلى الشام، وأنهم أصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر، وما يكون لهم من الواقع والحروب والغارات والزحف....^(٣٠).

ولا أدرى أيهما الذي رد عليه المفید، وان كان الأقرب أنه رد على الجاحظ، لشهرته وتدالو كتبه وانتشارها وخاصة في بلد المفید.

٢٩ - الرد على ابن عون في المخلوق.

والظاهر أنه محمد بن جعفر، أبو الحسين بن عون الأستدي.

٣٠ - النقض على ابن الجينيد [الاسكافي] في اجتهد الرأي.

٣١ - رسالة الجينيدي إلى أهل مصر.

وهو رد على الرسالة التي كتبها ابن الجينيد إلى أهل مصر^(٤٠١).

٣٢ - الموضع في الوعيد.

٣٣ - مقابس الأنوار في الرد على أهل الأخبار.

٣٤ - نهج البيان عن سُبُل الإيمان.

٣٥ - النقض على أبي عبدالله البصري [أحد أستاذي المفید المعزاليين]
كتابه المتعة.

(٤٠٠) التنبیه والاشراف / ٢٩٢ - ٢٩١.

(٤٠١) راجع: المسائل السروية ، عدة رسائل / ٢٢٤ ، التریمة، ١٨٧/٥.

- ٣٦ - الرد على أبي عبدالله البصري في تفضيل الملائكة على الأنبياء.
- ٣٧ - جواب الكرماني في فضل النبي ، صلی الله علیه وآلہ وسلم ، علی سائر الانبیاء علیهم السلام .

لم أجد للكرماني ترجمة ولا ذکرا سوی ما ذکره الحاکم الجعفی وابن المترضی المعزلیان من قولهما: (ومن أصحابهم المعزلة الذين هم في طبة القاضی عبد الجبار (٣٢٠/٤١٥ - ٩٣٢) أبو الحسن الكرماني) ^(٤٠٣).

- ٣٨ - مسألة في معرفة النبي ، صلی الله علیه وآلہ وسلم ، بالكتابة .
- ٣٩ - مسألة في انشقاق القمر وتکلیم الدّرّاع [للنبي ، صلی الله علیه وآلہ وسلم].

- ٤٠ - مسألة في المعراج .
- ٤١ - الرد على القتّیبی (علی ابن قتّیبی - الطوسي) في الحکایة والمحکی [=٤٩/١].

[عبد الله بن مسلم القتّیبی ، أبو محمد بن قتّیبی الدیبوری (٢١٣/٨٢٨) - ٢٧٦ / ٨٨٩) الأدیب ، المحدث ، المتكلّم ، والمؤرّخ . و(الحکایة والمحکی) ^(٤٠٤) .

- ٤٢ - الكلام في وجوه إعجاز القرآن .
- ٤٣ - البيان في تأليف القرآن .
- ٤٤ - الكلام في دلائل القرآن .
- ٤٥ - البيان عن غلط قطْرُب في القرآن .
- محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي البصري المعزلی (٢٠٦ - ٨٢١) الأدیب ، النحوی ، اللغوی ، وتلمیذ النظم ^(٤٠٤) .

^(٤٠٢) شرح العيون (فضل الاعتزال...) / ٣٩١، المنة والأمل / ١٩٩.

^(٤٠٣) ذکره له (ابن) النديم / ٨٦، هدية العارفین، ٤٤١/١.

^(٤٠٤) الاعلام ، ٣١٥/٧ ، معجم المؤلفین ، ١٥/١٢ - ١٦.

٤٦ - الكلام في حدوث القرآن.

٤٧ - الرد على الجبائي في التفسير.

[محمد بن عبد الوهاب، أبو علي (٢٣٥ / ٣٠٣ - ٨٤٩ / ٩١٦) شيخ المعتزلة في عصره، وتفسيره من أشهر آثاره].

٤٨ - الرد على الزيدية.

٤٩ - ٥١ - المسائل الجارودية (المسائل الزيدية - النجاشي).

في أن الإمامة في ولد الحسين بن علي، عليهما السلام.

وهي مناقشات أثارها الجارودية - من أشهر فرق الزيدية - بصورة خاصة، والزيدية عامة حول عقيدة الإمامية في أن الإمامة بعد الحسين عليه السلام تحصر في ولده خاصة، وفي نفس الموضوع - أي النقاش مع الجارودية - رسالة المفيد الأخرى : (الثقلان) ورسالته الثالثة في تفضيل أمير المؤمنين، عليه السلام، على جميع الأنبياء، عليهم السلام، عدا رسول الله، صلى الله عليه وأله وسلم، والكتب الثلاثة مطبوعة^(٤٠٥).

٥٢ - الرد على ابن الإخشيد في الإمامة.

أحمد بن علي بن بِيجُور، أبو بكر بن الإخشيد، أو: الإخشاد البغدادي (٢٧٠ / ٨٨٣ - ٣٢٦ / ٩٣٦) من مشهوري متكلمي المعتزلة وأحد رؤسائهم، تتلمذ على جماعة منهم أبو هاشم الجبائي. ومنه أخذ الرمانى أحد شيوخي المفيد في الكلام من غير الإمامية وقد تقدم ذكره^(٤٠٦).

٥٣ - النقض على جعفر بن حرب [المعتزلي البغدادي (١٧٧ / ٧٩٣) -

(٤٠٥) المسائل الجارودية - عدة رسائل / ١٦٦ - ١٧٣ ، الثقلان - عدة رسائل / ١٧٦ - ١٨٠ ، التفضيل - عدة رسائل / ٢٠٠ - ٢٠٦.

(٤٠٦) (ابن النديم / ٢٢٠ - ٢٢١ ، تاريخ بغداد ، ٣٠٩ / ٤ ، الواقي بالوفيات ، ٢١٦ / ٧ ، الفصل لأن ابن حزم ، ٢٠٣ / ٤ ، لسان الميزان ، ٢٣١ / ١ ، الاعلام ، ١٦٥ / ١ ، معجم المؤلفين ، ٣٢٠ / ١).

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٨٣

٢٣٦ / ٨٥٠) في الإمامة.

٥٤ - النقض على علي بن عيسى الرّمانى [ثاني أستاذى المفید المعتزليين] في الإمامة.

٥٥ - النقض على الواسطي.

[محمد بن زيد بن علي، أبو عبد الله الواسطي البغدادي (٩١٩/٣٠٧) متكلّم معترض من تلميذ أبي علي الجبائي ، له كتب منها] (٤٠٧)

٥٦ - الرد على الكرايسى في الإمامة [راجع = ٤٠].

٥٧ - الإيضاح في الإمامة.

٥٨ - الإفصاح في الإمامة (مطبوع).

٥٩ - كتاب في إماماة أمير المؤمنين عليه السلام من القرآن.

٦٠ - مسألة في التنصّ الجلي [على أمير المؤمنين علي، عليه السلام].

٦١ - العمدة في الإمامة.

٦٢ - المُقْنِعَة في إماماة أمير المؤمنين، عليه السلام مدحى.

٦٣ - النقض على النصيبي في الإمامة.

ابراهيم بن علي بن سعيد بن علي بن زبيعة أبو إسحاق النصيبي /
النصيبي المعترض ، يُلَقَّب بِمُقْعَدَة تلميذ جعل [أبي عبد الله
البصرى ، أحد أستاذى المفید المعتزليين] (٤٠٨)

وقال فيه أبو حيان التوحيدى : (دقیق الكلام ، يشك في النبوات كلها ،

(٤٠٧) الإمامة - الاعلام ٣٦٧/٦ ، معجم المؤلفين ، ١٠/١٣ ، والمصادر المشار إليها فيها.

(٤٠٨) المقابسان ١٥٩ / ١ ، المتنظم ، ١٧٩/٧ - حيث جاء اسمه كاملاً في سند حكاية ، أخلاق
الوزيرين ٢١١ - الهاشم ، نشور المعاشرة ، ١/٩١ ، ٢٠٢/٢ ، ٢١/٥ ، الفرج بعد
الشدة ، ٣٧١/٣ ، ٣٧٤ ، وذكره الحاكم الجشمي وابن المرتضى المعترضيان في طبقة
القاضي عبدالجبار (٤١٥ - ٩٣٢/٣٢٠) وقالا : (يرجع إلى فضل غيري) (شرح
العيوم (فضل الاعتزال) / ٣٧٨ ، العنية والأمل ١٩٦).

ولقد سمعت منه فيها شبّهات (الامتناع والمؤانسة ١٤١/١، وذكر مثله في أخلاق الوزيرين / ٢٩٧ ، وطعن في خلقه ودينه أشد الطعن ، وقال : وكان من أفسق الفاسقين).

ثم حكى أشياء^(٤٠٩).

٦٤ - نقض كتاب الأصم في الإمامة.

[عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم البصري المعتزلي (- ٢٠٠) / ٨١٦) كان معروفاً بعدها أمير المؤمنين عليه السلام].

٦٥ - الرد على الخالدي في الإمامة.

ابراهيم بن محمد بن شهاب ، أبو الطيب الخالدي العطار البصري ثم البغدادي الحنفي المتكلّم (ح ٢٧٢ - ٨٨٥ / ٣٥٦ - ٩٦٧) الذي جمع إلى القول بالاعتزال القول بالإرجاء الشديد^(٤١٠).

قال الخطيب: أحد متكلمي المعتزلة، وحكى عن محمد بن عمران المرزباني انه قال : كان أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء على مذاهب العراقيين توفي في ربيع الثاني / ٣٥٦ عن أربع وثمانين أو: خمس وثمانين.

٦٦ - الرد على ابن رشيد في الإمامة.

لم أجده له ترجمة ولا ذكراً ، سوى أن أبي حيان التوحيدى ذكر جماعة من المتكلّمين حضروا مجلس الوزير ابن الفرات سنة ٣٢٦ / ٩٣٧ وذكر منهم : ابن رشيد ، والخالدي ، وابن الإخشاذ ، وابن أبي بشر ، (أبو الحسن الأشعري)،

(٤٠٩) راجع أخلاق الوزيرين / ٢١١ - ٢١٣ .

(٤١٠) (ابن) النديم / ٢٢١ ، فضل الاعتزال / ٣٢٤ ، المنية والأمل / ١٩٣ ، الشهريستاني ، ١٣٩/١ ، هدية العارفين ، ٦/١ ، معجم المؤلفين ، ٩٧ - ٩٦ / ١ ، ايضاح المكتون ، ٤٢٩/٢ ، التسونكي ، معجم المصطفين ، ٤ / ٣٦٦ - ٣٦٥ ، تاريخ بغداد ، ١٦٧/٦ ، لسان الميزان ، ٩٧/١ ، الاعلام - ط ٤ - ٦١/١ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٨٥
وجماعة آخرين^(٤١١).

جاء: سعيد بن محمد بن سعيد، أبو رشيد النيسابوري، له (كتاب المسائل في الخلاف بين البصرىين والبغداديين في الكلام في الجوهر، طبع بليدين ١٩٠٢ مع الترجمة الألمانية لأرثر بيرم.

ويذكر المؤلف في ص ٣٥ منه ان تلميذ الكعبي البلخي^(٤١٢).

٦٧ - النقض على غلام (وفي بعض المصادر: علام) البحرياني (وفي بعضها: النجراي) في الإمامة.

ولعله تصحيف أبي القاسم البحرياني فقد جاء ذكره في ضمن ترجمة أبي عبدالله البصري، أحد استاذي المفيد المعتزليين، ووصف بأنه (صاحب أبي عبدالله البصري) (فضل الاعتزال وذكر المعتزل ٣٢٦) والمقصود بالصحبة هنا هي الصحبة العلمية، لا الصحبة بمعناها العام، وقد جاء نظيرها في المصدر/ ٣٣٢.

٦٨ - النقض على ابن عباد في الإمامة. علوم إسلامي
هكذا جاء عند شيخ الطائفة الطوسي^(٤١٣).

وذكر المحقق عباس إقبال في هامش المعالم: أنَّ في أصل النسخة: (النقض على علي بن عباد) وقال آغا بزرگ في الذريعة، ٢٤ / ٢٨٨ : أنَّ هذا إنما جاء في بعض نسخ المعالم. فإنَّ صَحَّ أنَّ الصورة الصحيحة لاسم كتاب المفيد: (النقض على ابن عباد) فالظاهر أنَّ المقصود منه: إسماعيل بن عباد

(٤١١) الإمتاع والموانسة، ١٠٧ / ١، ١٠٨ ، معجم الادباء، ٣ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤١٢) راجع: دكتور محقق، محمد بن زكريا رازى / ٢٢ ، ٤٦١ وراجع: سرکین، ٤١٤ / ٢ فانه يترجم له ويذكر انه من تلاميذ القاضي عبد الجبار وبعد موته جلس مجلسه، وما نشر جزء من كتابه المخطوط: (المسائل في الخلاف بين البصرىين والبغداديين) وجاء ذكره في معجم المؤلفين، ٤ / ٤٠٠ - ٢٣٠ (٤٠٩ / ١٠٠٩) وترجم له حاكيًّا عن بروكلمان ، ١٩٦ / ١ - ١٩٧ .

(٤١٣) في الفهرست/ ١٨٧ ، والتجاشي/ ٣١٢ .

ابن العباس، أبو القاسم الصاحب بن عباد الطالقاني (٩٣٨/٣٢٦) -
٩٩٥/٣٨٥) الوزير والأديب والمتكلّم الشهير^(٤١٤).

وابن عباد قد تنازعته المعتزلة والزيدية والإمامية، فعامة المترجمين له من الإمامية قد عدّوه من أنفسهم، ورددوا على من نسبه إلى غيرهم^(٤١٥).

وراجع حول الأقوال في مذهبـه: الشيخ محمد حسن آل يس، الصاحب ابن عباد (٨٦/٦٩). إلا أنـالشـريف أبا القـاسم عـليـيـن طـاوـوسـالـحسـنـيـالـحـلـيـ (١٢٦٦/٦٦٤ - ١١٩٣/٥٨٩) عـدـهـ منـغـيرـالـإـيـمـاـمـيـةـ،ـوقـالـ:ـ(ـوـإـنـكـانـفيـ تـصـانـيـفـهـ ماـيـقـضـيـ موـافـقـةـ الشـيـعـةـ فـيـ الـاعـتـقـادـ،ـلـأـنـنـاـ وـجـدـنـاـ شـيـخـالـإـيـمـاـمـيـةـ فـيـ زـمـانـهـ الـمـفـيدـ مـحـمـدـ بـنـ النـعـمـانـ،ـقـدـسـالـلـهـ رـوـحـهـ،ـقـدـنـسـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ عـبـادـ إـلـىـ جـانـبـ الـمـعـتـزـلـةـ فـيـ خـطـبـةـ كـتـابـ (ـنـهـجـ الـحـقـ)ـ وـكـذـلـكـ رـأـيـاـنـاـ الـمـرـتضـيـ،ـ نـوـرـ اللـهـ ضـرـيـحـهـ،ـقـدـنـسـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ عـبـادـ إـلـىـ جـانـبـ الـمـعـتـزـلـةـ فـيـ كـتـابـ (ـالـانـصـافـ)ـ الـذـيـ رـدـفـيـهـ عـلـىـ اـبـنـ عـبـادـ الـذـيـ يـتـعـصـبـ لـلـجـاهـظـ)ـ^(٤١٦).

ويقول فيه الرافعي: (..... لولا أنـ بدـعـةـ الـاعـتـزـالـ وـشـنـعـةـ التـشـيـعـ شـانـاـ

(٤١٤) ومحتمل احتـيـلاـ غـيرـ مدـفـوعـ يـقـنـنـ أـنـ مـعـمـرـ بـنـ عـبـادـ،ـالـبـصـرـيـ،ـثـمـ الـبغـدـادـيـ (ـ٢١٥ـ /ـ ٨٣٠ـ)ـ وـعـلـامـ الـمـعـتـزـلـةـ اـنـفـرـدـ بـمـسـائـلـ،ـولـهـ معـ النـظـامـ مـنـاظـرـاتـ.ـوـالـيـهـ تـنـسـبـ (ـالـمـعـمـرـيـةـ)ـ مـنـ الـمـعـتـزـلـةـ.ـ وـوـصـفـ بـالـمـغـلـاةـ فـيـ الـاعـتـزـالـ.ـ(ـالـاعـلـامـ طـ ٤ـ - ٢٧٢/٧ـ).ـعـمـرـ بـنـ عـبـادـ،ـابـوـ الـعـتـمـرـ (ـأـبـوـ ٢٠٧ـ)ـ،ـ وـعـدـهـ اـبـنـ النـديـمـ مـنـ الـمـعـتـزـلـةـ الـذـيـنـ فـوـاـكـتـبـ،ـوـذـكـرـ خـمـسـةـ مـنـ كـتـبـهـ اـبـنـ النـديـمـ ٢٠٧ـ عـمـرـوـ،ـ وـ٢٢٠ـ سـيـرـ اـعـلـامـ الـبـلـاءـ ١٠ـ /ـ ٥٤٦ـ ،ـالـمـيـنةـ وـالـأـمـلـ ١٥٥ـ - ١٥٦ـ فـضـلـ الـاعـتـزـالـ وـذـكـرـ الـمـعـتـزـلـةـ ١٧١ـ وـ٢٦٦ـ وـ٢٧٠ـ وـ٢٧٠ـ تـارـيـخـ الـاسـلامـ ٢١١ـ /ـ ٢٢٠ـ - ٤١٣ـ)ـ،ـالـشـهـرـسـتـانـ ١ـ /ـ ٦٥ـ - ٦٨ـ ١٧١ـ الـأـنـسـابـ ٥٣٧ـ /ـ ١ـ الـلـيـبـاـبـ ٢ـ /ـ ٢٣٧ـ لـسانـ الـمـيـزانـ ٦ـ /ـ ١٧١ـ وـحـيـثـ انـ الـكـتـابـ لـمـ يـصـلـنـاـ لـمـ يـمـكـنـاـ الـجـزـمـ بـمـضـمـونـهـ.

(٤١٥) راجـعـ مـعـالـمـ الـعـلـمـاءـ /ـ ٨ـ،ـأـمـلـ الـأـمـلـ،ـ ٣٤ـ /ـ ٢ـ - ٣٩ـ ،ـ رـوـضـاتـ الـجـنـاتـ ،ـ ١٩ـ /ـ ٢ـ - ٤٣ـ ،ـ ٤٣ـ - ٤٤ـ /ـ ٢ـ - ٤٤٦ـ - ٤٥٢ـ ،ـ الـكـنـىـ وـالـأـلـقـابـ ،ـ ٤٠٣ـ /ـ ٢ـ - ٤٠٩ـ ،ـ الـغـدـيرـ ،ـ ٤٠ـ /ـ ٤ـ - ٤٠ـ ،ـ ٤٠ـ /ـ ٤ـ ،ـ مـجـالـسـ الـمـؤـمـنـيـنـ ،ـ ٤١٣ـ - ٤٢٠ـ ،ـ الـنـدـرـيـةـ ،ـ ٢٨١ـ /ـ ٢٥ـ - ٢٨٢ـ .ـ ٢٢١ـ /ـ ٣٧٤ـ - ٣٧٤ـ .ـ ١١ـ /ـ ١١ـ ،ـ اـعـيـانـ الـشـيـعـةـ ،ـ ٨١ـ .ـ

(٤١٦) الـيـقـنـ ١٧٤ـ /ـ ٢٨١ـ ،ـ الـنـدـرـيـةـ ،ـ ٢٨٢ـ - ٢٨١ـ /ـ ٢٥ـ .ـ

وجه فضله . . . (٤١٧).

وهناك من يذهب إلى أن الصاحب كان زيدياً، والتوحيد ينسب إليه هذا المذهب (٤١٨).

وقد نشر له الدكتور ناجي حسن (نصرة مذاهب الزيدية) (٤١٩) وهو أعمال للصاحب أملأها على كاتب فدونها، وهي تبحث عن الموارد التي اختلف فيها الإمامية والزيدية، وفي الكتاب ينصر الصاحب رأي الزيدية، والكتاب وصلنا من طريق الزيدية أنفسهم، وأنا أرى أن الصاحب كان في أول أمره زيدياً ثم تحول فصار إمامياً، إلا أن جميع ما وصلنا من كتب الصاحب وأثاره في أصول الدين والعقائد إنما كتبه بالروح الاعتزالية، ولهذا لم أعده من متكلمي الإمامية. وهو ملحق بالمعترلة لأن آثاره الكلامية انتزالية صرفة إن صحت نسبتها إليه.

* * *

وقد أعاد الدكتور ناجي حسن طبع هذا الكتاب بيروت، بعنوان (الزيدية) للصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥) الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٦، ووصف نفسه في لوحة الغلاف: استاذ ومساعد في التاريخ الإسلامي، ولم يعرض في المدخل لا في الطبعة البغدادية ولا في الطبعة البيروتية لتوثيق نسبة الكتاب إلى الصاحب، ولم يصف المخطوطة أو المخطوطات التي اعتمد عليها، وإنما أرسله ارسالاً مسلماً به.

وأناأشك في صحة النسبة، إن لم أرجح عدم صحتها. بل الذي أرجحه أنه عمل أحد التاليين:

(٤١٧) التدوين في اخبار قزوين، ٢٩٣/٢.

(٤١٨) أخلاق الوزيرين / ١٦٧.

(٤١٩) بغداد، مطبعة الجامعة، ١٣٩٥/١٩٧٥.

١ - أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين، أبو الحسين الهاروني الحسني ، المؤيد بالله الزيدى (٣٣٣/٩٤٥ - ٤١١/١٠٢١) قام بالإمامية في الجبل والدليم ، وتسنى بالمؤيد بالله^(٤٢٠).

وكان أبو الحسين هذا إماماً من أسرة إمامية ثم انتقل إلى الزيدية لعلة يشير إليها شيخ الطائفة في مقدمة التهذيب ، ويقول المترجمون له من الزيدية إنه كان هو وأخوه أبو طالب الهاروني الآتي ذكره إماميين من أب إمامي ، ثم انتقل إلى الزيدية . ولا اقتنع أنا بأنّ الباعث للانتقال هو ما يشير إليه شيخ الطائفة . ولعله البحث عن (ايديولوجية) والتبني لفلسفه بإمكانها أسناد الثورة ودعوى الإمامة ، وقد عثرا عليها في الزيدية ! كما قلت في مثله عندما ترجمت للمناصر الزيدى .

٢ - أخوه يحيى بن الحسين ، أبو طالب الهاروني الحسني ، الناطق بالحق ، الزيدى (٣٤٠/٩٥١ - ٤٢٤/١٠٣٣) وكان قدقرأ على الشيخ أبي عبدالله المفید في جملة من قرأ عليهم^(٤٢١) . وقام بالإمامية بعد موت أخيه^(٤٢٢) . ولعل البحث المقارن بين ماجاء في الكتاب الذي نشره ناجي حسن وبين أراء أبي طالب هذا يرجع نسبة الكتاب إليه . ولا مجال هنا لتفصيل أكثر من هذا .

* * *

والظاهر أيضاً أن شيخنا المفید رد بكتابه هذا على ابن عباد في (كتاب الإمامة) الذي ذكره له (ابن) النديم وغيره ووصفوه بقوفهم : (يذكر

(٤٢٠) الحدائق الوردية ، ٦٧ - ٦٥ / ٢ ، ومصادر أخرى . فقد ذكر سركين من كتبه : (كتاب في نصرة مذاهب الزيدية) (سركين - ط القاهرة - ٣١٢/٢ - ٣١٣ - ٣٤٩/٣ - ١) .

(٤٢١) معجم البلدان ، ٤/٦١٢ ، الأنساب ، ٢/١١٤ و ٢/٢١٤ .

(٤٢٢) الحدائق الوردية ، ٢/٨٨ - ٩٠ ، تاريخ طبرستان لابن اسفندیار ص ١٠١ .

فيه تفضيل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [عليه السلام] وتشبيت إمامية من تقدمه^(٤٢٣).

٦٩ - المسائل العشرة في الغيبة (مطبوع).

٧٠ - الجوابات في خروج المهدى عليه السلام.

٧١ - النقض على الظاهري في الغيبة.

[لعله]: محمد بن علي بن عيسى القمي ، يعرف بالظاهري (كان وجهًا بقم وأمراً عليها من قبل السلطان [أي الدولة] وكذلك كان أبوه. له مسائل لأبي محمد العسكري ، عليه السلام [٢٣٢ / ٨٢٧ - ٢٦٠ / ٨٦٨]).^(٤٢٤)

٧٢ - مسألة في معنى قوله، صلى الله عليه وآله وسلم : (إني مُخلف فيكم القلين) (النجاشي) ولعله نفس = ٥٠ (الثقلان).

٧٣ - كتاب في قوله، صلى الله عليه وآله وسلم : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

٧٤ - المسألة في اقضى الصحابة.

٧٥ - مسألة في معنى قول النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : (اصحابي كالنجوم).

٧٦ - مسألة في ميراث النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم .

٧٧ - الرد على العتيقي (وقد يذكر في بعض النسخ غير المتأكد من صحتها: العتيقي وفي بعض نسخ النجاشي المخطوطة: النسفي) في

(٤٢٣) الفهرست / ١٥٠ ، ابن خلكان ، ٢٣٠ / ١ ، الواقي بالوفيات ، ١٣٨ / ٩ ، معجم الادباء ، ٣١٥ / ٢ ، هدية العارفين ، ٢٠٩ / ١.

(٤٢٤) النجاشي ٢٨٧ ، الطوسي الفهرست / ١٧٥ ، مجمع الرجال ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ابن داود / ٣٢٦ - ٣٢٧ ، العلامة / ١٦٠ ، نقد الرجال / ٣٢٣ ، جامع الرواة / ١٥٥ / ٢ ، تنقیح المقال ، ١ / ١٥٨ ، معجم رجال الحديث ، ٣٧٨ / ١٦ - ٣٧٩ فلعله بعد وفاة العسكري عليه السلام ألف في الغيبة كتاباً وجد فيه المفید ما يلزم أن يرد عليه فنقضه .

الشوري.

ولم أتحقق من الكتاب ولا مؤلفه، إلا إني عثرت على أربعة كتب سميت بهذا الاسم - كتاب الشوري^(٤٢٥) - اثنان منها لا يمتنع أن يكون فيهما ما يجب للمفید أن ينقضه:

أ - (كتاب الشوري) تأليف محمد بن عبد الواحد، أبي عمر الزاهد المُطَرَّز البَلْوَذِي ثُمَّ الْبَغْدَادِي، المعروف بْغَلَام ثَعَلَب (٢٦١/٨٧٥ - ٩٥٦/٣٤٥) وقد اشتهر عنه موالاة معاوية بن أبي سفيان وإبنه يزيد وغلوة في حبّهما والدفاع عنّهما، وله تأليف في ذلك^(٤٢٦).

ب - (الشوري) تأليف أحمد بن محمد بن سعيد، الحافظ أبي العباس ابن عُقْدَة الكوفي (٢٤٩/٨٦٣ - ٣٣٢/٩٤٤) المحدث الزيدي الشهير، والذي كان يخالط الإمامية ويؤلف لهم أيضاً^(٤٢٧).
والأول من هذين هو الأقرب إلى أن يكون كتاب المفید نَفْضَاه إن صحّ إنه نقض لأحدهما.

وأما (العتيقى) فإنّ من عثرت عليه ممن يمكن أن يؤلف كتاباً يجد فيه المفید ما يلزم نقضه، فهو محمد بن أحمد بن منصور، أبو العباس الرويانى - وروى ابن من بلاط طبرستان - العتيقي (٣٣١/٩٤٢ - ٩٤٣ - ٤١٣/١٠٢٢) فقيه أهل طرسوس ومفتیهم، وفي أواخر عمره سكن بغداد^(٤٢٨).
وابنه أبو الحسن أحمد (٣٦٧/٩٧٧ - ٤٤١/١٠٤٩) أحد ثقات الحفاظ

^(٤٢٥) راجع النزىعة، ١٤/٢٤٥ - ٢٤٦.

^(٤٢٦) وذكر الكتاب في (ابن النديم / ٨٣، وابن خلكان / ٤، ٣٣٠، ومعجم الادباء / ٧ - ٢٦، وكشف الظنون / ٢، ١٤٣١).

^(٤٢٧) والكتاب ذكره الطوسي، في الفهرست / ٥٣، والنجاشي / ٧٤، والنذرية، ١٤/٢٤٥ - ٢٤٦، ایضاح المكتون / ٢، ٣٠٦.

^(٤٢٨) تاريخ بغداد / ١، ٣٥٣.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٩١
المكثرين^(٤٢٩).

والأب هو الذي عاصر الشيخ المفيد، غير أنني لم أجده له كتاباً بهذا الاسم. وأما على نسخة (النسفي) وأنا أشك في صحة هذه النسخة، فإنه قد جاء في الأنساب ٢٨٠/٧ ذكر شيخ كان يقال له: أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، وكان معتزلياً من رجال القرن الرابع / العاشر.

٧٨ - كتاب في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر أصحابه، صلى الله عليه وآله وسلم.

٧٩ - تفضيل الأئمة عليهم السلام على الملائكة.

٨٠ - الكلام في الخبر المُختلَق بغير أثر.

٨١ - جواب المسائل في اختلاف الأخبار.

٨٢ - رسالة في الرد على الباقلاني.

وهي في الأصل مناظرة وقعت بين الشيخ المفيد والقاضي الباقلاني حول النص على أمير المؤمنين، عليه السلام، بالإمامية، وقد ذكرناها ضمن مناظرات الشيخ المفيد مع الباقلاني (=١٣١) افردت في رسالة طبعت في النجف الأشرف - المطبعة التجارية.

٨٣ - مسألة في (من مات ولم يعرف إمام زمانه) - النجف الأشرف ١٣٧٠.

٨٤ - رسالة في تحقيق لفظ (المؤلى) - النجف الأشرف - المطبعة التجارية.

٨٥ - رسالة في سبب استئنار الحجّة - النجف الأشرف ١٣٧٠.

٨٦ - مختصر في الغيبة - النجف الأشرف ١٣٧٠.

٨٧ - مسألة في الغيبة - النجف الأشرف ١٣٧٠.

٨٨ - النُّكَتُ الاعتقادية - بغداد، ١٣٤٣ (٤٣٠).

٨٩ - الكامل في علوم الدين.

٩٠ - الأركان في دعائم الدين.

يقول شيخنا المفید: (أخطأت المعتزلة والحسوية فيما ادعوه علينا من خلاف جماعة أهل مذهبنا في استعمال المناقضة، وأخطأ من ادعى ذلك من الإمامية أيضاً وتجاهل، لأن فقهاء الإمامية ورؤسائهم في علم الدين كانوا يستعملون المناقضة ويدينون بصحتها، وتلقن ذلك عنهم الخلف ودانوا به، وقد اشترت القول في هذا الباب، وذكرت اسماء المعروفين بالنظر وكتبهم ومدائح الآئمة عليهم السلام لهم في كتابي (الكامل في علوم الدين) وكتاب (الأركان في دعائم الدين) ...)^(٤٣١).

٣٠ - أجوبة المسائل

وأقصد منها، الأسئلة التي وجهت إلى المفید خاصة، فأجاب عنها، سواء أكانت موجهة من قبل السائل نفسه أم بعثها إليه آخر يسألها عنها، لا المسائل التي كانت مثاره وغير موجهة إلى شخص معين. وأجوبة المسائل هذه وإن لم يعد كلها إلى الموضوعات الكلامية، إلا أن الغالب عليها - بالطبع - روح الجدل والنظر والرد على المخالف ومناقشه.

وإنما استوعبتها كلها في هذه القائمة لأنها تدل - أولاً - على جانب هام من شخصية المفید وتبين مدى ما كان يتمتع به من شهرة علمية ومرجعية عامة، لا في الوسط الذي كان يعيش فيه فحسب، بل في عامة البلاد الإسلامية يومذاك، وتدل - ثانياً - على أماكن تواجد الشيعة الإمامية يومذاك والذي قد أغفلته عامة المصادر التي وصلتنا.

(٤٣٠) راجع حولها، الذريعة، ٢٤/٣٠٢.

(٤٣١) الفصول المختارة، ٢/٢٨٤ - ولم يأت لأولئك ذكر في الذريعة، أما الثاني فمذكور في ٥٢٥. وذكرهما ابن شهر اشوب في معالم العلماء ١٠١.

١ - المسائل الصَّاغَانِيَّةُ

وهي إجابة عن كتاب وُجْهٍ إلَيْهِ مِنْ صَاغَانَ [قرية بمر و خراسان] وقد تسمى (جاجان) ^(٤٣٢).

يتضمن ذكر مطاعن طعن بها فقيه حنفي على الإمامية وفهمهم (مطبوع) ^(٤٣٣).

جاء في أولها: (فقد وقفت، أadam الله عزّك، على ما ذكرت عن شيخ بناحيتك من أصحاب الرأي [اتباع المذهب الحنفي] وما هو عليه من التحرير في عداوة أولياء الله منهم، والتبديع [النسبة إلى البدعة] لهم فيما يذهبون إليه من الأحكام المأثورة عن أئمة الهدى، عليهم السلام، وأنه قد لمح بذلك عشر مسائل عزى إليهم فيها أقوالاً قصد بها التشنيع وحكم عليهم بها بالصلالة (...). وسألت بعد ذكرك في كتابك (...) أن أفكك على الحقيقة من ذلك ...).

٢ - الأجرية عن المسائل الخوارزمية

خوارزم: منطقة كبيرة تقع في شمال خراسان - الكبرى يومذاك لا الحالية التي لا تمثل إلا جزءاً صغيراً منها - في الجانب الشرقي لنهر جيحون ^(٤٣٤).

٣ - جوابات المسائل النيسابورية

[نيسابور، من أشهر مدن خراسان، ولا تزال عامرة تحمل نفس الاسم] وأشار إليها في المسائل السروية ^(٤٣٥).

٤ - جوابات أبي الحسن النيسابوري

هكذا جاء عند النجاشي ، ولعلها نفس جوابات المسائل النيسابورية التي لم يذكرها النجاشي .

(٤٣٢) معجم البلدان، ٣/٢٨٩، الانساب، ٨/٢٥٢ الخلافة الشرقية - بالإنجليزية - ٣٩٢.

(٤٣٣) وراجع عدة رسائل / ٢٣٤ - ٢٤٢.

(٤٣٤) معجم البلدان، ٢/٣٩٥ - ٣٩٨، بلدان الخلافة الشرقية / ٤٤٣، ٤٤٦ - ٤٥٩.

(٤٣٥) عدة رسائل / ٢٢٣.

٥ - جوابات أهل طبرستان (جوابات المسائل الطبرية).

٦ - جوابات المسائل المازندرانية.

أشار إليها في المسائل السروية^(٤٣٦).

٧ - جوابات أهل جرجان في تحريم الفقاع.

٨ - جوابات المسائل الجُرجانية.

وهي غير التي سبقتها.

٩ - المسائل السروية.

[سارية - وتنسّى اليوم ساري - مركز مقاطعة مازندران]^(٤٣٧).

يقول فيها: (فقد وصلني المدرج المنطوي على المسائل من جهة السيد الشريف الفاضل أطال الله عمره ووقفت على جميعها، وضاق المدرج عن إثبات أجوبتها، فأمليت ذلك في كتاب مفرد (المسألة الأولى) ما قول الشيخ المفيد أدام الله بقاه وتأييده وعلاه، وحرس معالم الدين بحياة مهمته، وأقر عيون الشيعة بنضارة أيامه ...) وهي كلها حول مباحث كلامية.

١٠ - جوابات المسائل الشيرازية.

وشيراز مدينة شهيرة تقع مركز أقاليم فارس في الجنوب الشرقي من إيران. وجاء اسم الكتاب في الذريعة ٢٢٥ / ٥، هكذا: والمفید نفسه قد أشار في المسائل السروية^(٤٣٨)، إلى جواب المسائل التي وردت من فارس .

١١ - جوابات المسائل النويندجانية.

هكذا جاء في الذريعة ٢٤٠ / ٥ ، إلا أن الوارد في النجاشي : المسائل الواردة عن أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الفارسي المقيم بالمشهد [مشهد عثمان كما يأتي] بالنويندجان. وجاء في الذريعة، نقلًا عن (اسامي دهات

(٤٣٦) عدّة رسائل / ٢٢٣ .

(٤٣٧) مطبع ، عدّة رسائل / ٢٠٧ - ٢٣٢ .

(٤٣٨) عدّة رسائل / ٢٢٣ .

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشیعی المفید منه ٢٩٥

کشور / ٣٣٤)، نشر وزارة الداخلية الإيرانية: نوندکان هي اليوم من توابع فسا،
بإقليم فارس ^(٤٣٩).

١٢ - جواب أبي محمد الحسن بن الحسين التوبندياني المقيم بمشهد
عثمان.

١٣ - جواب المسائل الواردة من خوزستان ^(٤٤٠).
ولم يُذكر في الذريعة لا في (جواب . . .) ولا (المسائل . . .).

١٤ - جوابات أهل الدينور (جوابات المسائل الدينورية المازرانية) ^(٤٤١).

١٥ - (جوابات) المسائل العُكْرَبَيَّة = جوابات المسائل الحاجية =
جوابات أبي الليث الأواني.

أونا: بُلَيْدَة من نواحي دُجَيْل كانت تقع بقرب عُكْرَب ^(٤٤٢).

١٦ - جوابات أهل الموصل في العدد والرؤبة [لأيام شهر رمضان
والهلال] = جوابات المسائل الموصليات.

والموصل هي المدينة العراقية الشهيرة.

١٧ - جوابات الفارقين في الغيبة = جوابات المسائل المِيَافارقَيَّات ^(٤٤٣).

(٤٣٩) وراجع معجم البلدان ٥/٣٠٧، بلدان الخلافة ٢٦٣ - ٢٦٥.

(٤٤٠) معالم العلماء ١٠١ (ط النجف الاشرف / ١١٣).

(٤٤١) كما في الذريعة، ٥/٢٢٠ - ٢٢١، وفيه تفسير لهذه التسمية. ودينور مدينة كانت تقع في
القسم الجبلي من غرب ايران (الجبال) قرب كرمانشاه الحالية - معجم البلدان، ٢، ٥٤٥/٢ -
٥٤٦، بلدان الخلافة الشرقية، ١٨٨، ١٨٩، ١٨١، ١٨٠، ٢٠١، ٢٢٧.

(٤٤٢) معجم البلدان، ١/٢٧٤ - ٢٧٥ مراصد الاطلاع، ١/١٢٨، بلدان الخلافة الشرقية ٥٠،
وهي احدى وخمسون مسألة وردت من الحاجب أبي ليث بن سراج فأجاب عنها المفید -
راجع الذريعة، ٥/١٩٨، ١٩٨، ٢١٩، ٢٢٨.

(٤٤٣) الذريعة، ٥/١٩٨. ومِيَافارقَيَّن أشهر مدينة بديار يكر، الجزيرة، وتقع اليوم موقعها ضمن
اراضي الجمهورية التركية، وكان يحكمها يوم ذاك بنو حمدان - معجم البلدان، ٥/٢٣٥ -
٢٣٨، بلدان الخلافة الشرقية ١١١، ١١٢.

- ١٨ - جوابات الرفقي (٤٤٤) = الترافقى (٤٤٥) = البرقعي في فروع الفقه واظنه هو: الحسن بن عَنْبَسَ بن مسعود، أبو محمد الرافقي (نحو ٣٨٤ / ٩٩٤ - ٤٨٥ / ١٠٩٢) من قرأ على الشيخ المفيد، وكان قد سكن الرافقة - وهي بلدة كانت متصلة بالرقة على ضفة الفرات، ثم اتحدتا وأطلق عليهما الرقة، وهي من أعمال الجزيرة، وتقع حالياً في أراضي الجمهورية السورية (٤٤٦).
- ١٩ - جواب أهل الرقة في الأهلة والعدد.
- ٢٠ - المسائل الحرانية.

وخران مدينة كانت تقع في القسم الغربي من الجزيرة، وتقع موقعها

- (٤٤٤) ١ - في التربيع، ٢٠١ / ٥ : (جوابات البرقعي في فروع الفقه) (....) ذكره النجاشي). ومثله في مقدمة التهذيب (٢٤ / ١) واعيان الشيعة، ٤٦ / ٢٢.
- ٢ - في النجاشي (طبعين) / ٢٨٥ : (جوابات البرقعي) وصحح في طبعة الافت - (نشر مكتبة الداودي - قم) : (الترافقى) ومثله في (ط طهران / ٣١٣ : (البرقعي) وفي هامشه عن نسختي (ت) و (ن) : الترافقى) وفي ط ش / ٤٠٠ : (الترافقى) وفي مجمع الرجال، ٦ / ٣٥ : (البرقعي) وفي مجمع رجال الحديث، ١٧ / ٢٢٨ : (جوابات البرقعي (الترافقى)).
- ٣ - كتابخانه ملي تبريز = المكتبة الأهلية - تبريز.
- ٤ - فخر الدين النصيري.

(٤٤٥) فلعلها: (الترافقى)، و (ترُّفَقْ) قال السمعاني: (وظني انها من أعمال واسط) (الأنساب، ٣٧ / ٣، الباب، ٢١٢ / ١ - وفيه: تُرُّفَقْ، بضم الناء) وقال ياقوت: (واظنه من نواحي البُّنْدِينْجِين من بلاد العراق) (معجم البلدان، ٢ / ٢٣ ، مراصد الإطلاع، ١ / ٢٥٩ واضاف: (عند باكستان)).

يُنسب إليه: أبو محمد، العباس بن عبد الله بن أبي عيسى التُّرُّفَقِيُّ الْبَكْسَانِيُّ (- ١٤٤ - ١٤٣ / ١٢، محدث ثقة مكثر، سكن بغداد (تاريخ بغداد، ٢٦٧ / ٢٦١)، محدث ثقة مكثر، سكن بغداد (تاريخ بغداد، ١٤٤ - ١٤٣ / ١٢، الانساب، ٣ / ٣٧، الباب، ٢١٢ / ١)، معجم البلدان، ٢ / ٢٣ ، تهذيب التهذيب، ١ / ١١٩ - ١٢٠ ، ولا ضاف في ألقابه: الواسطي)، ومثله تقرير التهذيب، ١ / ٣٩٧.

(٤٤٦) معجم البلدان، ٣ / ٥٨١٥ - ٦٠ ، الانساب، ٦ / ٤٢ بـ بلدان الخلافة الشرقية / ١٠١ - ١٠٣. وكانت له حلقة عظيمة يقرؤون عليه كتب الامامية - لسان الميزان، ٢ / ٢٤٢.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفید منه ٢٩٧

حالياً في أراضي الجمهورية التركية^(٤٤٧).

٢١ - جوابات علي بن نصر العبدجاني.

[لم أُعثر على هذا اللقب (العبدجاني) على ذكر ولا على تفسير، واظنه مصحف : (الغَنْدِجَانِي) و(غَنْدِجَان) وضبطه السمعاني : (الغَنْدِجَانِي) و(غَنْدِجَان) بلدة - كانت - بارض فارس أو من كور الأهواز - كما قال السمعاني أخرجت جماعة من أهل الأدب والعلم^(٤٤٨).

٢٢ - الرسالة إلى الأمير أبي عبد الله، وأبي طاهر ابني ناصر الدولة في مجلس جرى في الإمامية.

وهما: أبو عبدالله الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمдан التغلبي الحمداني (- ٩٩٠/٣٨٠) وناصر الدولة (- ٩٦٩/٣٥٨) هو أخو سيف الدولة الأكبر وملك الموصل، وأخوه أبو طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة (- ٩٩١/٣٨١)^(٤٤٩).

٢٣ - جوابات الأمير أبي عبدالله [الحمداني].

٢٤ - جوابات ابن نباتة.

وجاء في الذريعة، ١٩٦/٥ - ١٩٧ إنَّه الفارقي، وهو عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل أبو يحيى ابن نباتة (٩٤٦/٣٣٥ - ٩٨٤/٣٧٤) الأديب والخطيب الشهير^(٤٥٠).

(٤٤٧) معجم البلدان، ٢/٢٣٥ - ٢٣٦ ، الانساب، ٤/١٠٧ ، ٤/١٠٣ ، بلدان الخلافة الشرقية / ١٠٣ ، ١٤٤.

(٤٤٨) - معجم البلدان، ٤/٢١٦ ، الانساب، ٤/٤١١ ، ٤/٤١٢ و ٤/١ و ذكر جملة منهم، اللباب، ٢/٣٩٠ - ٣٩١ ، بلدان الخلافة الشرقية / ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٩٤ .

(٤٤٩) راجع الدكتور فضل السامر، الدولة الحمدانية - جزءان - خاصة ، ٢٧١/١ .

(٤٥٠) الاعلام، ٤/١٢٢ - ١٢٣ ، معجم المؤلفين ، ٥/٢١١ و ٢١٢ . ويحتمل أن يكون معاصره السُّنْدِي ، وهو عبد العزيز بن عمر بن محمد ، أبو نصر ابن نباتة السُّعْدِي التميمي البغدادي (٩٣٩/٣٢٧ - ٩٤٥/٤٠٥) - معجم المؤلفين ، ٥/٢٥٥ .

٢٥ - جوابات النَّصْر (النَّصْر) بن بشير في الصِّيام.

٢٦ - جوابات بنى عرقل.

٢٧ - هكذا جاء في الذريعة، ٢٠٢/٥ - وفي غيره تصعب قراءته بدقة.

٢٨ - جوابات أبي الحسن الْحُضَيْبِيِّ (٤٥١).

٢٩ - جوابات أبي محمد بن الحسين الْلَّيْثِي.

٣٠ - جوابات الشرقيين في فروع الدين.

٣١ - مسألة محمد بن الخضر الفارسي.

٣٢ - جوابات ابن الحَمَّامِيِّ.

اظنَّ ظنًا قوياً أَنَّهُ هو: علي بن أحمد بن عَمَرَ بن حَفْصٍ، أبو الحسن بن الحَمَّامِيِّ المُقْرِئُ البَغْدَادِيُّ (٩٣٩/٤١٧ - ١٠٢٦/٣٢٨) مقرئ أهل بغداد ومحدثهم، كان ثقة صادق دينًا فاضلاً حسن الاعتقاد (٤٥٢).

وأبن الحَمَّامِيِّ هذا من مشايخ شيخ الطائفة الطوسي ويروي عنه (٤٥٣).

٣٣ - جوابات المأفوِّرُونَ خِيَ في المسائل.

٣٤ - جواب ابن واقد السُّنْنِ.

٣٥ - جوابات أبي الفرج بن إسحاق عمما يُفسد الصَّلاة.

٣٦ - جواب أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان [الكراجكي].

٣٧ - جوابات أبي الحسن سبط المُعافَا بن زكريا في إعجاز القرآن.
[المُعافَا بن زكريا، أبو الفرج النَّهْرَوَانِيُّ البَغْدَادِيُّ (٩١٦/٣٠٣) -]

(٤٥١) وفي الذريعة، ١٩٧/٥: الْحُضَيْبِيُّ.

(٤٥٢) تاريخ بغداد، ١١/٣٢٩ - ٣٣٠، المستظم، ٢٨/٨، الانساب ٤/٢٣٢، تذكرة الحفاظ، ٣/١٠٧٣، شذرات الذهب، ٢٠٨/٣، غایة النهاية، ٥٢١/١ - ٥٢٢، معرفة القراء الكبار، ٣٧٦ - ٣٧٧ = ٣٠٧.

(٤٥٣) (الأمالى)، ١/٢٨٩ - ٣٩١.

الكلام عند الإمامية، نشأته، تطوره، وموقع الشيخ المفيد منه ٢٩٩
٣٩٠ / ١٠٠٠) فقيه، أصولي ، متكلّم ، أديب ، شاعر ، نحوي ، لغوي ، مؤرخ .
وكانت له صلة وثيقة بعلماء عصره من الإمامية [٤٥٤] .

* * *



(٤٥٤) الاعلام ١٦٩/٨، معجم المؤلفين، ١٢/١٢ - ٣٠٢ - ٣٠٣ ، طبقات اعلام الشيعة ،
الرابع / ٣١٩ ، وسبطه لم اعثر له على ترجمة .

واهم مصادر ترجمة المفيد: الطوسي ، الفهرست / ١٨٦ - ١٨٧ ، النجاشي = ٤٠٣ - ٣٩٩
= ٤٠٦٧ ، مجمع الرجال ، ٣٣/٦ - ٣٨ ، تتفق المقال ، ٣ - ١٨١ ، معجم رجال
ال الحديث ، ١٧ / ٢٢٧ - ٢٣٦ ، روضات الجنات ، ٦ / ١٥٣ - ١٧٧ ، رجال بحر العلوم ،
٣١١ / ٣ - ٣٢٣ ، مستدرك الوسائل ، ٣ / ٥١٧ - ٥٢١ ، مقدمة تهذيب الأحكام ، ٤ / ١ -
٤٣ ، مجالس المؤمنين ، ١ / ٤٦٣ - ٤٨٠ ، تاريخ التراث العربي ، ٢ / ٢٧٧ - ٢٨٠ ، الشيخ
محمد حسن آل ياسين ، البلاغ ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، بغداد ، ١٣٨٩ / ٩٠ - ١٩٧٠ ،
١٠٤ ، أراء الشيخ المفيد في الامامة - بالفرنسية ، نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد -
مارتن مكدرموت - بالانجليزية - .